وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثالث والعشرون

للصف الثامن - التعليم الديني

الطبعة الأولى

وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثالث والعشرون

للصف الثامن - التعليم الديني

تـأليـف

أ. خالد عبدالله حمد البصيلي (رئيسًا)

أ. عبدالله حامد المطيري

أ. محمد محمد الصادق أبوالعزم

أ. د. ياسر محمد عبداللطيف

أ. شيماء يوسف الكندري

الطبعة الأولى

١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ

٢٠١٧ - ٢٠١٨ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٧ – ٢٠١٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

الفترة	الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
الأولى		سورة يس من الآية (٢٨ – ٨٣)		
		بين يدي سورة يس		
	الأول	عاقبة الاستهزاء بالرسل عليهم السلام	٢٨ – ٣٢	٢١
	الثاني	مظاهر قدرة الله تعالى	٣٣ – ٤٠	٢٥
	الثالث	خُلُق الإنفاق	٤١ – ٤٧	٢٩
	الرابع	من علامات الساعة الكبرى	٤٨ – ٥٤	٣٣
	الخامس	نعيم أهل الجنة	٥٥ – ٥٨	٣٧
	السادس	غواية الشيطان لبني آدم	٥٩ – ٦٨	٤١
	السابع	عظمة القرآن الكريم	٦٩ – ٧٠	٤٧
	الثامن	نعم الله تعالى على الإنسان	٧١ – ٧٦	٥١
	التاسع	مظاهر قدرة الله تعالى	٧٧ – ٨٣	٥٥
		بين يدي سورة الصافات		
	العاشر	عقيدة التوحيد	١ – ١٠	٦٣
	الحادي عشر	عقيدة البعث والنشور	١١ – ٢١	٦٧
	الثاني عشر	صراع الظالمين يوم القيامة	٢٢ – ٣٩	٧١
	الثالث عشر	نعيم أهل الجنة	٤٠ – ٤٩	٧٥
	الرابع عشر	حوار بين أهل الجنة	٥٠ – ٦١	٧٩
	الخامس عشر	طعام أهل النار	٦٢ – ٧٤	٨٣

الفترة	الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
الثانية	السادس عشر	فضل الدعاء	٧٥ – ٨٢	٨٧
	السابع عشر	دعوة إبراهيم عليه السلام	٨٣ – ٩٨	٩١
	الثامن عشر	ابتلاء الله لإبراهيم عليه السلام	٩٩ – ١١٣	٩٥
	التاسع عشر	منّة الله على موسى وهارون عليهما السلام	١١٤ – ١٢٢	١٠١
	العشرون	دعوة إلياس عليه السلام	١٢٣ – ١٣٢	١٠٥
	الحادي والعشرون	نجاة نبي الله لوط عليه السلام	١٣٣ – ١٣٨	١٠٩
	الثاني والعشرون	دعوة يونس عليه السلام	١٣٩ – ١٤٨	١١٣
	الثالث والعشرون	تنزيه الله تعالى عن الولد	١٤٩ – ١٥٧	١١٧
	الرابع والعشرون	تنزيه الله تعالى عن النقائص	١٥٨ – ١٦٣	١٢١
	الخامس والعشرون	مقام الملائكة عند الله تعالى	١٦٤ – ١٧٠	١٢٥
الثالثة	السادس والعشرون	عاقبة المرسلين	١٧١ – ١٨٢	١٢٩
	بين يدي سورة ص			
	السابع والعشرون	موقف كفار مكة من القرآن والرسول ﷺ	١ – ١١	١٣٥
	الثامن والعشرون	عاقبة أهل الضلال	١٢ – ١٦	١٤١
	التاسع والعشرون	قصة داود عليه السلام	١٧ – ٢٠	١٤٥
	الثلاثون	داود عليه السلام يحكم بين الناس	٢١ – ٢٦	١٤٩
	الحادي والثلاثون	فضل تدبر القرآن الكريم	٢٧ – ٢٩	١٥٣

الفترة	الدرس	الموضوع	الآيات	الصفحة
الثالثة	الثاني والثلاثون	قصة سليمان عليه السلام	٣٠ – ٤٠	١٥٧
	الثالث والثلاثون	رحمة الله تعالى بنبيه أيوب عليه السلام	٤١ – ٤٤	١٦١
	الرابع والثلاثون	ثناء الله تعالى على رسله عليهم السلام	٤٥ – ٤٨	١٦٥
	الخامس والثلاثون	حسن عاقبة المتقين	٤٩ – ٥٤	١٦٩
الرابعة	السادس والثلاثون	نهاية الطغاة	٥٥ – ٦٤	١٧٣
	السابع والثلاثون	مكانة الإنسان عند الله تعالى	٦٥ – ٨٨	١٧٧
	بين يدي سورة الزمر			
	الثامن والثلاثون	فضل الصدق والإخلاص	١ – ٤	١٨٥
	التاسع والثلاثون	من دلائل وبراهين التوحيد	٥ – ٧	١٨٩
	الأربعون	حال المؤمن والكافر مع ربه	٨ – ١٠	١٩٣
	الحادي والأربعون	سمات الصالحين	١١ – ٢٠	١٩٧
	الثاني والأربعون	الإسلام هدى ونور	٢١ – ٢٦	٢٠١
	الثالث والأربعون	نهاية كل مخلوق	٢٧ – ٣١	٢٠٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سلك نهجهم، و اتبع هداهم إلى يو م الدين وبعد،،،

فهذا كتاب التفسير لمتعلمي الصف الثامن من المعاهد الدينية، فيه عرض موجز، وشرح مبسط للجزء الثالث والعشرين من كتاب الله تعالى، وقد حرصت اللجنة المعنية بإعداد هذا الكتاب على ما يلي:

١- تقديم نبذة مختصرة لمقاصد كل سورة من سور المقرر، وهي سور يس من الآية (٢٨) إلى نهايتها والصافات وص والزمر إلى الآية (١١).

٢- تقسيم كل سورة من سور المقرر إلى مجموعة من الآيات، وتشكل مع بعضها موضوعًا واحدًا، حتى يتسنى للمتعلمين استيعاب المقصود، وفهم المراد من الدرس.

٣- شرح الكلمات المهمة، وتوضيحها بأسلوب ميسر يناسب فهم المتعلمين، بعيدًا عن التكلف والغموض.

٤- عرض لأسباب نزول الآيات في صورة مبسطة، إسهامًا في تعميق الفهم لدى المتعلم.

٥- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعم الشرح، وتثبت المعلومة في ذهن المتعلمين، بالإضافة إلى أقوال مختارة من سيرة السلف الصالح.

٦- التركيز على الجانب الوجداني من خلال إبراز القيم الوجدانية، وإلقاء الضوء عليها، مع التنبيه على أهم الفوائد التي ترد من خلال شرح الآيات.

٧- العناية بالحقائق الثابتة، وتقرير الأمور المعلومة من الدين، مثل البعث والنشور ويوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، وعرض لبعض الأحكام الشرعية التي تهم المسلم وبيان أهمية الآداب الإسلامية التي تسمو بالمجتمع .

واللجنة المعنية إذ تقدم العمل ترجو التوفيق والسداد للمتعلمين، وترحب بالنقد البناء، أملًا في تداركه في الطبعات اللاحقة، كما ترجو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به القارئ الكريم، وصلى الله على رسوله الكريم.

المؤلفون

التمهيد

مصطلحات في علوم القرآن

١- علوم القرآن: هو العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني منه، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم.

٢- المكي ما نزل قبل الهجرة مثل سورة الفاتحة، والمدني ما نزل بعد الهجرة مثل سورة البقرة.

٣- هناك سور مدنية اشتملت على آيات نزلت في المدينة، مثل سورة الأنفال فهي مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٣٠)﴾ فقد نزلت بمكة، وهناك سور مكية اشتملت على آيات نزلت بالمدينة مثل سورة الأنعام فهي مكية إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ فقد نزلت بالمدينة.

٤- الناسخ والمنسوخ: علم يعرف من خلاله الآيات القرآنية التي أزالت حكمًا شرعيًا في آية واستبدلنا به حكمًا جديدًا مثل قوله تعالى في سورة النور ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ أزالت الحكم الشرعي وهو الحبس للنساء والضرب بالنعال للرجال الوارد في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦)﴾ واستبدلت به حكمًا جديدًا وهو الجلد الوارد في سورة النور.

٥- المحكم والمتشابه: المحكم ما عُرِفَ معناه ولا يختلف في دلالته على المراد مثل آيات الحلال والحرام، والمتشابه ما اختلف في دلالته على كثير من الناس وما استأثر الله تعالى بعلمه كآيات الروح والساعة والحروف المتقطعة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧) ﴾ سورة آل عمران.

سورة يس

بينَ يديْ سورة يس:

سورةُ «يس» هيَ السورةُ السادسةُ والثلاثونَ في ترتيبِ المصْحفِ، وكانَ نزولُها بعدَ سورةِ الجنِ.

أهمُّ مقاصِدِ هذهِ السُّورةِ.

١- بيانُ أنّ محمدًا ﷺ رسولٌ منْ عندِ اللهِ حقًّا، وأنّه نذيرٌ للأميينَ وغيرِهِمْ وهؤلاءِ المُنذَرونَ صنفانِ: صنفٌ شقيٌّ بكفرِهِ، وآخرُ سعيدٌ بإيمانِهِ وأعمالُ الفريقينِ تُحصى عليهِم، فتُحفظُ أخبارُهم، وتكتبُ آثارُهُمْ.

٢- ضَرْبُ المثلِ للكفارِ بأهلِ القريةِ الذينَ كذّبوا الرسلَ الذينَ جاءوا لهدايتِهِمْ، وقَتلوا الناصحَ لهمْ فدخلَ الجنّةَ بما قَدَّمَ منْ إيمانٍ وعملٍ صالحٍ وهدايةٍ وإرشادٍ وكيفَ أهلكَ اللهُ تعالى المكذّبينَ لِرُسلِهِ.

٣- بيانُ مظاهرِ قدرةِ اللهِ تعالى ونعمِهِ على عبادِهِ في الأرضِ وما فيها من خيراتٍ تخرجُ منها، وبيانُ قدرتِهِ في الليلِ والنهارِ، وفي الشمسِ والقمرِ، وفي غيرِ ذلكَ من مظاهرِ نعمِهِ التي لا تُحصى.

٤- بيانُ جانبٍ من دَعاوى المشركينَ الباطلةِ، والرّدُّ عليهم بما يُخْرِسُ ألسنَتَهُم، والإخبارُ عنْ أحوالِهِمْ وسرعةُ أخذِهِمْ ونَدمِهِمْ عندما يخرجونَ من قبورِهِمْ مسرعينَ، ليقفوا بينَ يدي اللهِ تعالى للحسابِ.

٥- بيانُ ما أعدَّه اللهُ تعالى بفضلِهِ وكرمِهِ لعبادِهِ المؤمنينَ، من جنّاتِ النعيمِ.

٦- توبيخُ الكافرينَ على اتّباعِهِم الشياطينَ وبيانُ قدرتِهِ تعالى على مَسْخِهِم في الدُّنيا وطمسِ أَعْيُنِهِمْ.

٧- تبرئَةُ النبيِّ ﷺ مما اتّهمه به أعداؤُهُ، منْ أنّهُ شاعرٌ، وتسليتُهُ عمّا أصابهُ منهمْ، وبيانُ أنَّ وظيفَتَهُ ﷺ إنّما هيَ الإنذارُ والبلاغُ للنّاسِ.

٨- بيانُ نعمةِ اللهِ تعالى وفضلِهِ على العبادِ بِما حَباهُم مِنْ الانتفاعِ بالأنعامِ في المأكلِ والمشربِ والملبسِ.

٩- إثباتُ البعثِ من خلالِ حكايةِ ما قالَهُ أحَدُ مُنكري البعثِ والحسابِ، والرَّدُّ عليهِ وعلى أمثالِهِ بردٍّ جامعٍ حكيمٍ، يُرشدُ كُلّ عاقلٍ إلى إمكانيّةِ البعثِ، وأنّهُ حقٌّ لا شَكَّ فيهِ بما أقامَهُ مِنْ أدلَّةٍ في الآفاقِ والأَنْفسِ.

١٠- تنزيهُ اللهِ تَعالى عنْ كلِّ سوءٍ ونَقْصٍ.

تنبيهاتٌ مهمةٌ جدًّا:

التنبيهُ الأوّلُ: قدْ وردتْ عدّةُ أحاديثَ في فضائلِ هذهِ السّورةِ، أكثرُها مكذوبةٌ وموضوعةٌ، وبعضُها ضعيفٌ ضعفًا يسيرًا، ولم نقفْ على حديثٍ صحيحٍ مخصوصٍ في فضلِ سورةِ (يَس).

فمما وردَ من فضائِلِها ويضعّفُهُ أهلُ العلْمِ ما يَلي:

١- إنّ لكلِّ شيءٍ قلبًا، وقَلْبُ القرآنِ (يَس)، مَنْ قرأَها، فكأنّما قرأَ القرآنَ عشرَ مراتٍ.

٢- مَنْ قرأ سورةَ (يَس) في ليلةٍ أصبحَ مغفورًا لَهُ.

٣- منْ داوَمَ على قراءَتها كلَّ ليلةٍ، ثُمّ ماتَ ماتَ شهيدًا.

٤- من دخلَ المقابرَ فقرأَ سورة (يَس)، خفّفَ عنهم يومئذٍ، وكانَ لَهُ بعددِ مَنْ فيها حسناتٌ[١].

١- انظر «الموضوعات» لابن الجوزي (٢ / ٣١٣)، «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٩٤٢،٩٧٩) ، وانظر للأهمية رسالة : «حديث قلب القرآن يس في الميزان»، لفضيلة الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

التّنبيهُ الثّاني: من الأحاديث الباطلةِ المشتهرةِ على أَلسنةِ النّاسِ حديثُ: (يَس لِما قُرئتْ لَهُ)، ويعنونَ بِهِ أنّ قراءةَ سورةِ (يَس) يحصلُ مَعَها قضاءُ الحوائجِ وتسهيلُ الأمورِ التي يَنويها القارئُ بقراءَتِهِ، يقولُ السّخاويُّ رحِمهُ اللهُ عَنْ هذا الحديث: «لا أصلَ لَهُ بهذا اللّفظِ»[1]، وقال القاضي زكريّا في حاشيةِ البَيضاويِّ: موضوعٌ.

التّنبيهُ الثّالث: ما ينقلهُ الإمامُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيرِ القرآنِ العظيم» (٣/ ٧٤٢) عنْ بعضِ أهلِ العلم: «أنَّ مِن خصائصِ هذه السورةِ أنها لا تُقرَأ عندَ أمرٍ عسيرٍ إلا يَسَّرَه الله تعالى»، فهو اجتهادٌ منهمْ ليسَ عليهِ دليلٌ من الكتابِ أو السُّنةِ أو أقوالِ الصّحابةِ والتّابعينَ، ومثلَ هذا الاجتهادِ لا يجوزُ نسبتُهُ إلى اللهِ تعالى ورسولِهِ، إنَّما يُنْسب مثلُ هذا إلى قائلِهِ؛ بحيثُ يكونُ صوابُهُ له وخطؤُهُ عليهِ، ولا يَجوزُ أنْ ينسبَ إلى كتابِ اللهِ تعالى أو سنّةِ رسولِهِ إلَّا ما نتيقَّنُ أنّه مِنْهُ.

١- «المقاصد الحسنة» (٧٤١) والمراجع السابقة.

الدّرسُ الأوّلُ

عاقبةُ الاستهزاءِ بالرّسلِ عليهمُ السَّلامُ

الآيات (٢٨- ٣٢) من سورةِ يَس

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
خَٰمِدُونَ	ميّتون
يَٰحَسۡرَةً	الغمّ والندم
قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ	الأمم الماضية

المَعنى الإجْماليُّ:

قصّةُ أهلِ القريةِ:

يتكرّر ضربُ الأمثالِ في القرآنِ الكريمِ للعظةِ والاعتبارِ بأحداثِ الآخرينَ، وفي الآياتِ السابقةِ أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ أنْ يضربَ مثلًا لكفارِ مكّةَ ويبينُ لهم أنّ حالَهم في التكذيبِ والعنادِ كحالِ أهلِ قريةٍ أرسلَ اللهُ تعالى إليهِمْ ثلاثةً من رُسلِهِ فكذّبوهم وعاندوا وطغوا وقتلوا واحدًا من هؤلاءِ الرسلِ، فَبيّنَ تعالى أنّه ما أُنزلَ عليهم جندٌ من الملائكةِ ليهلكوهم فقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾ أَيْ: وما أنزلنا على المكذبينَ جنودًا من السّماءِ فهم ضعفاءُ لا قوةَ لهم، فهلاكُهمْ كانَ بصيحةٍ واحدةٍ جعلتهمْ أمواتًا خامدينَ فاعتَبِروا يا أهلَ مكةَ بما حلّ بمن قَبْلكم.

فوائدُ:

الفائدةُ الأولى: إخبارُ رسولِ اللهِ ﷺ أهلَ مكةَ بحالِ هذه القريةِ له حِكمٌ كثيرةٌ، منها:

أ - تهديدُ الكُفّارِ ليعتبروا، فإذا اسْتمروا على عنادِهم كان إهلاكُهم يسيرًا على اللهِ تعالى كأهلِ هذهِ القريةِ.

ب - تَحقيرُ شأنِ الكُفّارِ وتعظيمُ شأنِ الرسولِ ﷺ.

الفائدةُ الثانيةُ: أَنزلَ اللهُ تعالى الملائكةَ مِن السّماء يومَ بدرٍ للقتالِ مع النّبي ﷺ وأصحابِهِ، كرامةً للنّبي ﷺ ولإظهارِ فضلِهِ وخصوصيتِهِ عندَ اللهِ تعالى.

الفائدةُ الثالثةُ: كلمَةُ: «إذا» في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ تُسمّى: إذا الفجائيةُ، والتعبيرُ بها يشيرُ إلى سرعةِ هلاكِهم.

الحسرةُ والندامةُ على المكذِّبينَ:

وبعدَ أنْ بيّنَ سبحانَهُ وتعالى سوءَ مصارعِ المكذبينَ، نبّه جلّ جلالُه على حالِ هؤلاءِ المكذبينَ يومَ القيامةِ وأنّهم سيتحسرونَ على ما فعلوا، فقالَ تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ أيْ: يا حسرَةَ العبادِ المكذبينَ وندامَتهم على أنفسِهِمْ، إذا عاينوا العذابَ يومَ القيامةِ، فسوفَ يندمونَ ندمًا شديدًا على تكذيبِهم رسلِ اللهِ ومخالفةِ أوامرِهِ.

ثم بيّنَ سببَ الحسرةِ والنّدامَةِ فقالَ تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: ما جاءَهم رسولٌ إلا استهزؤوا به واحتقَروه وكذّبوا دعوتَه، وجَحدوا ما أُرسلَ بِهِ مِنَ الحقِّ.

فوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: الحسرةُ هي: شدّةُ النّدمِ والحزنِ والتّألمِ على ما مَضى، كأنّ المتحسِّرَ قد انحسرتْ وذهبتْ عنهُ كلُّ قوةٍ فلا يستطيعُ إرجاعَ ما مضى.

الفائدةُ الثانيةُ: العبوديّة تُنقسم قسمين:

١- **عبوديّةٌ عامّةٌ:** وهي الذُّلُّ والقهرُ وعدم الخروجِ عَنْ مُلكِ اللهِ، وهذِهِ تشملُ المؤمنَ والكافرَ.

٢- **عبوديّةٌ خاصةٌ:** وهي عبوديةُ الإيمان بالله تعالى وطاعتِهِ فيما شرّعَ، وهذه خاصّةٌ بالمؤمنِ.

الفائدةُ الثالثةُ: الاستهزاءُ: هُوَ توجيهُ عباراتٍ وأعمالٍ فيها احتقارٌ وتنقيصٌ للمستَهْزَأ بِهِ.

اللهُ تعالى يجمعُ الخلقَ يومَ القيامةِ:

ولمّا بيّنَ اللهُ تعالى حالَ الأولينَ وتكذيبَهم وهلاكَهم، نبّه الحاضرينَ وحذّرهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أيْ: ألمْ يعلم هؤلاءِ المكذّبون لك يا محمّدُ أننا أهلكنا كثيرًا من القرونِ الماضيةِ والأممِ السّابقةِ، بسببِ إصرارِهم على كفرِهم واستهزائِهم برُسلهم كعاد وثمود، وأنّ هؤلاءِ المُهْلَكينَ لا رجعةَ لهم إلى الدُّنيا.

ثم بَيّنَ اللهُ تعالى، أن موعدَ جميعِ الخلقِ للعرضِ والحسابِ هُوَ يومُ القيامةِ، فقالَ تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أيْ: وَإنّ جَميعَ الأممِ الماضيةِ والحاضرةِ والآتيةِ ستحضرُ يَوم القيامة بين يدي الله تعالى فيُجازيهم بأعمالِهم خيرِها وشرِّها.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- مظاهرُ قدرةِ اللهِ تعالى في إهلاكِ أهلِ القريةِ بصيحةٍ واحدةٍ.

٢- تكذيبُ الرُّسلَ يؤدّي إلى مزيدٍ من الألمِ والنّدامةِ والحسرةِ.

٣- حرمةُ الاستهزاءِ بحُرُماتِ اللهِ تعالى التي يجبُ تعظيمَها.

٤- العبرةُ من أخبارِ الماضينَ وأحوالِهم، والعاقلُ من اعتبرَ بغيرِهِ.

٥- لا رجعةَ لأحدٍ إلى الدّنيا بعد الموتِ.

الدّرسُ الثّاني

مظاهرُ قدرةِ اللّهِ تعالَى

الآيات (٣٣- ٤٠) من سورةِ يَس

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
فَجَّرْنَا	شقَقنا
نَسْلَخُ	نُزيلُ
كَٱلْعُرْجُونِ	عذق النخلة الذي يحمل الثمر

الـمَعنى الإجْماليُّ:

الآياتُ الدّالةُ على قدرةِ اللهِ تعالى على البَعْثِ:

بعدَ أنْ أخبرَ اللهُ تعالى أنّ العبادَ كلَّهم مُحْضرونَ إليهِ يومَ القيامةِ للحسابِ والجزاءِ على ما قدّموا مِنْ عملٍ، بَيّنَ سبحانَه العلامةَ الدالةَ على وقوعِ البَعْثِ وهيَ: الأرضُ الميْتةُ يُحييها اللهُ تعالى بالنَّباتِ، فقالَ تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا ﴾ أَيْ: ومنَ الأدلّةِ على قُدْرتِنا على البعثِ إحياءُ الأرضِ التي لا نباتَ فيها بالمطرِ فَتُنبتُ نباتًا مختلفًا ألوانُهُ وأصنافُهُ، لينتفعَ بِهِ الناسُ ويتَنعَّمونَ، وقدْ ذكَرَ اللهُ

تعالى بعضًا من هذهِ النِّعمِ التي أخرجَها لَنا منَ الأرضِ:

النّعمةُ الأُولى: نعمةُ الحَبِّ الذي يعتمدُ الناسُ عليه في طَعامِهِمْ، قالَ تعالى: ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾، فأخرجَ اللهُ تعالى من الأرضِ الحَبَّ مثلَ القمحِ والذُّرة والشعيرِ والأرزِ وغيرِهِ؛ ليأكلَهُ النّاسُ.

وخصّ الحبّ بالأكلِ للدلالةِ على أهمّيتِهِ في طعامِ النّاسِ، فمعظَمُ المأكولاتِ التي يعيشُ الناسُ عليها منَ الحَبِّ، وأنّ عدمَ وجودِهِ يؤدّي إلى القَحْطِ والجوعِ.

النِّعمةُ الثّانيةُ: نعمةُ النخيلِ والعِنَبِ، قالَ تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾، والجنّاتُ هي البساتينُ ذاتُ الأشجارِ الكثيفةِ، وخصَّ اللهُ النخيلَ والعنبَ لشهرتِها، ولنفعِها العظيمِ عندَ النّاسِ فالنَّخلُ لا يُرْمى منهُ شيءٌ فَيستعملُ الناسُ جِذعَ النّخلِ وجريدَهُ وخوصَهُ «الورقُ الّذي على الجريدِ» وليفَهُ، وثمرةُ النّخلِ يكونُ منها الرّطبُ والتّمْرُ والعَجْوَةُ، والعنبُ يكونُ منْهُ الفاكهةُ والزبيبُ والخَلُّ.

النعمةُ الثّالثةُ: نعمةُ ماءِ الآبارِ والعُيونِ، قالَ تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ فاللهُ تعالى شقّ في الأرضِ كثيرًا منَ الآبارِ والعيونِ التي تُخْرج الماءَ العذبَ فتُسقى منها تلكَ الزُّروعُ والحيوانُ.

ثم بيّنَ اللهُ تعالى الحكمةَ من نعمةِ النّخيلِ والعِنَبِ، فقال تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أيْ:جعلَ اللهُ تعالى في الأرضِ جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ، ليأكلَ الناسُ من ثمارِها، وإنّ هذه الثمارَ لم تصنَعْها أيديهم، وإنّما الذي أوجدَها وصنَعها هُوَ اللّه تعالى بقدرتِهِ ومشيئتِهِ.

ثمّ وبّخَهُمُ اللهُ تعالى على تركِ الشّكرِ حيثُ كَفروا بربّهِمُ المُنْعم، فقالَ تعالى: ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي: أغفَلوا عن تلكَ النعمِ وكفروا باللهِ المنعمِ فهلّا يشكرونَهُ على ما أنعمَ بِهِ عليهمْ مِنْ هذهِ النعمِ التي لا تعدُّ ولا تُحْصى!!، والاستفهامُ للتوبيخِ على تركِ الشّكرِ.

ثم نَزّه اللهُ تعالى نَفْسَهُ عنْ كلّ نقصٍ، فقالَ تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: سبحانَ الله الذي خلقَ كل الأنواعِ من مختلفِ النباتاتِ، ومن النّاسِ ذكورًا وإناثًا، وخلقَ ما لا يعلَمُه النّاسُ من الأشياءِ التي لم يُطْلعهم عليها، فسبحانَ الخالقِ العظيمِ.

فائدةٌ: الشكرُ هو: مقابلةُ نعمةِ اللهِ تعالى بما يُرْضيه اعتقادًا وقولًا وعملًا، فيعتقدُ وجودَ النعمةِ من اللهِ تعالى، ويثني على الله تعالى ويحمدُهُ عليها، ويعملُ في هذه النعمةِ بطاعةِ اللهِ تعالى.

آياتُ اللهِ الكونيّةُ الدالةُ على قُدْرَتِه وعَظَمتِه:

ثم بَيّن اللهُ تعالى خمسَ آياتٍ من آياتِ قدرته الدّالةِ على وَحْدانيّتِهِ وعظمتِهِ وهي آياتٌ كونيّةٌ ترتبطُ بها مصالحُ العبادِ في الأرضِ، وهذهِ الآياتُ كَما يَلي:

الآيةُ الكونيّةُ الأُولى: انسلاخُ النّهارِ منَ اللّيلِ، دلّ عليها قولُهُ تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ أَيْ: ومِنْ آياتِ قدرَتِهِ تعالى أنّه ينزِعُ النهارَ عَنِ اللّيلِ، فَتأتي الظُّلْمةُ ويذهَبُ النّهارُ، فيصيرُ الخَلْقُ في ظُلْمةِ اللّيلِ بعدَ ضياءِ النّهارِ، وهذا يدلُّ على أنّ اللّيلَ هُوَ الأَصْلُ.

الآيةُ الكونيّةُ الثانيةُ: جريانُ الشّمسِ لمستقرٍّ لها، دَلّ عليها قولُه تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ أيْ: أنّ الشّمسَ تَجْري إلى مكانٍ معيّنٍ تستقرُّ فيهِ فلا تتعدّاهُ وإلى زمنٍ محدّدٍ لا تتجاوزُهُ وهذا كلّهُ بتقديرِ اللهِ تعالى الغالبِ الذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ، وقد ذكرَ العلماءُ أن مستقرَّ الشّمسِ المكانيِّ هو تحتَ عرشِ الرّحمنِ جلّ جلالُه عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾ قالَ: «مُسْتَقَرُّها تَحْتَ الْعَرْشِ» (رواه البخاري في الصحيح)، أما المستقرُّ الزمانيُّ الذي ينقطع جريانُها عِنْدَه فهو يومُ القيامةِ.

الآيةُ الكونيّة الثالثةُ: تقديرُ منازلِ القمرِ، دلّ عليها قولُهُ تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ

﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ أيْ: جعلَ اللهُ تعالى القمرَ أثناءَ الشَّهْرِ يسيرُ في منازلَ لا يتعدّاها فَهُوَ يتغيّرُ منزلةً كُلّ ليلةٍ عنِ الأُخرى فتراهُ هلالًا ثم يَكْبُرُ، حتى يصير بدرًا، ثم يعودُ صغيرًا ويتقوّس كعِذْقِ النّخلَةِ الأَصْفَرِ اليابِسِ.

الآية الكونيّةُ الرّابعةُ: عدمُ إدراكِ الشّمسِ للقمرِ، دلّ عليها قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي:لا يمكنُ للشمسِ أن تلحقَ القمرَ أبدًا فالشّمسُ تجري في مدارِها والقمرُ يَجري في مدارِهِ فلا يُمْكِنُ أن يَصْطَدِما أبدًا.

الآيةُ الكونيّةُ الخامسةُ: عدمُ سَبْقِ الليلِ للنهارِ، دلّ عليها قولُه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أيْ: ولا يمكنُ للّيلِ أن يأخذَ شيئًا من وقتِ النّهارِ؛ لأنّ كلاًّ من الشمسِ والقمرِ والليلِ والنّهارِ يدورُ في مَجْراهُ الذي حدّده اللهُ تعالى له، فلا يحيدُ عَنْهُ، ولا يزالُ الأمرُ علَى هذا الترتيبِ إلى نهايةِ العالمِ، حيثُ تطلعُ الشمسُ من مغربِها في آخرِ الزّمانِ.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- إقامةُ الأدلّةِ القاطعةِ والبراهينِ السّاطعةِ على إمكانِ البَعْثِ ووقوعِهِ حتمًا.

٢- إحياءُ الأرضِ الهامدةِ دليلٌ على وجودِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ.

٣- قَرّرَ القرآنُ العظيمُ نظامَ الزّوجيةِ في الأشياءِ كُلِّها قبلَ معرفةِ النّاسِ لهذا النّظامِ.

٤- تعاقُبُ اللّيلِ والنّهارِ والشمسِ والقمرِ من أدلّةِ وجودِ اللهِ وقُدْرتِهِ.

٥- وجوبُ شُكْرِ اللهِ تعالى على نِعَمِهِ التي لا تعدُّ ولا تُحْصى.

٦- إخبارُ القرآنِ الكريمِ بأمورِ الفَلَكِ التي عَرَفَها العلماءُ في الوقتِ الحاليِّ فيه دليلٌ على أنّهُ وحيٌ مِنَ اللهِ تعالى.

الدّرسُ الثالث

خُلُق الإنفاقِ

الآيات (٤١- ٤٧) من سورةِ يَس

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱلْمَشْحُونِ	المملوء
صَرِيخَ	مُغيث أو مُنْقذ
ٱتَّقُوا۟	خافوا واحذَروا

الـمَعنى الإجْماليُّ:

جريانُ السُّفنِ في البحرِ آيةٌ من آياتِ اللهِ تعالى:

بعدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تعالى الآياتِ الدّالَّةَ على قُدرتِهِ ورَحمَتِهِ بعبادِهِ في الأرضِ وفي السّماءِ أَرْدَفَ ذلكَ بذكرِ آيةٍ أُخرى في البَحْرِ، فقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أيْ: وعلامةٌ على قدرتنا للناس جميعًا أنّنا حملْنا آباءَهُمُ المؤمنين وفي أصلابهم ذرياتُهم في سفينة نوح عليه السلام وأغْرَقنا الكافرينَ المكذِّبينَ، وكانَتْ هذه الفلكُ مليئةً بما يَنْتفعونَ بِهِ في حياتِهِمْ، فقدْ أمَرَ اللهُ تعالى نوحًا عليه السلام

أن يصنعَ السّفينةَ، كما قالَ تَعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[1] وأَمَرَهُ تَعالى أَنْ يحملَ فيها جميعَ الأصْنافِ قالَ تَعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[2] أيْ: مِنْ جميعِ الأصنافِ التي تنفعُ النّاسَ.

فوائدُ:

الفائدةُ الأُولَى: حَمْلُ النّاسِ في سفينةِ نوحٍ عليه السلام لها دلائلُ وعلاماتٌ عظيمةٌ، منها:

١- الدّلالَةُ على عنايةِ اللهِ تعالى ورضاهُ عَنِ المؤمنينَ فأبقاهُمْ في الحياةِ، وأهلَكَ الكافرينَ جميعًا.

٢- الدّلالَةُ على فضلِ اللهِ تعالى بأنْ علّمَ نوحًا عليه السلام كيفيةَ صنعِ السّفنِ، وتناقَلها النّاسُ من بعدِهِ.

٣- الدّلالَةُ على عظمةِ اللهِ تعالى بأنْ سَخّرَ الفُلْكَ، لتسير على الماءِ فلا تَغْرَقُ فيهِ.

٤- الدّلالَةُ على قدرةِ اللهِ تعالى العظيمةِ في حفظِ النّسلِ البشريِّ منذُ خلقِهِ من زمنٍ بعيدٍ إلى اليومِ.

٥- الدّلالَةُ على عنايةِ اللهِ تعالى بخلقِهِ بأنْ ملأَ لهم الحياةَ الدّنيا بكلِّ ما ينتفعونَ بِهِ في معاشِهِمْ.

الفائدةُ الثّانيةُ: الحِكمةُ من تخصيصِ الذُّريةِ بالذكرِ دونَ الآباءِ: ليدلَّ على فضلِ اللهِ تعالى على النّاسِ، فإنّ أعظمَ ما يتمناهُ الإنسانُ هو بقاءُ نَسْلِهِ وذُرِّيَتِهِ.

ثم بَيّنَ اللهُ تعالى فَضْلَهُ على النّاسِ بما يَسّرَ لهمْ مِنْ وسائلِ النَّقْلِ مثلَ السّفنِ وغيرِها فقال: ﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾ أيْ: ومن رَحْمتنا بالنّاسِ وفضْلنا عليهِم أنّنا خلقْنا لهمْ وسائلَ أُخرى تماثِلُ السّفنَ في الركوبِ كالإبلِ والخَيْلِ والبغالِ وغيرِها.

ثم بَيَّنَ الله تعالى مَظهرًا آخرَ مِنْ مظاهرِ فَضْلِهِ على راكبي السّفنِ في البحرِ فقالَ تعالى: ﴿ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ٤٣ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤ ﴾ أيْ: وإنْ أَرَدْنا أَنْ نُغْرِق

١- سورة هود: ٣٧

٢- سورة هود: ٤٠

المحمولينَ في السّفن لأَغْرقناهُمْ، وحينها لن يَجدوا من يُغيثُهم منّا، أو يُنْقِذُهُمْ من الغرقِ، سِوى رَحْمتِنا التي تَنزلُ بِهِمْ، فتنجيهِمْ، ليتمتّعوا بالحياةِ الّتي قدّرها اللهُ تعالى لهم، حتى يأتيَ وقتٌ معيّنٌ تنتهي فيهِ حياتُهُمْ.

فائِدةٌ: في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يدلُّ على أَنّ ما يستجدُّ من وسائلَ يصنعُها الإنسانُ ليركَبها كالغواصاتِ والسياراتِ والطائراتِ، فَهيَ مِنْ خلقِ اللهِ تعالى الذي أودَعَ العلمَ في العقولِ ليصنعَ النّاسُ وسائلَ يركبونَها حتّى يومِ القيامةِ.

إعراضُ الكافرينَ عَنِ الحَقِّ:

لَما ذكَّرَ اللهُ تعالى المشركينَ بدلائلِ قدرتِه، وآثارِ رحمتِه، وهدّدهم ببطشِهِ وقوّتِه، أخبرَ هنا عن إعراضِهِمْ عنِ التّقوى والإيمانِ، فقالَ تَعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أيْ: إذا قالَ قائلٌ لهؤلاءِ المُشركينَ على سبيلِ النُّصحِ والإرشادِ: خافوا عذابَ اللهِ أن يَنزلَ بكمْ في الدنيا بسببِ كفركمْ، واحْذروا عذابَه يومَ القيامةِ فآمنوا بِهِ رجاءَ أَنْ تنالَكُمْ رحمةُ اللهِ تعالى، وجوابُ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ محذوفٌ، تقديرُهُ: أَعْرَضوا وتمرّدوا.

ثمَّ بَيّنَ اللهُ تَعالى أنَّ الإعراضَ خصلةٌ أصيلةٌ فيهِمْ، فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أيْ: إنَّ هؤلاءِ المشركينَ ما تأتيهِمُ آيةٌ من الآياتِ التي تدلُّ علَى وحدانيةِ اللهِ تعالى وقدرتِهِ، إلاَّ كانوا عنْها معرضينَ إعراضًا تامًا لا يتأملونَها ولا يقبلونَها ولا ينتفعونَ بها.

فائِدةٌ: إضافةُ الآياتِ إلى الربِّ جل وعلا في قولِهِ تعالى: ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لتعظيمِ شأنِ الآياتِ فكانَ الواجبُ على هؤلاءِ المشركينَ لو كانوا يَعْقلونَ أن يتَدَبَّروها ويتَّبعوا مَنْ جاءَ بها.

انعدامُ الرَّحمةِ مِنْ قلوبِ الكفّارِ:

وبعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى إعراضَهم عن الخالقِ بيّنَ قسوتَهُمْ على المخلوقينَ، فقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ أيْ: وإذا قالَ قائلٌ مِنَ المؤمنينَ لهؤلاءِ الكافرينَ: أَنْفقوا على المحتاجينَ شيئًا من الذي رزقكم اللهُ تعالى به، قال الذين كَفروا للمؤمنينَ ساخرينَ مستهزئينَ: أتأمرونَنا أَنْ نخالفَ مشيئةَ اللهِ ونطعمَ الفقراءَ الذينَ لو أرادَ اللهُ غناهُمْ لأعطاهُمُ المالَ، ما أنتمْ أيُّها المسلمونَ إلا في ضلالٍ واضحٍ حيثُ تأمرونَنا أَنْ ننفقَ على من أفقَرَهُمُ اللهُ وتَنْفَذ أموالُنا بسبب الإنفاقِ عليهِمْ.

فائدةٌ: لقولِ الكافرينَ: ﴿ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ﴾ عِدّةُ أغراضٍ، مِنْها:

أ - السّخريةُ والاستهزاءُ بالمؤمنينَ، وليسَ الاعترافُ بمشيئةِ اللهِ تعالى.

ب - الاعتراضُ على قَدَرِ اللهِ تَعالى، كأنّهم يقولون: لماذا خُلقوا فقراءَ ولَمْ يُخْلَقوا أغنياءَ؟ ولمْ يعلمْ هؤلاءِ الكفار الأغبياء أن الله يفقر أناسًا ويغني أناسًا ليختبرَ الناسَ جميعًا بالصبرِ والشكرِ.

من هداية الآيات:

١- بيانُ فضلِ اللهِ تعالى على البشريّةِ حيثُ نَجّى سيدَنا نوحًا عليه السلام والذين مَعَهُ.

٢- فضلُ اللهِ تَعالَى على النّاسِ حيثُ خَلَقَ لَهُم في الحياةِ كلَّ ما يَنْفَعُهُمْ.

٣- إعراضُ الكُفّارِ المستمرِّ عنِ الهدى والرّشادِ.

٤- قَسْوة الكافرين واستهزاؤُهُمْ بالمؤمنينَ.

الدّرسُ الرابعُ

من علاماتِ السّاعَةِ الكُبرى

الآياتُ (٤٨- ٥٤) مِنْ سورةِ يَس

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
يَخِصِّمُونَ	يختصِمون ويتنازعونَ في أمورِهِمْ
ٱلصُّورِ	القَرْن
ٱلْأَجْدَاثِ	القُبور
يَنسِلُونَ	يسْرعون

المَعنى الإجْماليُّ:

النّفخُ في الصّورِ من علاماتِ السّاعَةِ الكُبرى:

بعدَ بيانِ إعراضِ الكفّارِ عن التّقوى، وامتناعِهِمْ عن الإنْفاقِ، بَيَّنَ الله تعالى سبَب ذلكَ، وهو إنكارُهم للبَعْثِ، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أيْ: يقولُ الكافرونَ للمؤمنينَ استهزاءً بهم وإنكارًا للبَعْثِ: متى يقعُ البعثُ الذي تُخوِّفونَنا بِهِ إنْ كنتم صادقينَ فيما تقولونَ؟

فَرَدّ اللهُ تَعالى عليهم بردٍّ يزلزلُ النّفوسَ، فقالَ جلّ جلالُه: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أَيْ: ما ينتظرونَ للبعثِ وحلولِ العذابِ بهم إلا صوتَ صيحةٍ واحدةٍ، بها يموتُ أهلُ الأرضِ جميعًا تأخذُهم بغتةً وهمْ يتخاصمونَ، ويتنازعونَ فيما بينهُمْ مِنْ أمورِ الحياةِ.

ثم بيّنَ اللهُ تعالى سرعةَ حدوثِها وإهلاكِها لَهُمْ، فقالَ تعالى:﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أيْ: فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يوصيَ فيما يريدُ، إذْ لا يُمهلونَ بذلكَ، ولا يستطيعُ أحدٌ الرجوعَ لأهلِه، فمنْ سرعَتِها أنّهم لا يستطيعونَ الكلامَ ولا مغادرةَ المكانِ، بل تبغَتُهُم الصيحةُ فيموتونَ حيثُما كانوا ويرجعونَ إلى رَبهِمْ.

فوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: الصيحةُ التي تأخذُ الناسَ وهم يَخِصِّمونَ هيَ النفخةُ الأُولى في الصّورِ، والصّورُ هو قَرنٌ عَظيمٌ لا يَعلم كيفيَّتَهُ إلّا اللهُ تعالى، والمختصُّ بالنفخِ في الصورِ هو إسرافيلُ عليه السلام، وتسمّى النفخةُ الأُولى: نفخة الفزعِ والصَّعْقِ والموتِ فبها يموتُ جميعُ أهلِ الأرضِ فجأةً، كما قالَ تَعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1] عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «وَلَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بَيْنَهُما فَلا يَتَبايَعانِهِ وَلا يَطْوِيانِهِ، وَلَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يَسْقي فيهِ، وَلَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلى فيهِ فَلا يَطْعَمُها» رواه البخاري ومسلم.

الفائدة الثّانيةُ: سمّى اللهُ النفخةَ الأولى صيحةً، للدلالةِ على شدّتِها وقوّتِها على مَنْ يسمَعونَها.

الفائدةُ الثّالثةُ: وصفَ اللهُ تَعالى النَّفْخةَ الأُولى بأنّها واحدةٌ ليدلّ على سهولةِ هلاكِ الكافرينَ وضَعْفِ قوّتِهِمْ.

١- سورة الزخرف: ٦٦

الفائدةُ الرابعةُ: تخصيصُ الاختصامِ بالذّكرِ عندَ النّفخِ في الصّورِ: للدلالةِ على أنّ النّاسَ الذينَ يكونونَ في آخرِ الزّمانِ همْ شِرارُ الخَلْقِ الذينَ لا هَمّ لَهُمْ إلاّ التنازُعَ والتخاصمَ والتباغضَ.

نفخةُ البَعْثِ:

لما بيّنَ اللهُ تعالى النفخةَ الأُولى في الصّورِ التي بها يموتُ الخَلْقَ ذكرَ النفخةَ الثانيّةَ التي يكونُ بها البعثُ من القبورِ، فقالَ تَعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ أَيْ: ونُفخَ في الصّورِ نفخةً ثانيةً للبعثِ والنشورِ، والخروجِ من القبورِ، فإذا الأمواتُ يخرجونَ من قبورهمْ سِراعًا وبدونِ اختيارٍ منهم مُتَّجهينَ إلى ربّهم للحسابِ والجزاءِ.

ثم ذكرَ اللهُ تَعالى حالَ الكافرينَ بعدَ البعثِ وما يعتريهمُ من المخاوفِ، فَقالَ تَعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أيْ: قالَ الكافرونَ: يا هلاكَنا وعذابنا، مَنِ الذي أَيقظَنا مِنْ مكانِ نومِنا؟ فيأتي الرَّد من الملائكةِ أو مِنَ المؤمنينَ، أو مِنَ الكفّارِ يردُّ بعضُهم على بعضٍ على سبيلِ الحَسْرةِ واليأسِ: هذا الذي وَعَدَكُم اللهُ تَعالى به مِنَ البَعْثِ بَعْدَ الموتِ للحِسابِ والجزاءِ، وصدَق المرسلونَ الكرامُ فيما أَخْبروا بِهِ عَنِ اللهِ تَعالى.

ثمّ أكّدَ اللهُ تَعالى أَنَّ البعثَ الذي ينكرُه الكافرونَ أمرٌ يسيرٌ على اللهِ تعالى، فقالَ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أيْ: ما كانتِ النفخةُ التي أخرجتْهُمْ من قبورهمْ إلا صيحةً واحدةً، فإذا هُمْ مجتمعونَ لدينا قد أُحْضروا للعرضِ والحسابِ، لم يتخلّفْ منهُمْ أحدٌ، قالَ تَعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾[1] والساهرةُ هي أرضُ المحشرِ.

فوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: سمّى الكافرونَ قبورهم مرقدًا؛ لأن عذابها أخفُّ من العذابِ الذي شاهدوهُ يومَ القيامَةِ.

١- سورة النازعات: ١٣ - ١٤

الفائدةُ الثانية: وصفَ اللهُ تَعالى النفخةَ الثانيةَ بأنّها واحدةٌ ليدلّ على سهولةِ البعثِ وسرعَتِهِ.

اللهُ تَعالى يحاسِبُ النّاسَ بالعدلِ:

ثم يخاطِبُ اللهُ تَعالى أهلَ المحشَرِ جميعًا المؤمنينَ منهم والكافرينَ بأنَّ الحسابَ بالعدْلِ ولا ظُلْمَ فيهِ، فيقولُ تَعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ: في هذا اليومِ وهُوَ يومُ القيامةِ لا تنقصُ نفسٌ أجرَ شيءٍ ممّا عملتْهُ، ولا تُعْطَوْن إلا الجزاءالمناسبَ لأعمالِكُمْ في الدُّنْيا.

فائِدةٌ: الظُّلْمُ في الجزاءِ يكونُ بأحدِ أَمْرين: إمّا بزيادةِ السيئاتِ، أو نقصِ الحسناتِ، وكلاهُما مُنْتَفٍ عَنِ اللهِ تَعالى.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ بذكْرِ مبادِئِها ونهاياتِها.

٢- الساعةُ لا تأتي إلّا بغتة.

٣- النّفخُ في الصُّورِ نفختانِ، النّفخةُ الأُولى نفخةُ الصَّعْقِ والموتِ، والنفخةُ الثّانيةُ نفخةُ البَعْثِ.

٤- يتعجّبُ الكفّارُ ويفزعونَ مما يَرَوْنَ من شدائِدِ الأَهوالِ عِنْدَ البَعْثِ.

٥- عندَ حدوثِ النَّفْخَةِ الثّانيةِ يقومُ النّاسُ من قبورِهِم مسرعينَ إلى لقاءِ ربِّهِمْ للحسابِ والجزاءِ.

٦- تقريرُ العَدْلِ الإلهيِّ يومَ الحسابِ والجزاءِ؛ لِيطْمَئِنَّ كُلُّ عاملٍ على أَنَّهُ يُجْزى بِعَمَلِهِ بلا ظُلْمٍ.

الدَّرسُ الخامسُ

نَعيمُ أهلِ الجَنَّةِ

الآياتُ (٥٥- ٥٨) من سورةِ يَس

﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
فَٰكِهُونَ	مُتنعِّمون مُتلذِّذون
ٱلۡأَرَآئِكِ	جمعُ أريكةٍ وهو السَّريرُ المزيّنُ
يَدَّعُونَ	يطلبونَ ويتمنَّونَ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

نَعيمُ أهلِ الجَنَّةِ:

بعد أن بيّنَ اللهُ تَعالى حدوثَ البعْثِ وما يكونُ في يومِ القيامَةِ مِنَ الجزاءِ العادلِ، وَأنَّ مصيرَ المؤمنينَ الجنَّةُ، وقَرارُ الكافرينَ النَّارُ، بدأَ تعالى ببيانِ نَعيمِ أَهلِ الجنَّةِ، تَرغيبًا في الْعملِ الصّالحِ، فَذَكرَ تعالى بعضًا مِنْ هذا النَّعيمِ:

النَّعيمُ الأوَّلُ: انشغالهُم بالنّعيمِ وَالسّرورِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ أَيْ: إنَّ أهلَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ في شغلٍ بالنَّعيمِ المُقيمِ والفوزِ العظيمِ عمّا سواهُ، فهم فيها فاكهونَ مَسْرورونَ مُنَعَّمونَ بأعلى درجاتِ النّعيمِ.

وَعبَّرَ عَنْ حالِ أَهلِ الجَنَّةِ بالجُملةِ الاسْميَّةِ المؤَكَّدةِ، للإشعارِ بأَنَّ هَذِهِ الحال ثابتةٌ لهم ثُبوتًا تامًّا بِفضلِ اللهِ تعالى وكرمِهِ، وتنكيرُ الشُّغْلِ لِتفخيمِ وتعظيمِ نَعيمِ أهلِ الجَنَّةِ.

النَّعيمُ الثّاني: جُلوسهم مع أزواجِهم في الظِّل مُتَّكِئينَ، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ أَيْ: إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يكونون مع أزواجِهم من الحورِ العينِ في ظلالِ الجَنَّةِ فلا شمسَ فيها ولا حَرَّ، وهم فيها متَّكِئونَ على السُّررِ المنجَّدةِ المزيّنةِ بالسّتائرِ، والاتّكاءُ يدلُّ على كَمالِ الرّاحَةِ والطُّمأْنينةِ والسُّرورِ، وَتَنْكيرُ الظِّلالِ للتّفخيمِ والتَّعْميمِ، فيعُمُّ كُلُّ ظِلٍّ يَجِدُ فيهِ أَهْلُ الجَنَّةِ راحتَهم وأُنْسَهم، سَواءٌ أكانَ ظِلَّ عَرشِ الرَّحمنِ، أم ظِلَّ الأشجارِ، كقولِهِ ﷺ: «إِنَّ في الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها» البخاري.

وقد وصفَ اللهُ تعالى ظلَّ الجنةِ في القرآنِ الكريمِ بعدّةِ أوصافٍ منها:

- أَنَّه ظليلٍ، قالَ تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[1] أَيْ: كثيفٌ لا يأتيهِ حرٌّ أبدًا.
- أَنَّهُ دائمٌ لا ينقطعُ، قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[2].
- أَنَّهُ ممدودٌ، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[3].

النَّعيمُ الثّالثُ: تمتُّعهُم بالفواكه الكثيرة، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أَيْ: لهم في الجنَةِ فاكهةٌ كثيرةٌ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[4]، وهي ثمارٌ كثيرةٌ جدًا لا يُحْصيها العدُّ، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[5]، ومن كثرةِ ثمارِ الجنَّةِ يَظُنُّ أَهلُها أَنَّهُم رأَوها في الدُّنيا من قبلُ فإذا هي أنواعٌ جديدةٌ متشابهةٌ في شَكلِها ولونِها لكنّها مختلفةٌ في طَعْمِها وريحِها قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾[6].

١- سورة النساء: ٥٧
٢- سورة الرعد: ٣٥
٣- سورة الواقعة: ٣٠
٤- سورة الزخرف: ٧٢-٧٣
٥- سورة محمد: ١٥
٦- سورة البقرة: ٢٥

وقد وَصَفَ اللهُ تَعالى فاكهة الجنَّةِ في القرآنِ الكريمِ بِعدّة أوصافٍ، منها:

- أَنَّها لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ أيْ: دائمةٌ لا نفادَ لَها، قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

- أَنَّها مُذَلَّلَةٌ لأَهلِ الجنّةِ وقريبةٌ منْهُم إنْ شاءوا أَكَلوا، وإن شاءوا أَمْسَكوا، كما قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]. قال البراءُ بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أيْ: قريبةٌ، يتناولُها أحدُهم وهو نائمٌ على سريرِهِ».

النَّعيمُ الرَّابعُ: يعطيهُمُ اللهُ كُلَّ ما يَتمنُّونَ، قال تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ أيْ: لَهم في الجنَّةِ جميعُ ما يطلبونَه مِن مطالبَ وما يتمنُّونه مِن أمنياتٍ، وفي الحديث القُدْسي قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قالَ: أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ». رواه الشيخان.

النَّعيمُ الخَامِسُ: تحيةُ اللهِ لَهُم بالسّلامِ، قالَ تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ أيْ: ولهم في الجنَّةِ تحية السلامِ تُقالُ لَهم مِنْ رَبِّهم الرحيم بهم تعظيمًا وإكرامًا لهم، فعَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قال رَسول الله ﷺ: « بَيْنَما أَهْلُ الْجَنَّةِ في نَعيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نورٌ، فَرَفَعوا رُؤوسَهُمْ، فَإِذا الرَّبُّ تَعالَى قَدْ أَشْرَف عَلَيْهِمْ، فَقالَ لَهُمْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾، قالَ: فَيَرْفَعونَ رُؤوسَهُمْ، فَيَنْظُرونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، قالَ: وَيَحْتَجِبُ عَنْهُمْ، فَيَبْقَى نورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ وَعَلى دِيارِهِمْ، ثُمَّ يَبْعَث إِلَيْهِمْ مُنادِيًا فَيُناديهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ أَجْمَعينَ، فَيَقولُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يا أَهْلَ الْمُلْكِ الدَّائِمِ وَالنَّعيمِ الْمُقيمِ وَالْحَياةِ الَّتي لا مَوْتَ فيها! إِنَّ رَبَّكُمْ لَيَقولُ: أَرَضيتُمْ عَنِّي، فَيَقولونَ: سُبْحانَ رَبِّنا، قَدْ رَضينا عَنْهُ الرِّضا كُلَّهُ. فَيَقولُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَإِنَّ رَبَّكُمْ، يَقولُ: هَلْ لَكُمْ مِنْ حاجَةٍ؟ فَيَقولونَ: سُبْحانَ رَبِّنا ! قَدْ أَعْطانا حَوائِجَنا وَفَوْقَ حَوائِجَنا. فَيَقولُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ

١- سورة الواقعة: ٣٢-٣٣

٢- سورة الحاقة: ٢٢-٢٣

يَقولُ: فَإِنِّي سَأُعْطيكُمْ رِضْواني، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، فَتَتَعاظَم الْجَنَّةُ، وَيَزْدادُ كُلُّ شَيْءٍ فيها أَضْعافًا حُسْنًا». رواه الدار قطني في صحيحه.

من هداية الآيات:

١- تَقريرُ البَعثُ يومَ القِيامةِ.

٢- بَيانُ انشغالِ أهلِ الجنّةِ بالنعيمِ المقيمِ.

٣- سلامُ اللهِ تعالى على أهلِ الجَنَّةِ.

٤- بَيانُ ما يتمتَّعُ بِهِ أَهلُ الجنَّةِ مِنْ السَّلامةِ مِنْ جَميع الآفاتِ بسلامِ ربهِم عليهم.

١- سورة التوبة: ٧٢

الدَّرسُ السّادِسُ

غِوايةُ الشَّيْطانِ لِبَني آدَمَ

الآياتُ (٥٩- ٦٨) مِنْ سورةِ يَس

﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱمۡتَٰزُواْ	تَمَيَّزوا وانْفَرَدوا
جِبِلّٗا كَثِيرًا	خَلْقًا كثيرًا
نُنَكِّسۡهُ	نُرْجِعْهُ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

انفرادُ الكُفّارِ عَنِ المُؤمنينَ يومَ الْقِيامةِ:

بعدَ أنْ ذكَر اللهُ تَعالى ما أعدّه للمُحْسنينَ مِنْ نعيم مقيم أَعْقَبَهُ بذكرِ حالِ الـمُجْرمينَ، فقالَ تَعالى: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ أَيْ: يُقالُ للمجرمينَ على سبيلِ التَّوبيخِ والإهانةِ: انْفَصِلوا أَيُّها المجرمونَ عن المؤمنينَ، وابتعدوا عنهم فمصيرُكم غيرُ مصيرِهِمْ فاليومَ قدْ أُعِدَّ لكمُ العذابُ في جهنمَ،

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

طاعةُ الشّيطانِ رأسُ الضَّلالِ:

ثمَّ وبّخَ اللهُ تَعالى المجرمينَ على كُفرهم بِهِ وطاعَتُهُمْ للشيطانِ، فقالَ تَعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ أَيْ: لَقَدْ عهدتُ إليكم - يا بنى آدمَ - عَهْدًا مؤكّدًا على ألسنةِ رُسُلي بأَمْرين:

الأمرُ الأَوَّلُ: أَنْ لا تَعْبُدوا الشّيطانَ وأن لا تستَمِعوا لِوَسْوَسَتِهِ، لأَنَّهُ عدوٌ لكم ظاهِرُ العداوةِ.

الأمرُ الثّاني: أنْ تَعْبدوني وَحْدِيَ دونَ غيريَ.

فهذا العهدُ هو الصّراطُ المستقيمُ، الذي كان يجبُ عليكُم أن تَتّبعوهُ، ولا تَتّبعوا غَيْرَهُ.

وقَدْ وَصَلَ عَهْدُ اللهِ تَعالى إلى عبادِهِ بِعدّةِ طرقٍ، مِنْها:

١- طريقُ الرُّسلِ عليهم السلام الَّذينَ بَلَّغوا أوامرَ اللهِ ونواهيهِ إلى الخَلْقِ.

٢- طريقُ الكُتُبِ التي أَنزلَها اللهُ تَعالى على رُسُلِهِ عليهم السلام وقد بيَّنَتْ مُرادُ اللهِ تَعالى مِنْ خَلْقِهِ.

٣- طريقُ الأدلّةِ التي أوجَدها اللهُ تَعالى في الكونِ وفي أَنْفُسِهم، وكُلُّها تدلُّ على اللهِ تَعالى.

ثم بيَّنَ اللهُ تَعالى أَثَرَ عداوةِ الشَّيطانِ لبني آدمَ، فقالَ تَعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ أَيْ: ولقدْ صَدّ الشيطانُ منكُمْ خَلْقًا كثيرًا عَنْ طاعتي وإفْرادي بالأُلوهيّة فاتَّخَذوا مِنْ دوني آلهةً يعبدونَها.

ثُمّ زادَ في توبيخهمْ والإنكارِ عليهمْ فقالَ تَعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ أَيْ: أفلَمْ يَكُنْ لكمْ عقلٌ فتعلَموا أَنّه عَدُوٌّ لَكم منذ أن رَفَضَ السّجودَ لِأبيكم آدمَ وأَقسمَ بعزّةِ اللهِ لَيُغْوِينَّكم. والاستفهامُ للتّوبيخِ.

١- سورة الروم: ١٤-١٦

ثم نبَّههُم اللهُ تَعالى على جزائِهم الذي يستحقّونَ، فقالَ تَعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أَيْ: هذهِ جهنّمُ التي كُنْتم تُوعدونَ بها أيّها الكافرونَ في الدُّنيا، وَكُنْتُمْ تقابلونَ ذلكَ بالسُّخريةِ والتَّكذيبِ، احترقوا بلهيبِها وسعيرِها بسببِ كُفْرِكُمْ في الدُّنيا باللهِ العظيمِ.

فائدةٌ: نوعُ الاستفهامِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾: لِلتَّقْريرِ، أيْ إثباتُ الحُكْمِ لا نَفْيُهُ، والمقصودُ مِنْهُ: التّوبيخُ والتّأنيبُ.

قاعِدَةٌ: كلّما جاءَ النّفيُ بعد أداةِ الاستفهامِ فإنَّ نوعَ الاستفهامِ غالبًا للتّقريرِ، أمّا المقصودُ مِنْه فيُراعى حَسَبَ سياقَ الكلامِ.

الخَتْمُ على أفواهِ المجرمينَ يومَ الْقيامَةِ:

ثُمّ تنتقلُ السُّورةُ الكريمةُ بعدَ ذلكَ لتَحكي لنا جانبًا آخرَ مِنْ أحوالِ الكافرينَ في هذا اليوم العَصيبِ، حينَ يُنكرونَ ما فَعَلوا، فَيختمُ اللهُ تَعالى على أفواهِ الكافرينَ فيجعلُها لا تَنْطِقُ، وإنّما تتكَلَّمُ أيديهُمْ، وتَشهدُ عليهِمْ أَرْجُلُهُم بِما كانوا يكسبونَه في الدُّنيا مِنْ أقوالٍ باطلةٍ وأفعالٍ قبيحةٍ، وسمّى اللهُ تَعالى نُطقَ الأيديْ كلامًا، ونطقَ الأَرْجُلِ شهادةً، لأَنّ الأيديَ فَعَلَتِ المعاصِيْ - غالبًا -، أمّا الأرجلُ فهيَ حاضرةٌ وتشهدُ على غيرِها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، قالَ: كُنَّا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقالَ: «أَتَدْرونَ مِمَّ أَضْحَكُ»؟ قالَ: قُلْنا اللهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «مِنْ مُخاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقولُ: يا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْني مِنَ الظُّلْمِ؟ قالَ: فَيَقولُ: بَلَى، قالَ: فَيَقولُ: فَإِنِّي لا أُجيزُ عَلى نَفْسي إِلا شاهِدًا مِنِّي، قالَ: فَيَقولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهيدًا وَبِالْكِرامِ الْكاتِبينَ شُهودًا، قالَ: فَيُخْتَمُ عَلى فيهِ، وَيُقالُ لأَرْكانِهِ: انْطِقي، قالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمالِهِ، قالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ، فَيَقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ»

رواه مسلم.

اللهُ تعالى حليمٌ على مَنْ عصاهُ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى قدرَتَهُ على الكافرينَ في الدُّنيا وأظهرَ حِلْمَهُ عليهِمْ وفضلَهُ بِهِمْ، فهمْ في قَبْضَتِهِ يستطيعُ أَنْ يفعلَ بهم ما يشاء فهدّدهم بتهديدين:

التَّهديدُ الأَوّلُ: طَمْسُ أَعْيُنِهِم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أَيْ: ولو نَشاءُ طمسَ أعيُنَهُم عِقابًا لهم على كُفْرهم بأنْ نمحوَ عنْها الرؤيةَ والإبصارَ فإذا أرادوا السَّيْرَ في الطَّريقِ فكيفَ يُبْصِرونَه؟ ولكنّنا تفضَّلْنا عليهِمْ ومتّعناهم بأعينِهِمْ، فكانَ مِنَ الواجبِ عليهِمْ أَنْ يُقابِلوا نعَمنا بالشُّكْرِ لا بالكُفْرِ.

التّهديدُ الثّاني: مَسْخُ صُوَرِهِمْ، قالَ تعالَى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَرَدْنا لحوّلناهم وهمْ جالسونَ في أماكِنِهِمْ إلى أشكالٍ قبيحةٍ ينفُرُ منْها النّاسُ كالقردةِ والخنازيرِ، فلا يَقْدِرونَ على ذهابٍ ولا مجيءٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ دليلَ قُدرتِهِ على طَمْسِ أَعْيُنِهِمْ ومسخِ صُوَرِهِمْ، بما يرونَهُ في أنفسِهِمْ مِنْ تغيّرِ أطوارِ العُمْرِ ضَعْفًا وقوةً، فقالَ تَعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾ أَيْ: ومن نُطِلْ عمرَهُ نردُّهُ ونقلّبُ خَلْقه إلى الضَّعفِ الذي كانَ أيامَ طفولته، فنجعلُه بقدرتِنا ضعيفًا بعد أنْ كانَ قويًا، وشَيخًا بعدَ أنْ كانَ شابًا فتيًّا، وناقِصَ العقلِ بعدَ أنْ كانَ كاملًا، ومثلُ هذهِ الآيةِ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[1].

ثُمَّ وَبَّخَهُمُ اللهُ تَعالى على غَفْلَتِهِمْ، فقالَ: ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أَيْ: أفلا يعقلونَ أَنَّ مِنْ قَدِرَ على تَنْكيسِ الخَلْقِ يَقْدِرُ على الطَّمْسِ والمَسْخِ.

١- سورة الروم: ٥٤

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ المعادِ وبيانُ تفرّقِ المُجرمينَ عن المؤمنينَ فيهِ.

٢- تأكيدُ عداوةِ الشيطانِ للإنْسانِ والتّحذيرُ مِنْهُ .

٣- عَجْزُ الإنسانِ يومَ القيامةِ عَنْ كِتْمانِ شَيْءٍ مِنْ أعمالِهِ السيِّئةِ.

٤- التّحذيرُ مِنْ عُقوبةِ اللهِ تَعالى في الدُّنيا بالمَسْخِ وَنَحْوِهِ.

٥- أعضاءُ الإنسانِ التي كانَتْ عَوْنًا لَهُ على المَعاصِي، صارَتْ شاهدةً عليهِ يومَ القيامةِ.

٦- قُدرةُ اللهُ تَعالى في ردِّ الإنسانِ بعدَ القُوةِ إلى حالةِ الضَّعفِ الأُولى.

الدَّرسُ السّابعُ

عَظَمةُ القرآنِ الكَريم

الآياتُ (٦٩- ٧٠) مِنْ سورةِ يَس

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَا يَنْبَغِي لَهُ	لا يُمْكِنُ لَه
لِيُنذِرَ	لِيَحْذَرَ
وَيَحِقَّ	يَثْبُتُ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

ما كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ شاعرًا:

بعدَ أنْ هدّد اللهُ تَعالى الكافرينَ بِطَمْسِ أبصارِهِمْ ومسخِ صُوَرِهِمْ على كُفْرِهِمْ بِهِ تعالى، أعْقَبَ ذلكَ بالردِّ عليهِمْ حينَ ادّعوا كَذِبًا وزورًا أنَّ محمّدًا ﷺ شاعرٌ، وأنَّ ما يقولُهُ شِعْرٌ، قاصدينَ بِذَلِك تكذيب الرَّسولِ ﷺ، وإبطالَ الوَحي الذي نَزَلَ على النَّبيِّ ﷺ لأجلِ أنْ يَخْدَعوا الناسَ بالقولِ الزّائِف، فمدَح اللهُ تَعالى رَسولَهُ محمّدًا ﷺ وَمَدَحَ القرآنَ الذي أنْزَلَهُ عليهِ فقالَ تَعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ﴾ فَنَفَى اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ أَمْرين:

١- نَفَى أنْ يكونَ القرآنُ شِعْرًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ أَيْ: لَمْ نُعَلِّمْ نَبيَّنا محمدًا ﷺ الذي أرْسلناهُ إليكمْ شِعْرًا يُلْقيه على مسامِعِكُمْ، وإنّما علّمْناه القرآنَ الكريمَ.

٢- نفى أَنْ يكونَ النَّبيُّ ﷺ شاعرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أَيْ: لا يمكنُ ولا يليقُ أنْ يكونَ النبيُّ محمدٌ ﷺ شاعرًا، لأن الشِّعْرَ يعتمدُ على الخيالِ والمبالَغةِ ويدعو إلى الكَذب وأهْلُ مكَّةَ يَعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صادقٌ أمينٌ، ويعلمونَ كذلكَ أنّ الشِّعْرَ ليسَ مِنْ طَبْعِهِ ﷺ ولا يَقْدِرُ عَليهِ، ولَوْ قالَ الشعرُ يومًا ولَوْ بيتًا واحدًا لانتشرَ ما قالَهُ بَيْنَ الكافرينَ وتناقَلوهُ ليكَذِّبوا رسولَ اللهِ ﷺ ولكنّهُمْ يعلَمونَ أنَّهُ ليسَ بشاعِرٍ ويعلَمونَ أنَّ ما أُنْزِلَ عليهِ ليسَ شِعْرًا.

القرآنُ الكريمُ ذِكرٌ للنّاسِ:

وبعدَ أَنْ أكَّد اللهُ تَعالى أَنَّ القُرآنَ ليسَ بِشِعرٍ وأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ليسَ بشاعرٍ أَثْبَتَ سُبْحانَهُ للقرآنِ الكريمِ صِفَتينِ:

الصِّفَةُ الأُولى: أَنَّهُ ذِكرٌ، قال تَعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ أَيْ: إنَّ القرآنَ الكريمَ مواعظُ وَإرشادٌ، يُرشِدُ العبادُ الذينَ يُؤمنونَ بِهِ إلى ما فيهِ نَفْعُهُمْ وهدايَتُهُمْ في معاشِهِمْ ومعادِهِمْ، وقد سُمِّيَ القرآنُ الكريمُ ذِكْرًا لاشتمالِهِ على منافِعَ متعددةٍ، مِنْها:

١- الشَّرَفُ: فالقرآنُ الكريمُ شرفٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ لِنُزولِهِ مِنَ اللهِ جَلَّ جلالُهُ.

٢- التّذكيرُ والوعْظُ: فالقرآنُ الكريمُ فيهِ تذكيرٌ وَوَعْظٌ لِلنّاسِ.

٣- ذِكْرُ اللهُ تَعالى: فَمَنْ قَرَأَ القرآنُ الكريم فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى.

الصِّفَةُ الثّانيةُ: أَنَّهُ قرآنٌ مُبينٌ، قالَ تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ أَيْ: وَهْوَ قرآنٌ يَقْرَأُهُ النّاسُ فيجدونَ فيهِ شفاءَ قلوبِهِم وطمأنينَةَ صُدورِهِمْ، وَهْوَ واضِحٌ في لَفظِهِ وأُسلوبِهِ، مُبَيِّنٌ للنّاسِ الأحكامَ الشرعيةَ والآدابَ، والأخلاقَ الفاضلةَ الّتي ينبغي التَّعاملَ بها فيما بَيْنَهُم.

القرآنُ الكريمُ منذرٌ للنَّاسِ:

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى حِكمتينِ مِن حِكَمِ نُزولِ القرآنِ الكريمِ:

الحِكْمَةُ الأُولى: الإنذار، قالَ تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ أَيْ: إنَّ هذا القرآنَ يبيّنُ للناسِ الأَعمالَ الّتي تُغْضِبُ ربَّهم فيجبُ أَنْ يَحْذَرَها كُلُّ مِنْ كانَ حَيَّ القَلْبِ، مُسْتَنيرَ البصيرةِ، فَيؤمِنُ باللهِ تعالى ويَعْبُدُهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وَيَعْمَلَ الصالحاتِ وَيُسارعُ إلى الخَيْراتِ.

الحِكْمَةُ الثَّانِيةُ: إقامةُ الحُجَّةِ، قال تعالى: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أَيْ: وَيوجِبُ العذاب على الكافرينَ العاصينَ لأوامرِ ربِّهم، لأنَّ الحُجَّةَ قامَتْ عليهِمْ بنزولِ الْقرآنِ وتبليغِهِمْ بدَعوَتِهِ فَمَنْ عانَدَ وَكَفَرَ فلا عُذْرَ لَهُ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الواقعُ يؤَكِّدُ كَذِبَ المشركينَ في اتّهامِهِمُ القرآنَ الكريمَ بأَنَّهُ شِعْرٌ، لأَنَّ القرآنَ الكريمَ ليسَ على نَهْجِ الشِّعْرِ ولا نظامِهِ، فالكُفّارُ وجميعُ العربِ يعلمونَ أَنَّ الشعرَ لَهُ وزنٌ خاصٌ، يَنْتَهي كُلُّ بيتٍ مِنْهُ بحَرْفٍ خاصٍّ يُسَمَّى قافيةً.

الفائدةُ الثانيةُ: ما وَرَدَ على لسانِ الرسولِ ﷺ مِنْ أقوالٍ موزونةٍ تشبهُ الشِّعرَ مثل قولِهِ ﷺ يومَ حُنَينَ يحثُّ النَّاسَ على الجهادِ: أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ... أنا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، فَهُوَ مجرّدُ كلامٍ جَرى على لِسانِهِ مِنْ غيرِ تَكَلُّفٍ ولا صَنْعَةٍ ولا قَصْدٍ ولا يُعَدُّ مِنَ الشِّعْرِ.

الفائدةُ الثالثةُ: لَقَدِ استَمعَ النبيُّ ﷺ للشِّعْرِ الحَسَنِ ذي الفائدَةِ وَالحِكمةِ، فَقَدْ كانَ يَسْمَعُ شِعْرَ حَسَّانُ بْنُ ثابتٍ رضي الله عنه، ويَسْمَعُ شِعْرَ عبدِ اللهِ بنِ رواحَةَ رضي الله عنه واسْتَمَعَ لبعضِ الصَّحابَةِ فَقَدْ قال للشَّريدِ الثقفيّ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا»، قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: «هيهِ» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقالَ: «هيهِ»، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقالَ: «هيهِ»، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِئَةَ بَيْتٍ» (رواه مسلم) ومَعْنَى «هيهِ»: زدني، أمّا ما وَرَدَ عَنْهُ ﷺ كما رَواه الشيخانِ مِنْ أَنَّ الشِّعْرَ أَبْغَضُ الحديثِ إليْهِ، فالمَقْصودُ بِهِ الشِّعْرُ الباطِلُ الفاسِدُ.

الفائدةُ الرابعَةُ: إِنَّ اللهَ تَعالى جعلَ رَسولَهُ ﷺ أُمِّيًّا لا يقرأُ ولا يكتُب، وَمَنَعَهُ قولَ الشِّعرِ ليدفعَ كُلَّ شُبهةٍ عَنْ رَسولِهِ ﷺ وَعَنْ دينِ الإسْلامِ.

الفائدةُ الخامِسَةُ: أجمع الْعُلَماء كافَّة على أن الشِّعرَ الخالي مِنْ كُلِّ ما يُخِلُّ بالدين كالكذبِ والرّياءِ والفُحْشِ فَهُوَ مُباحٌ، وقالوا: الشِّعر كَلامٌ، حَسَنه حَسَن، وَقَبيحه قَبيح. واستدلُّوا بالأخبارِ الكثيرة الّتي ورَد فيها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ سَمِعَ الشِّعْر، وَاسْتَنْشَدَهُ، وَأَمَرَ بِهِ حَسَّان في هِجاء الْمُشْرِكينَ، وَأَنْشَدَهُ أَصْحابه بِحَضْرَتِهِ في الْأَسْفار وَغَيْرِها، وأثنى ﷺ على الشعر الطَّيب فقال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً» (رواهُ البُخاريُّ) وَأَنْشَدَهُ أَئِمَّة الصَّحابَة وَفُضَلاء السَّلَف، وَلَمْ يُنْكِر أَحَد مِنْهُمْ الشِّعْرَ الحسنَ، وَإِنَّما أَنْكَروا الْمَذْموم مِنْهُ وهو الشِّعْرُ الّذي يَعتَمِدُ على قبيح الكلام فَهُوَ مِنَ الشِّعْرِ الّذي أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبي ﷺ بقوله: «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا» (رواه البخاري ومسلم)، وقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعالى الشُّعراء الكذّابينَ الذينَ يتّبعونَ الباطلَ ولا يقولونَ الحَقَّ بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1].

مِنْ هِداية الآيات:

١- تَقْريرُ النُّبُوَّةِ المُحمَّدِيَّةِ وأنَّ القُرآنَ ذِكْرٌ وليسَ بِشِعْرٍ كَما يقولُ المُبْطِلونَ.

٢- لا يُمْكِنُ للنَّبيِّ ﷺ أنْ يَقولَ الشِّعْرَ.

٣- الحِكْمَةُ مِنْ نُزولِ القُرآنِ الْكريمِ هِيَ إنْذارُ مِنْ كانَ حَيَّ الْقلبِ مُسْتَنيرَ البصيرَةِ.

٤- عاقِبَةُ الكافرينَ هِيَ النّارُ وبِئْسَ القَرارُ.

١- سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧

الدَّرسُ الثَّامِنُ

نِعَمُ اللّٰهُ تَعالى على الإنْسانِ

الآياتُ (٧١- ٧٦) مِنْ سورةِ يَس

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ذَلَّلْنَـٰهَا	سَخَّرناها
مِن دُونِ ٱللَّهِ	مِنْ غَير اللهِ
مُّحْضَرُونَ	مُعَدُّون لِحفظِهِمْ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

تَسْخيرُ الأنعامِ نعمةٌ مِنَ اللهِ تَعالى:

لّما بَيّنَ اللهُ تَعالى عقائدَ المشركينَ الضَّالّةَ وما يَنْتَظرهم في الآخرةِ مِنَ العذابِ، أَعْقبَهُ ببيان بعض مِنْ نعمهِ ليوبّخَ الكافرينَ وينذرَهُمْ ويعظَهُمْ لعلّهم يرجعون إلى ربِّهم، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ أَيْ: أعميَ هؤلاءِ المشركونَ عَنْ مَظاهرِ قُدْرتنا، وَلَمْ يَروا بأعْيُنِهم، ويَتَفَكَّروا بعقولهم أنّنا خلقنا لهُمْ أنْعامًا مِنَ الإبلِ والبَقرِ والغَنَمِ وملّكناهُمْ إيَّاها يَتَصَرَّفونَ

فيها ويَنْتفعون بها كما شاؤوا، ألا يستدلوا بذلكَ على وَحْدانيتِنا وكَمالِ قُدْرَتِنا؟! والاستفهامُ في قولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ للتَّقْريرِ، والمَقْصودُ مِنْه: الإنكارُ والتَّوبيخُ، وذَكَرَ كلمةَ ﴿أَيْدِينَآ﴾: للدلالَةِ على عنايةِ اللهِ تَعالى بِبَنِيْ آدَمَ وتكريمِهِ لَهُمْ، وتخصيصُ الأَنْعامِ بالذِّكرِ دون بقيَّةِ البهائِمِ: لعِظَمِ منافِعِها للنّاسِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مِنَّتَهُ على عبادِهِ فذلَّلَ لهُمُ الأنعامَ، فقالَ: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ أَيْ: جَعَلْنا الأنعامَ مقهورةً ومسخَّرةً لَهُمْ لا تمتَنِعُ مِنهُم، فَهْيَ مطواعةٌ لِما يُريدونَهُ مِنْها، سَهْلَةُ القيادَةِ تَنْقادُ للصَّغيرِ والكبيرِ، فَلَوْ جاءَ صَغيرٌ إلى بعيرٍ لَأَناخَهُ، ولو شاءَ لأَقامَهُ وساقَه وَهْوَ ذَليلٌ مُنْقادٌ مَعَهُ، وَكَذا لَوْ كانَ القطيعُ مئةَ بَعيرٍ لَسارَ الجميعُ بسيرِ الصَّغيرِ، فسُبْحانَ مِنْ سَخَّرَ هذا لعبادِهِ!!.

ثُمَّ فَصَّلَ اللهُ تَعالى بعضَ آثارِ تَذْليلِ الأَنعامِ لِبَني آدَمَ فَمِنْ هَذِهِ الآثارُ: الرُّكوبُ، والأكلُ، والشّربُ ومنافعُ الحياةِ دلَّ على هذهِ الآثارُ قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾ أَيْ: بَعْضُ هذِهِ الأَنعامِ يستعملونَها في رُكوبِهِم والانتقالُ عَليها مِنْ مكانٍ إلى آخرَ كالإبلِ، ومِنْها ما يستعملونَهُ في مآكِلِهم عَنْ طريقِ ذَبحِهِ كالبقرِ والغنمِ، ولَهُمْ في تلكَ الأنعامِ منافعُ أُخرى، كالانْتفاعِ بِها في الحِراثَةِ وفي نقلِ الأَثقالِ، والاسْتفادةِ مِنْ أَصوافِها وأَوبارِها وأَشعارِها أثاثًا ومتاعًا، ولَهُمْ فيها أيضًا مشاربُ حيثُ يَشْرَبونَ مِنْ ألبانِها.

ثُمَّ حَثَّ اللهُ تَعالى العِبادَ على شُكْرِهِ، فقالَ تَعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: فهلاَّ يشكرونَ اللهَ تَعالى على هذهِ النِّعمِ الكثيرةِ، فَيُخْلِصونَ لَهُ العبادةَ والطّاعَةَ، والاستفْهامُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ للحَثِّ على الشُّكرِ.

عَجْزُ آلهةِ المشركينَ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى في الآياتِ الكريمةِ موقفَ المشركينَ مِنْ هذهِ النِّعَمِ فَلَمْ يتوجَّهوا إلى رَبِّهم بالعبادةِ والشُّكرِ، بَلْ زادوا في ضَلالِهِمْ، وأَقبَلوا على عبادَةِ مَنْ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ، فقالَ تَعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن

﴿ دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أَيْ: واتّخَذَ هؤلاءِ المشركونَ مِنْ دونِ اللهِ آلهةً يعبدونَهُمْ، مُتوهِّمين أنَّها تَنْصُرُهُمْ عِنْدما يَطْلُبونَ نَصْرَها، أوْ تَدْفَعُ عنْهم ضرًّا عِنْدَما يَدْعونَها، فردَّ اللهُ تَعالى عليهم مبيّنًا بُطلانَ آرائِهم، وخَيبةَ رجائِهم، فقَالَ: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ أَيْ: هَذهِ الآلِهةُ المزعومةُ لا يستطيعونَ نَصْرَ هؤلاءِ الْكافرينَ، لأنَّها لا تَقْدِرُ على نصرةِ نَفسِها، لأنها جمادٌ لا تسمعُ ولا تَعقلُ، فكيف تَنْصُرُ غيرَها فَهِيَ أَضْعَفُ مِنْ ذَلكَ وأَحْقَرُ.

ثُمَّ زادَ اللهُ تَعالى الكافرينَ حَسْرَةً وتَبْكيتًا وتَوبيخًا، فقَالَ: ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أَيْ: وهذِهِ الآلهةُ التي يَعْبُدُها المشركونَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى، ستَكونُ لَهُمْ جُنْدًا يحضِرُهُمْ اللهُ تَعالى مَعَهُم في النَّارِ، ليزيدَهُمْ بها عَذابًا وإحراقًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1].

فائدةٌ: يوجَدُ تفسيرٌ آخرُ لقولِهِ تَعالَى: ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾، أَيْ: هؤلاءِ الكُفَّارُ لِجهلِهِم وسَفَهِ عقولِهِم، قَدْ صاروا في الدُّنيا جُنودًا يَخْدِمونَ هذِهِ الآلِهةَ، ويقفونَ على رعايَتِها والدفاعِ عَنْها وحفظِها، فكيفَ تَنْصُرُ هذِهِ الآلهةُ عابِديها وهي لا تَنْصُرُ نَفْسَها، وهُمْ الذينَ يَنْصُرُونَها.

تَسلِيةُ الرَّسولِ ﷺ:

ثُمَّ سَلَّى اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ وسَرَّى عَنْهُ ما يَلْقاهُ مِنْ أذى قومِهِ، فقالَ تَعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أَيْ: لا يحزُنْكَ أيُّها الرَّسولُ اتّهامُ هؤلاءِ المشركينَ لكَ بقولِهِم: إنَّكَ شاعرٌ أو ساحرٌ أو كاهنٌ أَوْ أَنَّكَ لَسْتَ مُرْسَلًا، فَكُلُّ هذِهِ أقوالٌ باطلةٌ، فإنَّا نعلمُ عِلْمًا تامًّا ما يُسِرُّونَهُ مِنْ حَسَدٍ لَكَ وَحِقْدٍ عليكَ ونفوسُهُمْ موقِنَةٌ أنَّكَ نَبِيٌّ يوحَى إليكَ وأنَّكَ لَسْتَ بِكَذَّابٍ ولا شاعِرَ، ونعلَمُ ما يُعْلِنونَ مِنْ كُفْرٍ وَكَذِبٍ، وإنَّا مُجازوهُم عَلى ذَلكَ، ومُعاقبوهُمْ عَلَيْهِ.

وهذِهِ الآيةُ فيها تَطْمَينٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وتهديدٌ للمُشْرِكينَ.

١- سورة الأنبياء: ٩٨-٩٩

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- خلْقُ الأَنعامِ للنّاسِ مِنْ أدلّةِ وجودِ اللهِ تَعالى وَوَحْدانيَّتُهُ ورحمَته.

٢- وُجوبُ شُكْرِ النِّعَمِ وحمدِ اللهِ عليها، وصَرْفِها في رِضاهُ.

٣- بَيانُ جَهْلِ المُشرِكينَ حيثُ عَبَدوا آلهةً مِنْ دونِ اللهِ، طَمَعًا في نُصرَتِها وَهيَ لا تَنْصُرُ نَفْسَها.

٤- تَسْلِيَةُ اللهُ تَعالى لِنَبيه ﷺ وَنَصْرُهُ دائِمًا.

٥- اللهُ تَعالى عليمٌ بِما يُسِرُّ الكافرونَ وبِما يظهرونَ مِنَ القولِ والعملِ، وسَيُجازيهِمْ بذلكَ يومَ القيامَةِ.

الدَّرسُ التّاسِعُ

مظاهرُ قُدرةِ اللهِ تَعالى

الآياتُ (٧٧- ٨٣) مِنْ سورةِ يَسَ

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
خَصِيمٌ	شديدُ الخُصومَةِ
رَمِيمٌ	باليةٌ
تُرْجَعُونَ	تَرُدُّونَ

المَعنى الإجْماليُّ:

جَدَلُ الإنسانِ وخُصومَتُهُ في إنكارِ البَعْثِ:

بَعْدَ أَنْ رَدَّ اللهُ تَعالى على باطلِ المُشْرِكينَ في اتّخاذِهِمْ آلهةً تَنْصُرُهُمْ، وهي لا تستطيع نصر نفسها، ساقَ الأدلّةَ على البعثِ ورَدَّ على شُبَهِ وأباطيلِ المُكذِّبين به المُنْكرينَ لوقوعِه، فقالَ تَعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أَيْ: أَغْفَلَ الانسانُ المنكرُ للبعثِ ولم يَعْلَمْ أنّا خَلقناهُ مِنْ نطفةٍ حقيرةٍ مهينةٍ ثم سَوّيناهُ رجلًا فإذا هُوَ شديدُ الخُصومةِ واضحُ الجَدلِ في قدرةِ اللهِ تَعالى

على البعثِ، فلو تَفَكَّر هذا المُنْكِرُ كيفَ خُلِقَ مِنْ نطفةٍ حقيرةٍ ما أَنْكَرَ البعثَ،أليسَ الإلَهُ الذي قَدِرَ على خَلْقِ الإنسانِ مِنْ نطفةٍ، قادرٌ على أَنْ يعيدَهُ مرّة أخرى عند البَعْث؟ والاستفهامُ للتَّقريرِ، والمقصودُ مِنْهُ التَّوبيخُ.

ثُمّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى ما ساقَهُ هذا الكافرُ في جدالِهِ وخصومَتِهِ، فقالَ تَعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ أَيْ: وَأَوْرَدَ لنا هذا الكافرُ أمرًا عجيبًا في ظَنِّه، حيثُ شَبَّهَ قدرتَنا بقدرةِ المَخْلوقينَ، وَنَسِيَ قُدرةَ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ، فَقالَ في مثلِهِ: مِنْ ذا الّذي يَقْدِرُ عَلى أَنْ يُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ بالية؟ والاستفهامُ للإنكار.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: ارتكبَ مُنْكِرُ البعثِ ثلاثَةَ أمورٍ بالغةٍ في السُّوءِ: الأَوَّلُ: الغَفْلَةُ عن كيفيةِ خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ، الثَّاني: تَشْبيهُ قدرةِ اللهِ تَعالى بقدرةِ البَشرِ، الثالثُ: شِدّةُ الخُصومَةِ والجَدَلِ في نَفْيِ البَعْثِ.

الفائدةُ الثانيةُ: رَوَى الحاكمُ بِسندِهِ عَنِ ابْنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قالَ: جاءَ العاصُ بنَ وائلَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ بعَظْمٍ بالٍ فَفَتَّتَهُ، فقالَ: يا محمّدُ، أيبعثُ اللهُ هذا بعدما أَرِمَ؟ قال: «نعم، يميتُك اللهُ، ثُم يُحْيِيك، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جهنَّمَ»، قالَ: فَنَزَلَتْ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ.

الأدِلّةُ المُثَبِّتَةُ للبَعْثِ المؤكِّدةُ لوقوعِهِ:

ولَمّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى شُبهةَ الإنسانِ المُنْكِرِ للبَعْثِ، شَرَعَ سُبْحانَهُ في الرَّدِ عليه بِمجموعةٍ مِنَ الأدلّةِ المُثْبتةِ للبعثِ المؤكِّدةِ لوقوعِهِ، وأمَرَ سُبْحانَهُ رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ هذه الأدِلَّةَ، وَهِيَ:

الدَّليلُ الأوَّلُ: إيجادُ الخَلْقِ مِنَ العَدمِ، دَلَّ عليه قولُه تَعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أَيْ: قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ مُجيبًا عَلى سُؤالِ هذا المُعانِدِ: اللهُ تَعالى هُوَ الذيْ يُحْيي العِظامَ الباليةَ؛ لأَنَّهُ

أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَدْ أَوْجَدَها مِنَ العَدَمِ دون أَنْ تكونَ شيئًا مَذْكورًا، وَمَنْ قَدِرَ على إيجادِ الشَّيءِ مِنَ العَدَمِ قادِرٌ مِنْ بابٍ أَوْلى على إعادَتِهِ بَعْدَ هَلاكِهِ.

فائدةٌ: إذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ بقولِهِ ﴿ قُلْ ﴾ فَهَذا يدلُّ على العِنايةِ الشَّديدةِ بِالمَسْأَلَةِ المرادِ تَبْليغُها.

الدَّليلُ الثَّاني: إحاطةُ عِلْمِهِ تَعالَى بِالمَخْلوقاتِ، دلّ عليهِ قولُهُ تَعالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أَيْ: وهو سُبْحانَهُ عليمٌ بِكلِّ مخلوقٍ في هذا الوجودِ علمًا تامًا، عليمٌ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، وعليمٌ بِهِ حينَ خَلَقَهُ، وعليمٌ بِهِ بَعدَ أَنْ خَلَقَهُ، وعليمٌ بِهِ بَعدَ موتِهِ فَهُوَ سُبْحانَهُ عَليمٌ بِالعِظامِ أَيْنَ تَفرَّقَتْ في سائرِ أقطارِ الأرضِ؟ وأَيْنَ ذَهَبَتْ؟ لا يَخْفى عَلَيهِ شيءٌ مِنْ أمرِ خَلْقِهِ، فَلا يَسْتعْصي عليهِ سُبْحانَهُ أَنْ يعيدَ كُلَّ مَخلوقٍ على ما كانَ عليهِ قبلَ موتِهِ.

الدَّليلُ الثَّالثُ: إيقادُ النَّارِ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ، دلَّ عليهِ قولُه تَعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ أَيْ: وهوَ الَّذي بدأَ خَلْقَ الشَّجَرِ مِنْ ماءٍ، حتّى صارَ أخضرَ ناضِرًا، ثم صيَّرَهُ بقدرتِهِ حطبًا يابسًا توقَدُ به النَّارُ، وَمَنْ فَعَلَ ذلكَ فَهُوَ قادِرٌ على الْبَعْثِ لا يَمْنَعهُ شيءٌ.

وَجْهُ الْاستدلال على البعثِ في هذه الآيةِ: أنّ مِنْ قَدِرَ على نَزْعِ الماءِ مِنَ الشَّجرِ الأَخضرِ وجعلَهُ عودًا يابسًا قابلًا للاحتراقِ، فهوَ أَقْدَرُ على إعادَةِ الأجسادِ بَعْدَ فَنائِها.

فائدةٌ: ذَهَبَ بَعضُ المُفَسِّرينَ إلى أنَّ المقصودَ بالشَّجرِ الأَخْضَرِ شَجَرَتانِ تُسَمَّى أحدُهُما المَرْخُ والأخرى عَفارُ، تَنْبتانِ بِأرضِ الحِجازِ، فيأخذُ منهماعودانِ أخضرانِ، ويُقْدحُ أَحَدُهما بالآخَرِ، فتتولَّدُ النَّارُ مِنْ بينِهما، فَمَنْ قَدِرَ على إخراجِ النَّارِ مِنَ الشَّجرِ الرَّطبِ قادِرٌ على إخراجِ العِظامِ وجَعْلِها بَشَرًا سَوِيًّا.

الدَّليلُ الرّابعُ: خَلْقُ السماواتِ والأرضِ، دلَّ عليهِ قولُه تَعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ أَيْ: أَليسَ الذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ مَعَ كِبَرِ حَجْمِهِما، بقادرٍ على أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ويَبْعَثَهُمْ مِنْ قبورِهِم مع صغرِهِم وَحقارةِ شَأْنِهِمْ، ولذا أجابَ تَعالى عن سؤالِهِ بِنَفْسِهِ

بقولِه تَعالى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أَيْ: بَلى هُوَ القادرُ عَلى خَلْقِ مِثْلِهِمْ فَهوَ الخَلَّاقُ المبدعُ، الكثيرُ الخَلقِ، العليمُ الواسعُ العِلمِ بكلِّ شيءٍ، كَما قال تَعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[2].

فائدةٌ: الاستفهامُ المقرونُ بالنَّفي إذا أريدَ إثباتُهُ يكونُ الجوابُ: «بَلَى»، وإذا أريدَ النّفيُ يكونُ الجوابُ «نَعَمْ».

سُرعَةُ إيجادِ اللهِ تَعالى لِلأشياءِ بِقولِ كُنْ:

ثُمَّ نَبَّهَ اللهُ تَعالَى عَلى قُدْرَتِهِ الّتي لا تَعْتَمِدُ عَلى آلاتٍ أَوْ أدواتٍ، وَسُرعَةُ استجابةِ الأَشياءِ لَهُ سُبْحانَهُ فَقالَ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أَيْ: إِنَّما شَأْنُ اللهِ تَعالى إذا أَرادَ إيجادَ شَيءٍ أَنْ يقولَ لَهُ: كُنْ، فَيَتَكَوّنُ ويحدثُ فورًا بلا تَأخيرٍ، وبدونِ تعبٍ ولا جهدٍ، ولا كُلْفَةٍ ولا عناءٍ.

اللهُ تَعالى هو المُسْتَحِقُّ لِلتَّنْزيهِ:

ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعالى نَفْسَهُ عَمَّا زَعَمَ مُنْكرو البَعْثِ، فَقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: تَنَزَّهَ رَبُّنا الحَيُّ القَيُّومُ الذي يملكُ السَّماواتِ والأَرضَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وإليهِ يَرْجِعُ العبادُ يومَ المَعادِ، فيُجازَى كُلَّ عاملٍ بِما عَمِلَ، وَهو العادلُ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ.

وختامُ هذهِ السُّورةِ الكريمةِ بِالتّسبيحِ يدلُّ على كمالِ اللهِ تَعالى وعَظَمَتِهِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الواوُ والتّاءُ في كلمةِ ﴿مَلَكُوتُ﴾ للمبالغةِ في مُلْكيةِ الأَشياءِ، فاللهُ تَعالى يَمْلِكُ كُلَّ شيءٍ مُلْكًا تامًّا، فَلَمْ يَمْلِكه قَبْلَهُ أحدٌ ولَنْ يَتْرُكَهُ مُلْكًا لأحدٍ، بخلافِ المَخْلوقينَ فَمُلْكُهُمْ ناقِصٌ لأنَّ اللهَ هُوَ الذي أعطاهُمْ وسيأخُذُهُ مِنْهُم.

١- سورة غافر: ٥٧

٢- سورة الأحقاف: ٣٣

الفائدةُ الثانيةُ: ذَكَرَ الإمامُ ابنُ منظورٍ في لسانِ العَرَبِ أَنَّ رَجلًا سَأَلَ الإمامَ عَليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ كَلِمَةِ «سُبْحانَ اللهِ» فَقال: كلمةٌ رَضيها اللهُ لنفسِهِ فأَوْصَى بِها «وَتَعْني: تَنَزَّهَ اللهُ وَتَقَدَّسَ».

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- تَقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ.

٢- مشروعيّةُ استعمالِ العَقْلياتِ في الحُجَجِ والمُجادَلَةِ.

٣- اللهُ تعالَى هُو القادرُ على إِخراجِ الضِّدّ مِن الضِّدِّ، وهو على كُلِّ شيءٍ قَديرٍ.

٤- اللهُ تَعالى خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وَهُما أعظمُ مِنْ خلقِ الناسِ، فَهوَ أَقْدَرُ عَلى بَعْثِهِمْ مرَّةً أُخْرَى.

٥- كُلُّ الملكوتِ بيدِ اللهِ تَعالى، وتحتَ قَهْرِهِ فلا يُطْلَبُ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِهِ.

٦- إذا أرادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لا يحتاجُ إلى تَعَبٍ ومعالَجَةٍ، وإِنَّما أمرُهُ نافذٌ فَوْرًا.

٧- اللهُ تعالَى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَمَرَدُّ الخَلْقِ بَعْدَ مَماتِهِم إليهِ تَعالى.

سورَةُ الصَّافَّاتِ

بين يدي سورة الصافات

هيَ مَكِّيَةٌ، نَزَلَتْ بعدَ سورةِ الأَنعامِ، وآياتُها اثْنَتانِ وثمانونَ ومائتانِ، وهذِهِ السُّورةُ مِن أكثرِ ثلاثِ سُوَرٍ مَكِّيةٍ مِنْ حيثُ عددِ الآياتِ بِعْدَ سورتي الأعرافِ والشُّعراءِ.

وَقَدْ سَمَّاها بعضُ العلماءُ بِسورَةِ «الذَّبيحِ» لأنَّ قصَّةَ الذبيحِ لَمْ تَأتِ في سُوَرٍ أُخْرى سِواها.

مقاصِدُ السُّورَةِ:

١- إثباتُ وحدانيّةِ اللهِ تَعالى وَرُبوبِيَّتِهِ ببعضِ الأدِلّةِ، مِنْها خَلْقُهُ للسّماواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما، ومِنْها تَزْيينُهُ لِسَماءِ الدُّنيا بالكواكِبِ.

٢- الردُّ على شُبُهاتِ المشركينَ في إنكارِهِمْ للبعثِ والحسابِ.

٣- بَيانُ سوءِ عاقبةِ هؤلاءِ المشركينَ، وتَوبيخُ الملائكةِ لَهُمْ، وإقبالُ بَعْضِهِمْ على بعضٍ للتّساؤُلِ والتّخاصُمِ، وبَيانُ حُسْنِ عاقبةِ المؤمنينَ وما يَتْبَعُ ذلك مِن محاوَرَةِ أهلِ الجَنَّةِ لأهلِ النّارِ وَهُمْ يطّلعونَ عَلَيهِم، وكيفَ أَنَّ أهلَ الجَنَّةِ يتوجَّهونَ بالحمدِ والشّكرِ لخالقِهِمْ، حيثُ أَنْعَمَ عليهِمْ بنعمةِ الإيمانِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ مِنْ أهلِ النَّارِ الذينَ يأكلونَ من شَجَرةِ الزَّقُّومِ.

٤- ذِكْرُ قِصصِ بعضِ الأنبياءِ كنوحٍ وإبراهيمَ وإسماعيلَ عليهم السلام.

٥- دَفْعُ فِرْيَةِ المشركينَ إذْ قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، تَعالى اللهُ عَمّا يقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا.

٦- بَيانُ أَنَّ المُشركينَ لا يُفتنونَ إلا ذَوي العُقولِ الضّعيفةِ المُستَعدّةِ للضَّلالِ.

٧- وَصْفُ المَلائكةِ بأنّهم صافونَ مُسَبِّحُونَ.

٨- مَدْحُ المُرْسَلينَ سلامُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

٩- حَمْدُ اللهِ وثَناؤه على نفسِهِ بِأَنَّهُ رَبُّ العِزّةِ وَرَبُّ الخَلْقِ أَجْمَعينَ.

الدَّرسُ العاشِرُ

عَقيدةُ التَّوحيدِ

الآياتُ (١ - ١٠) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَّارِدٖ	شديدُ الطُّغيان
ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ	ملائكةُ السَّماء
دُحُورٗا	مَطْرودون
وَاصِبٌ	دائمٌ شديدٌ
شِهَابٞ	الجَمْرُ مِنَ النّار

المَعنى الإجْماليُّ:

اللهُ هو الواحدُ الذي لا شريكَ لَهُ:

بدأَ اللهُ تَعالى سورةَ الصافّاتِ بِقَسَمٍ عظيمٍ يؤكِّدُ بِهِ تَعالى على أُلوهِيَّتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ، فأقسمَ تَعالى بثلاثةِ أصنافٍ مِنَ المَلائِكَةِ:

الصِّنفُ الأَوّلُ: الملائكةُ الصّافّاتُ الذينَ يصفُّون أنْفُسَهم صُفوفًا لعبادةِ اللهِ تَعالى وطاعتِه، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَلا تَصُفُّونَ كَما تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قالَ: يُتِمُّونَ الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، وَيَتَراصُّونَ في الصَّفِّ». أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

الصِّنفُ الثّاني: الملائكةُ الزّاجراتُ الذينَ يَزْجرونَ السَّحابَ إلى الجهاتِ التي أَمَرَهُمُ اللهُ تعالى بها.

الصِّنفُ الثّالِثُ: الملائِكَةُ التّالياتُ الذينَ يَتْلونَ القرآنَ الكريمَ ذِكرًا وتَقَرُّبًا إليهِ تَعالى وطاعةً لَهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعالى ما أقسمَ عليهِ بقولِه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ أَيْ: الملائكةِ الصَّافّاتِ والزّاجراتِ والتّالياتِ، إنِ إلهَكُم - أيّها العبادُ - لَواحِدٌ لا شريكَ لَهُ في ذاتِهِ، ولا في صِفاتِهِ ولا في أَفعالِهِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الواوُ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ لِلْقَسَمِ، وجوابُ القَسَمِ قولُه تَعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾.

الفائدةُ الثّانيةُ: أَقْسَمَ اللّهُ تَعالى بالملائكةِ، لِشرفِهِمْ وعُلُوِّ مَنزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعالى.

الفائدةُ الثّالثةُ: للّهِ تَعالى أنْ يُقْسِمَ بِما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وإنَّما المَمْنوعُ أَنْ يُقْسِمَ العبدُ بِغيْرِ اللهِ تَعالى.

قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهاكُمْ أَنْ تَحْلِفوا بِآبائِكُمْ، فَمَنْ كانَ حالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلا فَلْيَصْمُتْ». رواه مسلم.

أَدِلَّةُ أُلوهيّةِ اللهِ تَعالى وَوَحدانيَّتِه:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بعضًا مِنَ الأَدِلّةِ الظّاهِرَةِ التي تدلُّ على أُلوهيّته اللهِ تَعالى وَوَحْدانِيتِه:

الدَّليلُ الأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعالى رَبُّ السماواتِ والأَرضِ وما بينَهُما مِنْ مَخْلوقاتٍ كالهواءِ وَالسُّحُبِ والأفلاكِ وغيرِها.

الدَّليلُ الثَّاني: أنَّهُ تَعالى ربُّ المشارِقِ التي تُشْرِقُ مِنْها الشَّمسُ والقمرُ والنّجومُ والأَفلاكُ، فَلا أَحَدَ يستطيعُ تغييرَها أو تبديلَها.

الدَّليلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعالى خَلَقَ الكواكبَ المضيئةَ، وهيَ النُّجومُ وجعلَها في السَّماءِ لِحِكْمتَيْنِ:

الحِكمَةُ الأُولى: زينةٌ للسّماءِ، قال تَعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ أَيْ: بِقُدرَتنا قَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بالكواكبِ وَتَرَوْنَها أيُّها النَّاسُ بِأَعْيُنِكمْ، فَجَعَلناها مضيئةً تَشْرَحُ الصُّدورَ، وَتُؤْنِسُ النُّفوسَ، وتهتدونَ بها في سَيرِكم مِن مكانٍ إلى مكانٍ.

الحِكْمةُ الثّانيةُ: الحفظُ مِنْ استماعِ الشياطينِ للمَلائكةِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أَيْ: وَجَعَلْنا السَّماءَ مَحفوظةً مِن كُلِّ شيطانٍ شديدِ الطُّغيانِ متجرِّدٍ مِنَ الخَيرِ، حتى لا يستمعونَ إلى الملائكةِ في المَلأِ الأَعلى، وهم يَتَفاوضونَ في أحوالِ الخَلْقِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى كيفيّةَ حفظِ السّماءِ مِنْ مَرَدَةِ الشياطينِ، قال تَعالى: ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ أَيْ: إنّ هؤلاءِ الشَّياطينَ يُقذفونَ ويُرْجمونَ بالشُّهُبِ مِنْ جميعِ جوانبِ السّماءِ؛ لأَجْلِ طَردِهِمْ وإبعادِهِمْ عَنْها كُلَّما حاوَلوا الاستماعَ، ولهؤلاءِ الشياطينِ في الآخرةِ عذابٌ شديدٌ دائمٌ وهوَ عذابُ النَّارِ وبِئْسَ القرار.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى عِقابَه للشَّيطانِ الذي استَرَقَ السَّمع فَقالَ تَعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ أَيْ: إنّ الشّيطانَ الذي خطفَ الخَطْفَةَ من كلامِ الملائكةِ بِسرعةٍ وخِفَّةٍ، فَيَتْبَعُهُ جمرةٌ منَ النّارِ تَثْقُبُ الجَوَّ بِضَوئِها فَتهْلِكُهُ وتحرقُهُ وتُمزِّقُهُ.

وشَبيهُ هَذهِ الآيةِ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾[1].

١- سورة الجن: ٨-٩

فائدةٌ: الشياطينُ لا يستطيعونَ أبَدًا الوصولَ إلى السّماءِ؛ للاستماعِ للملائكةِ الذينَ في المَلأ الأعْلَى، أمَّا الخَطفَةُ التّي يَخْطِفها بعضُ الشّياطينِ، فإنما يَسْمَعُها حالَ اقترابِ الملائكةِ مِنَ الأرضِ فيتبعُ الشهابُ الشيطانُ فَيحرِقَهُ، ومِنَ الجائزِ أنْ يَنْجو بعضُ الشياطينِ مِنَ الشِّهابِ بعدَ أن يسترقَ السَّمعَ وَكُلَّ ذَلكَ بإرادةِ اللهِ تَعالى وحِكْمَتِه، فعَنْ أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ ﵂ قالَتْ: قالَ رَسولَ اللهِ ﷺ: «إنَّ الْمَلائِكَةَ تَنْزِلُ في الْعَنانِ وَهُوَ السَّحابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ في السَّماءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّياطِينُ السَّمْعَ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوحيهِ إلى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبونَ مَعَها مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» رواه البخاري.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- اللهُ تَعالى يُقْسِمُ بِما شاءَ.

٢- فَضْلُ الملائِكَةِ الذينَ أَقسمَ بِهِمُ اللهُ تَعالى.

٣- بيانُ فضلِ القرآنِ الكريمِ لِقيامِ الملائكةِ بتلاوتِهِ.

٤- تقريرُ أنّ اللهَ واحدٌ لا شَريكَ لَهُ في أُلوهِيَّتِهِ وربوبِيَّتِهِ وصفاتِهِ.

٥- أَوْجَدَ اللهُ تَعالى النُّجومَ في السَّماءِ الدُّنيا؛ زينَةً لها وحفظًا مِنَ الشَّياطينِ وَإرشادًا للنَّاسِ.

الدَّرسُ الحادي عشَر

عقيدةُ البَعْث والنُّشور

الآياتُ (١١-٢١) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
لَّازِبٍ	لزجٍ يَلْصُقُ باليدِ
يَسْتَسْخِرُونَ	يَزيدونَ في الاستهزاءِ
دَٰخِرُونَ	ذَليلونَ
زَجْرَةٌ	نَفْخَةٌ

المَعنى الإجْماليُّ:

ثُبوتُ البَعْث بعدَ الموتِ:

بعدَ أَنْ أَثبتَ اللهُ تَعالى ألوهيَّتَهُ وَوَحدانيَّتَهُ بأدلةِ خلقِ السّماواتِ والأرضِ والكواكبِ، أَمَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى رَسولَهُ ﷺ أن يسألَ المشركينَ عن شيءٍ يَرَوْنَه في أَنْفُسِهِمْ ويقرونَ بِهِ ولا يُنْكِرونَهُ؛ ليثبتَ لَهُمْ حقيقةَ البَعْث والحِسابِ فقال تَعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ أَيْ: فَسَلْ يا محمَّدُ هؤلاءِ المُنكرينَ للبَعثِ أَيُّهما أشدُّ خَلقًا، أَنْتُمْ أَم السَّماواتُ والأرضُ وما بَيْنَهما مِنَ المخلوقاتِ العظيمةِ؟ والجوابُ معلومٌ لكلِّ عاقلٍ، فالسماواتُ والأرضُ أعظمُ خَلْقًا.

ثُمَّ قَرَّرَ اللهُ تَعالَى ضَعْفَ خِلْقَتِهِمْ، المُؤَدِّي إلى سُهولَةِ بَعْثِهِمْ، فقالَ تَعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ أَيْ: خَلَقنا أباهُم آدمَ مِنْ طينٍ لزجٍ يلصُقُ باليَدِ ثُمَّ خَلقناهُم بطريقِ التَّناسُلِ، فَلَنْ يُعْجِزَنا إعادَةُ خلقِهِمْ مرّة أُخرى، قالَ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الغَرَضُ مِن استفتائِهِم إظهارُ جحودِهِم، وقبحِ ضلالِهِم لا للتّعلُّمِ مِنْهُم، لأنَّ الجوابَ مَعْلومٌ، ولو رَدُّوا لَنْ يجدوا جوابًا سِوى قولِهِم أنّ خَلقَ غيرِهِم مِنَ العوالمِ أشَدُّ خَلقًا مِنهُم، إذًا فكيفَ يُنْكرونَ البَعْثَ بِدَعوى استحالةِ وجودِهِ وصعوبَتِهِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: همزةُ الاستفهامِ في قولِهِ تَعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ للتَّقريرِ والتَّوبيخِ.

الكافرونَ ينكرونَ البَعْثَ ويعاندونَ الحَقَّ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى موقفَ رَسولِهِ ﷺ مِنْ مُنْكري البَعْثِ، بأنَّه قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ تكذيبِهِمْ بالبَعْثِ بَعْدَ أَنْ وَضَحَتْ لَهُمُ الأَدِلَّةُ على ثُبوتِهِ، فقالَ تَعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أَيْ: بَلْ عَجِبْتَ - أَيُّها الرسولُ الكريمُ- ومِنْ حَقِّكَ أنْ تَعْجَبَ، مِنْ إنْكارِ هؤلاءِ الجاحدينَ لإمكانيةِ البَعْثِ، مَعَ هذهِ الأدلّةِ السّاطِعَةِ التي سُقْناها لَهُم على أَنّ البَعْثَ حَقٌّ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى جرائمَ أُخرى لِلكافرينَ غيرَ جريمةِ التكذيبِ بالبَعْثِ، منها:

الجريمةُ الأُولى: السُّخريةُ بالنبيِّ ﷺ، قالَ تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أَيْ: يَسْخَرونَ مِنْ إيمانِكَ يا محمَّدُ بالبَعْثِ وَيَسْتَهزؤونَ بالوعيدِ الذي وُجِّهَ لَهُمْ.

الجريمةُ الثانيةُ: عدمُ قُبولِ الذِّكْرى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾ أَيْ: وَإذا وُعِظوا بمَوْعِظَةٍ مِنْ مَواعِظِ اللهِ أو مواعظِ رَسولِهِ لا يتَّعِظونَ بها ولا ينتفعونَ بما فيها، لِقساوةِ قلوبِهِمْ بالشِّركِ والمعاصي.

١- سورة الروم: ٢٧

الجريمةُ الثالثةُ: السُّخريةُ بالمعجزاتِ والحُجَجِ، قال تَعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ أَيْ: وإذا شاهدوا معجزةً تَدلُّ على صِدْقِ مَنْ يعظُهُم أو حجّةً تَدعوهُم إلى تَركِ ما هُم عليه، يُبالغونَ في السّخريةِ ويزيدونَ في الاستِهزاءِ بحيثُ يطلُبُ بعضُهُمْ من بعضٍ أنْ يَسْخروا مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وبِما جاءَ بِهِ مِنَ الحُجَجِ.

الجريمةُ الرابعَةُ: وَصْفُ الحَقِّ بِالسِّحرِ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أَيْ: ما هذا الّذي أتانا بِهِ محمدٌ إلاّ سِحرٌ واضحٌ لا شَكَّ فِيهِ.

فائدةٌ: التّاءُ والسّينُ في قولِهِ تَعالى ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ للمبالغةِ في السُّخريةِ، أَو لِطَلَبِ السُّخريةِ، حيثُ يطلبُ بَعضُهُمْ مِنْ بعضٍ أنْ يَسْخَروا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ .

شُبْهَةُ مُنْكِري البَعْثِ والرَّدُّ عليها:

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى شُبْهَةَ المُشْرِكينَ في إنكارهِمْ البَعْثَ حيثُ قالوا: كيفَ نُبعَثُ أحياءً من قبورِنا بَعد مماتِنا وصِرْنا تُرابًا وعِظامًا، قَدْ ذَهَبَ عَنْها اللَّحمُ والدَّمُ، أو كيفَ يُبعثُ آباؤُنا الأولونَ الذينَ مَضَوا من قَبْلِنا، فَبادوا وَهلكوا مِنْ سِنينَ عديدةٍ فلمْ يَعُدْ لَهُمْ أثرٌ أبَدًا؟

فَرَدَّ اللهُ تَعالى عليْهِم: قُلْ يا رسولَنا لَهُم: نَعَمْ تُبعثونَ أحياءَ بَعد أنْ تصيروا ترابًا وعِظامًا بِقدرةِ اللهِ تَعالى وأَنْتمْ صاغِرونَ ذليلونَ لا تستطيعونَ التأخُّرَ أَو التّرَدُّدَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سهولةَ أمرِ البَعْثِ وسُرعتِهِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ أَيْ: لا تَستَصعِبوا البَعْثَ، فإعادَتُكُمْ لا تَتَطَلَّبُ أكثرَ مِنْ أَنْ ينفخَ إسرافيلُ في الصُّورِ نفخةً، واحدةً فإذا النَّاسُ قيامٌ يَنظرونَ إلى ما كانوا يوعدونَ مِنْ قِيامِ السَّاعَةِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: همزةُ الاستفْهامِ في قولِهِ تَعالى: ﴿ أَءِذَا ﴾ وفي قولِهِ تعالى: ﴿ أَءِنَّا ﴾ لِلإنْكارِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: المقصودُ بالزَّجْرَةِ في قولِهِ تَعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ النَّفْخَةُ الثَّانيَةُ الّتي يقومُ بها إسرافيلُ بأمرِ اللهِ تَعالى، وَقَدْ وَصَفَها بواحدةٍ لِتَأْكيدِ سُهولةِ البَعْثِ.

الفائدةُ الثالثةُ: التّعبيرُ عَنِ النَّفخِ في الصُّورِ بالزَّجْرَةِ للدّلالةِ على شِدَّتِها على هؤلاءِ المُشْرِكينَ.

الفائدةُ الرّابعة: تَخْصيصُ النَّظَرِ في قولِهِ تَعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يَدُلُّ على كمالِ الفَهمِ والوَعيِ، والشُّعورِ وَقتَ خُروجِ الكُفّارِ يومَ القيامةِ.

فزعُ المُشركينَ بعدَ النَّفْخِ في الصُّورِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ المشركين مُنْكري البَعْثِ بَعدَ الزَّجْرَةِ الّتي يَنْفُخُها إسْرافيلُ عليه السلام: فَقال تَعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أَيْ: ويَقولون عندَ قيامِهم مِنْ قُبورِهِم وَهُم في ذُعْرٍ وَخَوْفٍ وَفَزَعٍ: يا وَيْلَنا وهلاكَنا هَذا يومُ الجَزاءِ على الأعْمالِ، ثُمَّ يَقولُ بعضُهم لبعضٍ: هذا اليومُ الذي يفصِلُ اللهُ بينَ خلقِهِ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالعَدْلِ وَقَدْ كُنْتُمْ تُكذّبونَ بِهِ في الدُّنْيا فَقَدْ أصبحَ حَقيقَةً أمامَ أَعْيُنِكُمْ.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: سُمِّيَ يَوْمُ القِيامَةِ بِيَوْمِ الدِّينِ؛ لأَنَّهُ يومُ الجَزاءِ على الأعمالِ.

الفائدةُ الثانيةُ: سُمِّيَ يَوْمُ القِيامَةِ بِيَوْمِ الفَصلِ: لأنّه يُفْصَل فيهِ بيَن أهلِ الحَقِّ وأَهْلِ الباطِلِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- بيانُ أَصْلِ خَلْقِ الإنسانِ، وَهُوَ الطِّينُ اللّازِبُ أي المُلْتَصِقُ باليَدِ.

٢- وُجوبُ الرَّدِّ على شُبُهاتِ أهلِ الباطِلِ.

٣- تَقْريرُ وُقوعِ البَعْثِ وَحُصولِهِ.

٤- المُكذِّبونَ بالبَعْثِ يُحْشَرونَ يومَ القيامةِ ذَليلينَ مَذْهولينْ.

٥- المُنكرونَ لِلْبَعْثِ يُقِرُّونَ بِهِ يومَ القيامةِ، لَكِن لا يَنْفَعهُمْ إِقْرارُهُمْ.

الدَّرسُ الثّاني عَشَرَ

صِراعُ الظَّالمينَ يوم القيامَة

الآياتُ (٢٢ – ٣٩) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱحۡشُرُواْ	اجمعوا
وَأَزۡوَٰجَهُمۡ	أشباههم
فَٱهۡدُوهُمۡ	أرشدوهم
صِرَٰطِ	طريق
سُلۡطَٰنِۭ	حجة

المَعنى الإجْماليُّ:

نارُ الجحيم جزاءُ الظَّالمينَ:

بَعدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حال المشركينَ بعدَ النَّفْخِ في الصُّورِ وقيامَهُمْ لِرَبِّ العالمينَ، بَيَّنَ حُكْمَه العادِلَ

فيهِمْ، فقالَ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَأَمَرَ اللهُ تَعالى الملائكةَ أَنِ يَحْشُروا وَيَجْمَعوا ثلاثةَ أصنافٍ مِنْ العُصاةِ وَهُم:

الصِّنْفُ الأَولُ: الذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُم بِالشِّركِ والْمعاصي.

الصِّنْفُ الثّاني: أشباهُ الظَّالِمينَ وَأَتْباعُهُمْ في الشِّرْكِ بِاللهِ تَعالى مِنَ الإنْسِ والجِنِّ.

الصِّنْفُ الثّالثُ: المعبودونَ مِنَ الأصنامِ والأَوثانِ.

وبَعْدَ جَمعِهِم يأمرُ اللهُ تَعالى الملائكةَ بقوله: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أَيْ: دُلّوهُم وأَرْشدوهُم إلى طريقِ النَّارِ بِسَوقِهِم إليها سَوْقًا عَنيفًا، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[1].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الغَرَضُ مِنْ حَشْرِ الأَصْنامِ مَعَ كَونِها جماداتٍ لا تَعْقِلُ، هُوَ زيادةُ التَّبْكيتِ لعابِديها وَإظهارُ أَنَّها لا تنفعُ ولا تَضُرُّ.

الفائدةُ الثّانيةُ: سُمِّيَتِ النَّارُ بِالجَحيمْ: لاشْتِدادِ نارِها، يُقالُ: جَحَمَ النَّارَ: أَشْعَلَها إِشْعالًا شديدًا.

ذُلُّ الكافِرينَ عِندَ الْحِسابِ:

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعالى الملائكةَ أَنْ تَجْمَعَ الكافرينَ وأَزواجَهُمْ وتَسوقَهُم إلى النارِ، يَأْمُرُ اللهُ تَعالى الملائكةَ مَرَّةً أُخرى أَنْ توقِفَ الْمُجْرمينَ لِلحِسابِ، فَقالَ تَعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ أَيْ: واحْبِسوهُمْ في موقِفِ الحِسابِ لِيُسألوا عَمَّا كانوا يَقْتَرِفونَه في الدُّنيا مِنْ أَباطيلَ.

ثُمَّ يُسْأَلونَ تَقْريعًا وتبويخًا فَيُقال لَهُم: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أَيْ: ما الّذي جَعَلَكُم أَيُّها الكافرونَ في هَذا اليومِ عاجزينَ عن التَّناصرِ فيما بينَكُم مَعَ أَنَّكُم في الدُّنيا كُنْتُم تَزْعمونَ أَنَّكُمْ جميعٌ منتَصِرٌ؟

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى العِلَّةَ في عَدَمِ تَناصرِهِمْ فقال: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ أَيْ: هُمُ اليومَ مستسلمونَ ذليلونَ لعجزِهم عَنْ أَيِّ حيلةٍ تُنْقِذُهم مِمّا هُمْ فيه مِنْ بلاءٍ.

١- سورة الزمر: ٧١

فائدة: الغَرَضُ مِنْ حَبْسِ الظَّالِمينَ وأمثالِهُم في موقِفِ الحِسابِ لأمرين:

الأمرُ الأوَّلُ: زيادةُ عذابِهِم، قالَ ﷺ: «مَنْ نوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَ القِيامَة عُذِّبَ» (رواه البخاري)

الأمر الثّاني: إقامةُ الحُجَّةِ عليهِم وقَطعُ معاذيرِهِم.

تَخاصُمُ المُشْرِكينَ يَوْمَ القِيامَة:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تعالى ما يدورُ بَيْنَ الظَّالِمينَ مِنْ تَخاصُمٍ يومَ القِيامَةِ، فَقالَ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أَيْ: يَسألُ بعضُهُم بعضًا سؤالَ لَوْمٍ وتَوْبيخٍ، ويبدأُ الأَتْباعُ سؤالَهم للزُّعماءِ المَتْبوعينَ: إنَّكُمْ كُنْتُمْ في الدُّنيا تأتُونَنا بالأيْمانِ المُغَلَّظَةِ على أنَّنا وَأَنتُم على الحَقِّ فَصَدَّقْناكُمْ.

فَأَجابَ عليهِم الرُّؤَساءُ بجوابَيْنِ:

الجوابُ الأَوَّلُ: ﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْرُ كَما تَزْعُمون بَلْ كانَت قلوبُكُم منكرةً للإيمانِ قابلةً للكُفرِ والعِصيانِ.

الجوابُ الثّاني: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾ أَيْ: وَما كانَ لنا علَيكُمْ مِنْ تسلُّط وَغَلَبةٍ حتّى نُدْخِلَكُم في الإيمانِ ونُخْرِجَكم مِنَ الكُفرِ، بَلْ كانَ فيكُم طغيانٌ تركتُمْ بِهِ الحَقَّ الذي جاءَكُم بِهِ الأنبياءُ واتَبعْتم الكُفْرَ والضَّلالَ.

ثُمَّ ذَكَروا ما يستحقُّونَه جَميعًا مِنْ جزاءٍ: فقال تعالى ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ﴾ أَيْ: فَقالوا قَدْ وَجَبَ علينا وعليكُمُ العذابُ كَما وَعَدَ رَبُّكُمْ، فإنَّا وأَنْتُمْ للعذابِ ذائقونَ، فَقَد أغْويناكم وَزَيَّنا لَكُمُ الباطلَ لِتَنْضَمُّوا إلينا فاستَجَبْتُمْ لنا، فكنّا جَميعًا مِنْ أهلِ الغِوايةِ والفَسادِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ جميعَ الظَّالِمينَ مِنَ الرؤساءِ والأَتْباعِ مشْتركونَ في حُلولِ العذابِ بِهِمْ، وَهَذا العذابُ الأليمُ سوفَ يَنْزِلُ بكلِّ مُجرِمٍ لا يُؤمِنُ باللهِ تَعالى.

الكِبْرُ سببُ الكُفْرِ:

ثُمَّ أَظْهَرَ اللهُ تعالى بَعضًا مِنَ الأسبابِ، الّتي أدَّتْ بِالكافرينَ جميعًا إلى العذابِ الأليمِ:

السَّبَبُ الأوَّلُ: الاستكبارُ على التَّوحيدِ، فإنَّهم كانوا في الدُّنيا، إذا قالَ لهم رسولُ اللهِ أو أحدُ المؤمنينَ قولوا لا إلهَ إلا اللهَ يستكبرونَ ويَشْمَئِزُّونَ، كَما قال تَعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾[1] عَنْ طارِقٍ الْمُحارِبِيِّ، قالَ: «رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ في سوقِ عُكاظَ وَهُوَ يُنادي: يا أَيُّها النَّاسُ، قولوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحوا. وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ بِالْحِجارَةِ وَقَدْ أَدْمَى كَعْبَهُ وَهُوَ يَقولُ: يا أَيُّها النَّاسُ لا تُطيعوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذا؟ قالوا: هَذا غُلامٌ مِنْ بَني عَبْدِالْمُطَّلِبِ وَهَذا الَّذي يَتْبَعُهُ عَبْدُالْعُزَّى، يَعْني: أَبا لَهَبٍ» (رواه أحمد وصحَّحه الألبانيّ).

السَّبَبُ الثّاني: الاستهزاءُ بالنبيِّ ﷺ، فإنّهم كانوا يقولونَ أَنترُكُ آلهتَنا لِشاعرٍ في قولِهِ ومَجنونٍ في فِعلِه، فكذَّبَهُمْ اللهُ تَعالى ومَدَحَ رَسولَهُ ﷺ بأنّه ليس شاعرًا أو مَجنونًا، بَلْ هُوَ رسولٌ قَدْ جاءَكُم بالحَقِّ وَهوَ دينُ التّوحيد الّذي دَعا إليهِ جميعُ الرُّسُلِ، فكانَ مُصَدِّقًا لهُم في الدعوةِ إلى اللهِ تَعالى، وإنَّكُم بِسَبَبِ شِرْكِكُمْ وتكذيبِكُم واستهزائِكُم برسولِنا سوفَ تَذوقون العذابَ الشديدَ الأَليمَ يومَ القيامَةِ، ولا ينالُكُم مِنَ العذابِ إلا ما تستحقّونه بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ جزاءً لكُم على ما عَمِلتُموهُ مِنْ كُفْرٍ وَإِجْرامٍ.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- بيانُ حالِ المشركينَ يَومَ القيامَةِ.

٢- يُحشَرُ الكافرونَ وأتباعُهُم مع بعضِهِم البَعضُ.

٣- تَبَرُّؤُ المَتبوعين مِمَّن اتَّبعوهُم يومَ القيامَةِ.

٤- تَعْظيمُ شَأنِ لا إلهَ إلا اللهَ وأنَّها دعوةُ كُلِّ الرُّسُلِ التي سَبَقَتْ النَّبيَّ مُحَمَّدٌ ﷺ.

٥- تقريرُ التَّوحيدِ والنُّبوةِ والبَعْثِ والجَزاءِ.

١- سورة الزمر: ٤٥

الدَّرْسُ الثّالِثُ عَشَرَ

نَعيمُ أَهْلِ الجَنَّة

الآياتُ (٤٠-٤٩) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَعِينٍ	ظاهرٌ للعَيْنِ
غَوْلٌ	ضَرَرٌ
يُنزَفُونَ	يَسْكَرون
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ	لا يَنْظُرْنَ إلى غيرِ أزواجِهِنَّ
عِينٌ	جمعُ عَيْناء، وَهْيَ الواسعةُ العَيْنِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

ثوابُ عبادِ اللهِ المُخْلَصينَ:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى جزاءَ المجرمينَ، أعْقَبَهُ ببَيانِ جزاءِ عبادِهِ المُؤْمنينَ المُخْلَصينَ الذين اسْتَخلصهُمُ اللهُ لعبادتِهِ ووفَّقهم لطاعتِهِ، فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أَيْ: لَكِنَّ عبادَ اللهِ المُخْلَصينَ الصَّادقينَ في عبادتِهِم، فإنَّهم ناجونَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى.

ثُمَّ بَيَّنَ تعالى ما أَعَدَّه لعبادِهِ المُخْلَصينَ في الجَنَّة فقالَ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أَيْ: ولِهؤلاءِ المُخْلَصينَ في الجَنَّةِ رِزْقٌ معلومٌ عَلَّمَهُمُ اللهُ تعالى إِيَّاهُ عِنْدَما كانوا في الدُّنْيا، كما قالَ تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾[1].

ثُمَّ فَصَّلَ اللهُ تعالى بَعضًا مِنْ أَلوانِ نَعيمِ أَهْلِ الجَنَّة:

النَّعيمُ الأَوَّلُ: نَعيمُ الطَّعام، قالَ تعالى: ﴿ فَٰكِهُونَ ۖ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أَيْ: تَأْتيهِمُ الفواكهُ التي يَشْتَهونَها، وَهُمْ مُكْرَمونَ مَخْدومونَ مُرَفَّهونَ في جنَّاتِ النَّعيم، لا يَلْحَقُهُم فيها إهانةٌ أَبَدًا.

وَخَصَّ اللهُ تعالى الفواكهَ بالذِّكْرِ لِحُكْمٍ:

١- الدّلالَةِ على كَثْرَةِ الطَّعامِ وتَنَوُّعِهِ في الجَنَّة.

٢- أَنَّ الطَّعامَ يكونُ لِلَّذَّةِ وَالْمُتْعَةِ لا لِحِفْظِ الأَبْدانِ، قالَ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلونَ وَيَشْرَبونَ وَلا يَتَغَوَّطونَ وَلا يَبولونَ وَلا يَتْفِلونَ وَلا يَتَمَخَّطونَ، يُلْهَمونَ التَّسْبيحَ وَالتَّحْميدَ كَما تُلْهَمونَ النَّفَسَ، يَكونُ طُعامُهُمْ جُشاءً وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ» (رواه مسلم).

النَّعيمُ الثّاني: نَعيمُ المَكانِ، قالَ تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ أَيْ: يَجْلِسونَ على سُرُرٍ مُتَقابِلينَ يَنْظُرُ بعضُهم إلى بَعْضٍ، لا يُولي أَحَدُهُم ظَهْرَهُ لأَخيهِ أَبَدًا.

النَّعيمُ الثّالِثُ: نعيمُ الشَّرابِ، قالَ تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أَيْ: يُطافُ على هؤلاءِ العبادِ المُخْلَصينَ، وَهُمْ في الجَنَّةِ، بِكأسِ الخمرِ التي تُؤْخَذُ مِنَ الأنهارِ الجاريةِ في الجَنَّة.

وَقَدْ وصفَ اللهُ تعالى الخَمْرَ التي يشرَبُها عبادُهُ في الجَنَّةِ بعدّةِ صفاتٍ:

١- بَيْضاءُ اللَّونِ، قالَ تعالى: ﴿ بَيْضَآءَ ﴾ أَيْ: صافيةُ البياضِ ليسَ فيها شوائبُ أو كَدَرٌ.

١- سورة البقرة: ٢٥

٢- لذيذةُ الطَّعمِ، قالَ تَعالى: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أَيْ: طَيِّبَةُ الطَّعْمِ لذيذةُ المذاقِ لِشاربيها.

٣- لا تَضُرُّ البَدَنَ، قالَ تَعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ فيها ما يضرُّ البَدَنَ مِنْ وَجَعِ البَطْنِ وَصُداعِ الرَّأسِ، كَما هُوَ الحالُ بالنِّسْبَةِ لِخَمْرِ الدُّنْيا.

٤- لا تُسْكِرُ العَقْلَ، قالَ تَعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أَيْ: لا يَسْكرونَ بِها ولا تَذْهَبُ بِعقولِهِمْ.

والتَّعبيرُ عَنْ كَأسِ الْخَمْرِ بقولِهِ تَعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ يفيدُ أَنَّها قريبةٌ مِمَّنْ يريدُها، وحرفُ الجَرِّ «عَنْ» في قولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ للسَّبَبِيَّةِ، أَيْ لا يَسْكَرون بِسَبَبِها.

النَّعيمُ الرَّابِعُ: نعيمُ الزَّوجاتِ، قالَ تَعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ أَيْ: ولديهمْ نِساءٌ عفيفاتٌ لا يَنْظُرْنَ إلى غيرِ أَزْواجِهِنَّ، وَهُنَّ وَاسعاتُ العيونِ، بيضُ الأَجْسامِ كبياضِ البَيْضِ المستورِ بِقِشْرِهِ لا ينالهُ غبارٌ ولا أذىً.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- فَضْلُ الإخلاصِ للهِ تَعالى.

٢- في الجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، وَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ النّاس بعضًا مِنْ نعيمِها لِيُسارِعوا إلى الخيرِ.

٣- أهلُ الجَنَّةِ يأكلونَ الطَّعامَ تَلَذُّذًا لا احْتِياجًا إليهِ.

٤- أهلُ الجَنَّةِ مكرَّمونَ فيها بِكُلِّ أنواعِ الإكرامِ.

٥- أَدَبُ أهلِ الجَنَّةِ حَيثُ يكونونَ في مَجْلِسِهِمْ مُتقابلينَ لا يولِي أحدُهُم ظهرَهُ لأخيهِ.

٦- لذَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ بالخمْرِ التي لا تَضُرُّ.

٧- نساءُ أهلِ الجَنَّةِ عفيفاتٌ جميلاتُ العيونِ والأجسادِ، لا يَنْظُرنَ إلى غيرِ أَزْواجِهِنَّ.

الدَّرسُ الرّابعُ عَشَرَ

حوارٌ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّة

الآياتُ (٥٠-٦١) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
قَرِينٌ	صاحِبٌ ومُلازِمٌ
لَمَدِينُونَ	مَجْزِيُّونَ
سَوَآءِ	وَسَطْ
لَتُرْدِينِ	تُهْلِكَني

المَعنى الإجْماليُّ:

حديث الذِّكْرَياتِ مِنْ نَعيمِ أَهْلِ الجَنَّة:

ما زالَ السِّياقُ في بيانِ نعيمِ أَهْلِ الجَنَّة، فَبَعْدَ أَنْ جَلَسوا على السُّرُرِ مُتَقابِلينَ يَشْرَبونَ مِنْ كَأسٍ لذّةٍ للشّاربينَ، ويَتَنَعَّمونَ بجميعِ أنواعِ النِّعَمِ، وَهُمْ يتجاذَبونَ أطرافَ الحديثِ مُتَذَكّرينَ ما مَرَّ بِهِمْ مِنْ أَحْداثٍ في الحياةِ الدُّنيا، وما أَحْلى تَذَكُّرَ ما فاتَ عنَد رفاهِيَةِ الحالِ، وفراغِ البالِ واطْمِئنانِ النَّفْسِ،

وَخُلُوّها مِنَ المَخاوِفِ العاجِلةِ والآجِلَةِ، فَهُمْ يتحدّثونَ في شَتّى الفضائلِ والمعارفِ؛ فَقالَ واحدٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لإخوانِهِ - مِنْ بابِ التَّحدُّثِ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعالى -: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أَيْ: إنّي كانَ لي في الدّنيا صاحبٌ ملازِمٌ يقولُ لي مُسْتهزئًا وَمُنْكرًا لِلْبَعْثِ: أَإِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ بأنَّ هناكَ بَعْثًا وَحِسابًا، وَثوابًا وعِقابًا، وَجَنَّةً وَنارًا؟ أَتُصَدِّقُ أَنّنا بعدَ أنْ نَموتَ وتصيرَ أَجْسادُنا تُرابًا وَعِظامًا باليةً، أَنُبْعَثُ لِنُحاسَبَ ونُجازى عَلى أَعْمالِنا؟ وَالغَرَضُ مِنْ حَديثِ المُؤمنِ مَعَ أَصْحابِهِ في الجَنَّةِ عَنْ قَرينِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، هُوَ إِظْهارُ فَضْلِ اللهِ تَعالى وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بِالفَوزِ بِالجَنَّةِ والنَّجاةِ مِنَ النَّارِ، لا لِلفَخْرِ والرِّياءِ، قالَ تَعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] وهمزة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ وقوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ وقوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: للاستبعادِ والإنْكارِ.

أَهْلُ الجَنَّةِ يَرَوْنَ أَهْلَ النَّارِ يُعَذَّبونَ:

ثُمَّ عَرَضَ المُؤْمِنُ على جُلَسائِهِ أَنْ يَطَّلِعوا مَعَهُ عَلى أهلِ النَّارِ؛ لِيَرَوْا بِأَنْفُسِهِم ما حَلَّ بِقَرينِ السُّوءِ، فَقالَ لَهُمْ: هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعونَ مَعي عَلى أَهْلِ النَّارِ لِنَرى هَذا القَرينَ فيها وَنَسْأَلَهُ عَنْ حالِهِ؟ فَاطَّلَعَ المُؤْمِنُ - وَمَعَهُ أَصْحابُهُ - عَلى أهلِ النّارِ فَرأى قَرينَهُ في وَسَطِ الجَحيمِ يَتَلَظَّى بِحَرِّها وَشديدِ لَهيبِها، فَقالَ المؤمنُ لِقَرينِهِ الكافِرِ مُوَبِّخًا لَهُ: تاللهِ لقدْ كِدْتَ تَهْلِكَني لَمّا كُنْتَ تنكرُ عَلَيَّ الإيمانَ بالبَعْثِ وَتَسْخَرُ مَنِّي وتدعوني إلى إنكارِ البَعْثِ، وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي عَلَيّ بِالعِصْمَةِ وَالحِفْظِ لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرينَ الآنَ مَعَكَ في جَهَنَّمَ.

ثُمَّ وَبَّخَ المُؤمنُ قَرينَهُ الذي يُعذَّبُ في النَّارِ فَقالَ لَهُ: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَيْ: هَلْ تَزالُ عَلى اعْتِقادِكَ بِأَنّنا لَنْ نَموتَ إلا مَوْتَةً واحِدَةً، وَلا يَكونُ بَعْدَها بَعْثٌ وَلا حِسابٌ وَلا عَذابٌ؟ وَالجوابُ مَعْلومٌ فَالحَقيقَةُ واضِحةٌ فَقَدْ بُعِثَ وَعُذِّبَ في النَّارِ.

١- سورة الضحى: ١١

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الاستفهامُ بـ «هَلْ» في قَولِهِ تَعالى: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ لِلْعَرْضِ وَالطَّلَبِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: التّاءُ في قولِهِ تَعالى: ﴿تَٱللَّهِ﴾ لِلْقَسمِ.

الفائدةُ الثالثةُ: الاسْتِفْهامُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ لِلتّوْبيخِ، وَالفائِدَةُ مِنْهُ أَمْران:

الأَمْرُ الأَوّلُ: زِيادَةُ حَسْرَةٍ وَنَدامَةِ قَرينِهِ الكافِرِ.

الأَمْرُ الثّاني: إظهارُ الفَرَحِ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعالى عَلى النَّعيمِ المُقيمِ في الجَنَّةِ الذي لا يَنْفَدُ أَبَدًا.

الفائِدَةُ الرَّابِعَةُ: لا يَجِبُ الخَوضُ في كيفيَّةِ اطّلاعِ أَهْلِ الجَنَّةِ عَلى أَهْلِ النَّارِ مَعَ بُعْدِ المَسافاتِ واختلافِ الدَّرَجاتِ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، لِأَنَّ ذَلكَ مِنْ أمورِ الغَيْبِ الَّتي يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِها، كَما بَلَّغَنا بِها رَبُّنا جَلَّ وَعَلا.

الفَوْزُ الحَقيقِيُّ هُوَ الفَوْزُ بِالجَنَّةِ:

ثُمَّ قالَ المُؤْمِنُ لِأَصْحابِهِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: إنَّ هذا النَّعيمَ الدَّائِمَ الذي نحنُ فيهِ - يا أَهْلَ الجَنَّةِ لَهُوَ الفوزُ العظيمُ، الذي لا يُدانيهِ فوزٌ ولا يقاربُهُ فلاحٌ، فَقَد نَجّانا اللهُ مِنْ نارِ الجَحيمِ وأَدْخلنا دارَ السَّلامِ وَجَنَّةَ النَّعيمِ المقيمِ، فَلِمِثْلِ هَذا الفوزِ العَظيمِ يجبُ أَنْ يَعْمَلَ العاملونَ ويُخْلِصوا فيه للهِ رَبِّ العالَمينَ، قالَ تَعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

فائدةٌ: يَجِبُ الحَذَرُ مِنْ قُرناءِ السُّوءِ كما قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «المَرْءُ عَلى دينِ خَليلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ» رواه أبو داوود.

١- سورة آل عمران: ١٨٥

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- التَّحدُّثُ عنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى يكونُ للشُّكرِ لا لِلْفَخْرِ والرِّياءِ.

٢- نجاةُ الإنسانِ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى مِنْ أكبرِ النِّعَمِ.

٣- دوامُ نعيمِ أهلِ الجَنَّةِ، ودوامُ عذابِ أهلِ النارِ.

٤- الفوزُ الحقيقيُّ هُوَ الفوزُ بِالجَنَّةِ.

الدَّرْسُ الخامسَ عشَر

طعامُ أَهْلِ النَّارِ

الآياتُ (٦٢-٧٤) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
نُزُلًا	ما يُعدّ للضيفِ من إكرام
أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ	قَعر النَّارِ
طَلْعُهَا	ثَمَرُها
لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ	شرابٌ مخلوطٌ بماءٍ شديدِ الحرارةِ
أَلْفَوْا	وَجَدوا
يُهْرَعُونَ	يُسْرِعون إسراعًا شَديدًا

المَعنى الإجْماليُّ:

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ طعامُ أَهْلِ النَّارِ:

لمّا ذكرَ اللهُ تَعالى نعيمَ أَهْلِ الجَنَّةِ، ذكرَ عذابَ أَهْلِ النَّارِ، فقالَ تَعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾ أَيْ: أذَلِكَ النَّعيمُ الّذي أعطيتُهُ للمؤمنينَ ضِيافةً وإكرامًا في

الجَنَّةِ خيرٌ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم التي جَعَلْناها لِلظالمينَ فِتْنَةً في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فَقَدْ فُتِنوا في الدُّنْيا حيثُ كذّبوا بِها وقالوا: كيفَ تنبتُ الشَّجَرَةُ في النّارِ والنّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ؟ وستكونُ في الآخرةِ فِتْنَةٌ لَهُم حيثُ يعذَّبون بالأكْلِ مِنْها فلا يَجِدونَ من ورائِها إلا الغَمَّ والكَرْب لمرارةِ طعمها، وقبحِ رائحتِها وهيئَتِها.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الاستفهامُ في قولِهِ تَعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: للتَّوبيخِ والتَّأْنيبِ، فَمِنَ المَعْلومِ أنّه لا خيرَ في شَجَرَةِ الزَّقُّومِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: هَلْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ موجودةٌ في الدُّنيا؟ الصَّحيحُ مِنْ أقوالِ أَهْلِ العِلْمِ: أنَّها شَجَرَةٌ لا وجودَ لَها في الدُّنيا، وإِنَّما أَوْجَدَها اللهُ تَعالى في النَّارِ.

وقالَ بعضُ أَهْلِ العِلمِ: هي شَجَرَةٌ سامّةٌ موجودةٌ في الأَراضي الصَّحراويَّةِ إذا مَسَّتْ جسدَ أَحَدٍ تورَّمَ ومات، وسُمِّيَتْ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ: لأَنَّها مأخوذةٌ مِنَ التَّزَقُّمِ وَهُوَ بَلْعُ الطَّعامِ غَصْبًا لِكراهَتِهِ.

أوصافُ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ:

ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَعالى شَجَرَةَ الزَّقُّومِ بصفتين:

الصِّفَةُ الأُولى: قالَ تَعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أَيْ: مَنْبتها في قَعْرِ النَّارِ.

الصِّفَةُ الثّانيةُ: قالَ تَعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أَيْ: ثَمَرُها في قُبْحِ مَنْظَرِهِ كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطينِ.

فائدةٌ: الغَرَضُ مِنْ تَشْبيهِ ثَمَرِ هذهِ الشَّجَرةِ برؤوسِ الشَّياطينِ، مَعَ عَدَمِ رُؤْيَةِ الشَّياطينِ: بيانُ شِدَّةِ قُبْحِ مَنْظَرِها وَكَراهَةِ طَعْمِها وَرائِحَتِها التي يَنْفِرُ مِنْها كُلُّ أَحَدٍ؛ لأَنَّ الشَّيْطانَ مكروهٌ مُستقْبَحٌ في طِباعِ النَّاسِ، والعَرَبُ تمثّل القَبيحَ بِالشَّيطانِ، فيقولونَ في قبيحِ الصُّورةِ: كَأَنَّهُ وَجْهُ شَيْطانٍ، أَوْ كَأَنَّهُ رَأْسُ شَيطانٍ، كما يقولونَ عَنْ حُسْنِ الوَجْهِ كَأَنَّهُ مَلَكٌ.

أَهْلُ النَّارِ يَمْلَؤونَ بطونَهُم مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّوم:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ هؤلاءِ المشركينَ سوفَ يأكلونَ منْ شَجَرَةِ الزَّقُّوم، ويملؤونَ بطونَهُم منها لشدَّةِ جوعِهم، ثُمَّ يُسْقَوْنَ بَعْدَ أَكْلِهِم مِنَ الزَّقُّوم شَرابًا مَخْلوطًا بماءٍ شَديدِ الحرارةِ، كَما قالَ تَعالى في سورةِ الواقِعَةِ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ فَطَعامُهُم الزَّقُّومُ وشَرابُهُم شوبٌ مِنْ حَميمٍ وهذا أَشْنَعُ ما يَكونُ مِنَ الطَّعامِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى عَذابَهُم بعدما يَأكلونَ الزَّقُّومَ ويَشرَبونَ الحَميمَ، فَقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ أَيْ: بعدما يَأكُلونَ الزَّقُّومَ ويَشْرَبونَ الحَميمَ، يُرَدّونَ إلى نارِ الجَحيمِ الّتي تَحرِقُ أَجْسادَهُم، فَهُمْ يَنْتَقِلونَ مِنْ تَعذيبٍ إلى تَعذيبٍ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: مِلءُ الكُفّارِ بُطونَهم مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ مع كراهَةِ طَعْمِهِ يدلُّ عَلى شِدَّةِ جوعِهِمْ وَسُرْعَةِ بَلْعِهِمْ.

الفائدةُ الثّانيةُ: حَرْفُ العَطفِ «ثُمَّ» في قَولِهِ تَعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ للتّراخي والإمْهالِ، فَالكُفّارُ بَعْدَ أَكْلِهِمْ مِنَ الزَّقُّومِ يطلبونَ الماءَ فَيُمْهِلُهُمُ اللهُ تَعالى، لِيَزْدادوا عَطَشًا فَيَسْتَغيثوا ويصرُخوا كَما قالَ تَعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1] فإذا شربوه قطَّع أمْعاءَهُم كَما قالَ تَعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[2].

أَثَرُ التَّقليدِ الأَعمى لِلضَّالِّينَ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى الأسبابَ التي أَدَّتْ بهم إلى هَذا المصيرِ السَّيِّئِ والعذابِ الأليمِ، وَهُوَ التَّقْليدُ الأَعْمَى لِلضَّالِّينَ، فَقال: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ أَيْ: إِنَّ هؤلاءِ الظّالمينَ الذين يعذَّبونَ بهذا العذابِ، وجدوا آباءَهُم مقيمينَ على الضّلالِ بَعيدينَ عَنْ طَريقِ الهُدى والرَّشادِ، فاقتدوا

١- سورة الكهف: ٢٩

٢- سورة محمد: ١٥

بِهِمْ في الكُفْرِ وَالضَّلالِ وَساروا خَلْفَ آثارِهِم سَيْرًا سَريعًا بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ أَوْ تَعَقُّلٍ، فَلَمْ يَلتَفِتوا إلى ما دَعَتْهُم إليهِ الرُّسُلُ، ولا إلى ما حذَّرَتْهم عنه الكُتُبُ، ولا إلى أقوالِ النَّاصِحينَ والعُلماءِ، فَساروا خَلْفَ آبائِهِم كما يَسيرُ الأعْمَى خَلْفَ مَنْ يذهب بِهِ إلى طريقِ الهلاكِ.

تَسليةُ النَّبيِّ ﷺ وتهديدُ المُشركينَ:

ثُمَّ سلى اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ عَمَّا أصابَهُ مِنْ حُزْنٍ جَرَّاءَ ضَلالِ هَؤلاءِ المُشركينَ وَتَكذيبِهِمْ، فَقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ أَيْ: وَلَقَد ضلَ قبلَ هؤلاءِ الظَّالمينَ مِنْ قَوْمِكَ - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - أكثرُ الأقْوامِ السَّابقينَ وَقَدْ أرْسَلنا إليهم رُسُلَنا يُنْذِرونَهُم فَلَمْ يُؤمِنْ مِنْهُمْ إلّا القليلُ، قال النَّبيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ» (متّفَقٌ عَلَيْهِ).

ثُمَّ أرشدَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ وأرشدَ كلَّ عاقلٍ أَنْ ينظرَ ويَتَدَبَّرَ ما حَلَّ بِالمُكَذِّبينَ، وكَيْفَ كانت عاقِبَتُهُم، فَقَدْ دَمَّرَهُمُ اللهُ تَعالى تَدْميرًا، فيجبُ الاعتبارُ بِحالِهِمْ، أمَّا عِبادُ اللهِ المُخْلَصينَ الذينَ أَخْلَصوا لَهُ العِبادَةَ، فَقَدْ خَصَّهُمُ اللهُ بِفَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ.

فائدةٌ: اللّامُ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾ جَوابُ قسمٍ محذوفٍ، وتقديرُ الكلامِ: واللهِ لَقَدْ ضَلَّ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- ضَلالُ مَنْ يعتمدُ على العَقْلِ في نَفْيِ ما ثَبَتَ في الكِتابِ والسُّنَّةِ.

٢- ذَمُّ التقليدِ لأَهْلِ الباطِلِ مِنَ الآباءِ والأَهْلِ والأَصْحابِ.

٣- رَحْمَةُ اللهِ بِالخَلْقِ حيثُ أَرْسَلَ إليهِمُ الرُّسُلَ لِيُبَلِّغوهُم مرادَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ.

٤- اللهُ لا يُعاقِبُ عَلى الذَّنْبِ إلّا بَعدَ قِيامِ الحُجَّةِ وإرْسالِ الرُّسُلِ.

٥- عِنايةُ اللهِ تَعالى برَسولِهِ ﷺ حَيْثُ كانَ يُسَلِّيهِ بِأخْبارِ السَّابقينَ لِيُذْهِبَ هَمَّهُ وَيُفرّجَ كَرْبَهُ.

٦- أَثَرُ الإخْلاصِ في قُربِ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَبُعْدِهِ عَنِ العَذابِ.

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

فَضْلُ الدُّعاءِ

الآياتُ (٧٥ – ٨٢) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
نَادَىٰنَا	دَعانا
ٱلْكَرْبِ	الهَمَّ والغَمَّ
تَرَكْنَا	أَبْقَيْنا
ٱلْءَاخِرِينَ	الأُمَمُ التي أَتَتْ بعدَ نوحٍ عليه السلام

الـمَعنى الإجْماليُّ:

اللهُ تَعالى يستجيبُ دُعاءَ عَبْدِهِ نوحٍ عليه السلام:

لَـمّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ أكثرَ الأَوَّلينَ قَدْ ضَلُّوا سَبيلَ الحَقِّ، أَعقَبَهُ بِبَيانِ حالِهِمْ بِالتَّفصيلِ، فَبَدَأَ سُبْحانَهُ بِقِصَّةِ نوحٍ عليه السلام وَما لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكذيبِ، وَأَنَّهُ لمْ يُؤْمِنْ مِنْهُم إلا القَليلُ وقَدْ دَعاهُمْ ألفَ سَنَةٍ إلا خمسينَ عامًا، فلمّا عَلِمَ أنّه لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بعدَ ذَلكَ تَوَجَّهَ إلى رَبِّهِ بالدُّعاءِ فَقال تَعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ أَيْ: وَلَقَدْ دَعانا نوحٌ لِنُصْرَتِهِ مِنْ قَوْمِهِ الْكافِرينَ فَكُنَّا لَهُ نِعْمَ المُجيبونَ

فَقَدْ أَهْلَكْنا أعْداءَهُ، وأخْبَرَ تَعالى في سورةٍ أخْرى عَنْ دَعْوَةِ نوحٍ حَيْثُ قالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[1]. وَبَيَّنَ اللهُ تَعالى أيضًا كَيْفَ نَصَرَهُ فَقال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[2].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأوَّلى: الغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ قِصَصِ الأَنبياءِ هُوَ: تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَمّا أصابَه مِنْ حُزْنٍ؛ لِعَدَمِ إيمانِ قَوْمِهِ، وتَهْديدِ المُشركينَ المُكَذِّبينَ بالنَّبِيِّ ﷺ لِيَعْتَبِروا بِحالِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الأُمَمِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: الدُّعاءُ مِنْ أشْرَفِ العِباداتِ وَأعْظَمِ الطّاعاتِ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ» (رواه الترمذي) وَقَدْ أمَرَ بِهِ تَعالى فَقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3].

الفائدةُ الثّالثةُ: لِلدّعاءِ شروطٌ يَجِبُ على كُلِّ عَبْدٍ مَعْرِفَتُها وَمِنْ هَذِهِ الشُّروطِ:

١- إخلاصُ الدُّعاءِ للهِ تَعالى وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، قالَ تَعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾[4].

٢- الثِّقَةُ بِإجابَةِ اللهِ تَعالى، قالَ ﷺ: «ادْعوا رَبَّكُم وَأَنْتُم موقِنونَ بِالإجابَةِ» (أخْرَجَهُ التِّرْمذي وَحَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ).

٣- العَزْمُ وَالجِدُّ في الدُّعاءِ، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إذا دَعا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ المَسْأَلَةَ، وَلا يَقولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِني، فَإنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» (رواهُ البُخاريُّ).

٤- تَجَنُّبُ أَكْلِ الحَرامِ.

١- سورة نوح: ٢٦-٢٧
٢- سورة القمر: ١١-١٢
٣- سورة غافر: ٦٠
٤- سورة غافر: ١٤

نِعَمُ اللهِ تَعالى على عَبْدِهِ نوحٍ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بعضًا مِنَ النِّعَمِ التي أنعمَ بها على عَبْدِهِ نوحٍ عليه السلام:

النِّعْمَةُ الأُولى: النّجاةُ مِنَ الغَرَقِ، قالَ تَعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أَيْ: وَنَجَّيْناهُ وأَهْلِهِ الذينَ آمَنوا مَعَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ، الذي حَلَّ بِأعْدائِهِ الْكافِرينَ، حيثُ أَغْرَقْناهُم أَجْمَعينَ.

النِّعْمَةُ الثّانِيَةُ: بَقاءُ ذُرِّيَّتِهِ في الدُّنْيا، قالَ تَعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ أَيْ: وَجَعَلْنا ذُرِّيَةَ نوحٍ هُمُ الذينَ بَقوا في الدُّنيا إلى يَوْمِ القِيامَةِ، فَكُلُّ بَشَرٍ في الدُّنْيا بَعْدَ الطُّوفانِ مِنْ وَلَدِ نوحٍ عليه السلام، وهَذا جَزاءٌ لَهُ على صَبْرِهِ وإخلاصِهِ في دعوتِهِ، فكلُّ النّاسِ اليَوْمَ مِنْ ذُرِّيَةِ أولادِ نوحٍ الثّلاثةِ، فَسامُ أبو العَرَبِ والرُّومِ وفارسَ، وحامُ أبو السُّودانِ، ويافِثُ أبو التُّرْكِ والتَّتارِ.

النِّعْمَةُ الثّالِثَةُ: بقاءُ الثناءِ الحَسَنِ، قالَ تَعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أَيْ: وأَبْقَيْنا لهُ ثناءً حسنًا وذِكرًا جَميلًا على لِسانِ كُلِّ مَنْ جاءَ بَعدَهُ مِنَ الأنبياءِ والأمَمِ إلى يومِ القِيامَةِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى السَّلامُ على نوحٍ لِيَقْتَدي بِهِ العالَمونَ، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: سلامٌ مستمرٌّ على نوحٍ في العالَمينَ مِنَ المَلائِكَةِ والجِنِّ والإنْسِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سببينِ لهذهِ النِّعَمِ، هُما الإحسانُ وقوةُ الإيمانِ، فَقال تَعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ أَيْ: مِثْلُ ذلكَ الجزاءِ الكريمِ الذى جازَينا بِهِ نوحًا عليه السلام سَنُجازي كُلَّ مَنْ كانَ مُحْسِنًا في أقوالِهِ وأفعالِهِ، وإنَّ نوحًا مِنْ عِبادِ اللهِ تَعالى الذينَ أَخْلَصوا لِلهِ تَعالى في إيمانِهِم.

النِّعْمَةُ الرَّابِعَة: إغراقُ الْكافِرينَ: ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى كلامَهُ عَنْ نوحٍ عليه السلام بِالتَّأكيدِ على إجابةِ دَعْوَةِ نَبِيِّهِ نوحٍ عليه السلام، فَقال تَعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ أَيْ: أَنّا أَغْرَقنا أَعْداءَهُ الذينَ آذَوْهُ، وأَعْرَضوا عَنْ دعوتِهِ، وَتِلْكَ سُنَّتُنا لا تَتَخَلَّفُ، أَنّا نُنَجّي المؤمنينَ، وَنَهْلِكُ الْكافِرينَ.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: إخبارُ اللهِ تَعالى عَنْ نَفْسِهِ بِالجَمْعِ في قولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِلتَّعظيمِ، فَاللهُ تَعالى واحدٌ لا شريكَ لَهُ.

الفائدةُ الثّانيةُ: الإحسانُ نَوْعانِ:

١- إحسانٌ في عبادةِ اللهِ تَعالى، وَيَتَحَقَّقُ بِإخْلاصِ العِبادَةِ للهِ تَعالى. قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ» (رواه البخاري).

٢- الإحسانُ إلى عِبادِ اللهِ تَعالى، ويتحقَّقُ بِالأخلاقِ الحَسَنةِ في التَّعاملِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- بيانُ إكرامِ اللهِ لأوليائِهِ، وإهانتِهِ لأعْدائِهِ.

٢- اللهُ تَعالى يُجيبُ دَعوةَ عِبادِهِ المُؤمنينَ خاصّةً عندما يُظْلَمونَ.

٣- إنّ اللهَ تَعالى يُجازي المحسنينَ بكلّ خَيْرٍ في الدُّنْيا والآخرَة.

٤- بيانُ فَضلِ الإيمانِ وكرامةِ أَهْلِهِ عندَ اللهِ تَعالى في الدُّنيا والآخرةِ.

٥- بيانُ كمالِ عَدْلِ اللهِ تَعالى حيثُ جازَى كُلّ إنسانٍ بِما يَسْتَحِقُّ.

الدَّرْسُ السَّابِعَ عشرَ

دعوةُ إبراهيمَ عليه السلام

الآياتُ (٨٣ – ٩٨) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
شِيعَتِهِۦ	أَتباعُ طَريقَتِه
أَئِفْكًا	الإفْكُ هو: الكَذِبُ
سَقِيمٌ	مريضٌ
فَرَاغَ	ذَهَبَ مُسْتَخْفيًا
يَزِفُّونَ	يُسرِعون

المَعنى الإجْماليُّ:

الأَنبياءُ دينهُمُ واحِدٌ:

لمّا ذَكَرَ اللهُ تَعالى قِصَّةَ نوحٍ عليه السلام مُقَرِّرًا بِها نَصرَ المؤمنينَ، وخِذلانَ الْكافِرينَ ذَكَرَ قصّةً أُخرى هي قِصّة إبراهيمَ عليه السلام، فَقال تَعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أَيْ: وإنّ إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ مِنْ شِيعةِ نوحٍ المُتَّبعينَ طريقَتَهُ وَمَنهَجَهُ في قُبولِ الوَحْيِ، والعملِ بِهِ واعتناقِ التّوحيدِ والدّعوةِ إليهِ. وهكذا

جميعُ الأنبياءِ عليهمُ الصّلاةُ والسَّلامُ اللّاحقُ منهُمْ يُؤيِّدُ السَّابقَ، ويُناصِرُهُ في دَعْوَتِهِ التي جاءَ بها مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وإنْ اختلفَتْ شرائعُهُم في التفاصيلِ والجُزئيّاتِ، فَهْيَ مُتَّحِدَةٌ في الأُصولِ والأرْكانِ، وَهْيَ الدَّعْوَةُ إلى التّوْحيدِ قالَ تَعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

فائدةٌ: الغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ إبْراهيمَ عليه السلام عقبَ نوحٍ عليه السلام مَعَ أنَّهُ كانَ بَيْنَ نوحٍ وَإبراهيمَ نَبِيَّانِ، هما: هودٌ وصالحٌ عليهما السلام وَذلكَ: لِيَظْهَرَ كَذِبُ قُرَيْشٍ في ادِّعائِهِم أنَّهم على مِلَّةِ إبراهيمَ وَإسْماعيلَ.

سلامَةُ قَلْبِ إبراهيمَ عليه السلام مِنَ الشِّرْكِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْضًا مِنْ صِفاتِ إبراهيمَ عليه السلام الّتي جَعَلَتْهُ مُسْتَحَقًّا الدُّخولَ في شيعَةِ نوحٍ عليه السلام:

الصِّفَةُ الأولى: سَلامَةُ القَلبِ، قالَ تَعالى: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾ أَيْ: إذْ كانَ مِنْ صِفَتِهِ التي تَستحِقُّ الثَّناءَ والدُّخولَ في شيعةِ نوحٍ أنَّهُ أتى رَبَّهُ بقلبٍ سليمٍ مِنَ الشِّركِ والمَعاصي والشُّبُهاتِ.

الصِّفَةُ الثّانيةُ: إنكارُ الشِّركِ، قالَ تَعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ أَيْ: قالَ لِأبيهِ وَقَوْمِهِ منكرًا: ما هَذا الّذي تَعْبُدونَهُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى، أتريدونَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ تَعْبُدونَها إفكًا وَكَذِبًا دونَ دَليلٍ، فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّ العالَمينَ.

ثُمَّ زادَهُم إبراهيمُ عليه السلام تَوْبيخاً، فَقالَ لَهُمْ: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أَتَظُنُّونَهُ صَنَمًا مِثْلَ هذهِ الآلِهَةِ المُزَيَّفَةِ الّتي تَعْبُدونَها، فَهذا مِنْكُمْ خَبالٌ في العَقلِ وَخَطَأٌ في الرَّأْيِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الاستفهامُ في قولِهِ تَعالى: ﴿ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾ وفي قولِهِ تَعالى: ﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ ﴾ لِلتَّوْبيخِ والإنْكارِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: كَلِمَةُ العالَمينَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ جَمْعٌ، وَالمُفْرَدُ عالَمٌ، وَالعالَمُ

١- سورة الأنبياء: ٢٥

هُوَ: كُلُّ مَخْلوقاتِ اللهِ تَعالى مِنَ المَلائِكَةِ والإنْسِ والجِنِّ والدَّوابِ، وَسُمِّيَ عالَمٌ: لأَنَّ وجودَهُ إعلامٌ واستِدلالٌ على وجودِ اللهِ تَعالى.

إبراهيمُ عليه السلام يَكْسِرُ الأَصْنامَ:

ذَكَرَ المُفَسِّرونَ أَنَّ قومَ إبراهيمَ قَدْ عَزَموا على الخُروجِ إلى عيدٍ لَهُمْ يَقْضونَهُ خارجَ البلدِ، فَعَرضوا عليهِ الخروجَ فَبَيَّنَ اللهُ تَعالى ما اعْتَذَرَ بِهِ إبراهيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ، فَقالَ تَعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ أَيْ: بَعْدَ أَنْ عَرَضوا عليهِ الخُروجَ مَعَهُم إلى عيدِهم نَظَرَ في النُّجومِ كَما يَنْظُرُ المُتَأَمِّلُ المُتَدَبِّرُ فيما يَقولُ، فَاعتَذَرَ عَنِ الخُروجِ مَعَهُم بِقَوْلِهِ: إنِّي سَقيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَرَجَعوا إلى ما هُمْ عازِمونَ عليهِ مِنَ الخُروجِ إلى العيدِ خارجَ البَلَدِ، فَلما خَلا مكانَ آلِهَتِهِم مِنَ الحُرَّاسِ والزُّوارِ ذَهَبَ إبراهيمُ إلى الأَصنامِ مُسْرِعًا مُتَخَفِّيًا، فَقالَ لِأَصْنامِهِم عَلى سبيلِ التَّهَكُّمِ والاسْتِهزاءِ: أَيَّتُها الأَصْنامُ ألا تأكلونَ مِنْ هذهِ الأَطعمةِ المُتعدِّدةِ الأَصنافِ المختلفةِ الأنواعِ الَّتي قَدَّمها لَكُم تَبَرُّكًا هؤلاءِ السُّفهاءُ الجاهلونَ، وهُمْ يَعْلمونَ أَنَّكُمْ أَحْجارٌ صُمٌّ وتَماثيلُ بُكْمٌ، فَلَمْ تُجِبْهُ؟ فَقالَ لَها: مالَكُمْ لا تنطقونَ، ثُمَّ انْهالَ عَلَيْها ضَرْبًا بِفَأْسٍ بيدِهِ اليُمنَى فَكَسَرَها قِطَعًا مُتَناثِرَةً. كَما قالَ تَعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: يَجِبُ على المُؤمنِ إذا أرادَ الاعتذارَ، وَلَمْ يَجِدْ عُذرًا واضِحًا فَلْيَعْتَذِرْ بِعُذْرٍ يَحْمِلُ معانٍ مُتَعَدِّدةٍ، كَما تَعَلَّلَ إبراهيمُ الخَليلُ بِقولِهِ: إنِّي سَقيمٌ، فَهْيَ كَلمةٌ تَحمِلُ مَعنَى المَرَضِ وَالضُّعفِ وانْشِغالِ القَلْبِ، وقَدْ تَرَكَ لِقَوْمِهِ أَنْ يَفْهَموا المَعنى الذي يَفْهَمونَهُ.

الفائدةُ الثّانيةُ: استخدَمَ الخليلُ إبراهيمُ عليه السلام أَقوى جارِحَةٍ يَمْلِكُها وَهْيَ يَدُهُ اليُمْنَى في تَكْسيرِ الأَصْنامِ لِشِدَّةِ غَضَبِهِ عَلى الأَصْنامِ.

١- سورة الأنبياء: ٥٨

نَصْرُ الحَقِّ وَهزيـمَةُ الباطِلِ:

ثَمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى خَبَرَ قومِ إبراهيمَ الخَليلِ لَـمّا رَجَعوا إلى آلِهَتِهِم فوجدوها مُكَسَّرَةً، فَقالَ تَعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ أَيْ: فَحينَ رَأَوا آلِهَتَهم مُحَطَّمةً أَقْبلوا نَحْوَ إبراهيمَ يُسْرعونَ الخُطى وَلَهُمْ ضوضاءُ تدلُّ على شِدَّةِ غَضَبِهِم لِما أَصابَ آلِهَتَهُم، فَأَحْضروهُ وأَخَذوا يحاكمونَهُ فَقالَ لَهُمْ مُوَبِّخًا في دِفاعِهِ: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ: أَتَعْبدونَ أَصْنامًا أَنْتُم تَنْحَتونَها وَتُقَطِّعونَها مِنَ الحِجارةِ أَو مِنَ الخشبِ بِأيديكم، وتتركونَ عِبادةَ اللهِ تَعالى الذي خَلقكُم وخَلَقَ الذي تعملونَهُ مِنَ الأَصْنامِ وَغَيرِها.

وَلَـمّا غَلَبَهُمُ الخليلُ إبراهيمُ بِالحُجَّةِ وانْهَزَموا أمامَهُ قابَلوا الحُجَّةَ بِالقُوةِ، وَأَصدَروا أَمْرَهُم بِإِحْراقِهِ بِالنّارِ فَقالوا: ابْنوا لَهُ بُنْيانًا عظيمًا وَامْلَؤوهُ حَطَبًا وَأَضرِموا فيهِ النّارَ، حتّى إذا اشْتَدَّ لَهيبُها فَأَلْقوهُ في جَحيمِها فَأرادوا كَيْدَ إبراهيمَ بِإِحْراقِهِ في النَّارِ، فَرَدَّ اللهُ تَعالى كَيْدَهُمْ وَأَمَرَ النّارَ أَنْ تكونَ بَرْدًا وَسَلامًا عَلى إبْراهيمَ فَخَرَجَ مِنها إبراهيمُ عليه السلام سالِمًا وَخَيَّبَ اللهُ سَعْيَ المُشْرِكينَ وَجَعَلَهُمْ الأَذَلَّيْنِ.

فائدةٌ: الجَحيمُ هِيَ: النّارُ شديدةُ اللَّهبِ، يُقالُ: جَحَمَ فلان النّارَ: إذا أَوْقَدَها وَأَشْعَلَها.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- التَّوحيدُ هُوَ دينُ اللهِ تَعالى الّذي دَعا إليهِ كُلَّ الأَنبياءِ.

٢- كمالُ سَلامَةِ قَلْبِ إبراهيمَ عليه السلام مِنَ الشِّرك.

٣- مِنْ أَقبَحِ الكَذِبِ ادّعاءُ أُلوهيّةِ أَحَدٍ غَيْرَ اللهِ تَعالى.

٤- وُجوبُ تَغييرِ المُنْكَرِ عِنْدَ القُدرَةِ عَلَيْهِ.

٥- الصَّبْرُ على البلاءِ يَرفعُ العَبْدَ عِنْدَ رَبِّهِ، فَقَدْ أُلقِيَ إبراهيمُ عليه السلام في النَّارِ فَصَبرَ، فَرَفَعَ اللهُ مَقامَهُ.

الدَّرسُ الثَّامن عَشَرَ

ابتلاءُ اللهِ تَعالى لإبراهيم عليه السلام

الآياتُ (٩٩ - ١١٣) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
أَسْلَمَا	اسْتَسْلَما لِقضاءِ اللهِ
تَلَّهُ لِلْجَبِينِ	أَضْجَعَهُ عَلى جَبينِهِ
فَدَيْنَاهُ	أَنْجَيْناهُ
بِذِبْحٍ عَظِيمٍ	بِكَبْشٍ سَمين

المَعنى الإجْماليُّ:

هِجرةُ إبراهيمَ وَبِشارَتُهُ بِولَدِهِ إسماعيلُ:

ما زالَ السياقُ في قِصَّةِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام فَيُخبرُ اللهُ تَعالى أنّه بعدَ ما نصرَ خليلَه إبراهيمَ عليه السلام على قومِهِ بعدَ أنْ أَلْقَوْهُ في النّارِ، وَخرجَ بِأمْرِ اللهِ سالمًا قَرَّرَ الهِجْرَةَ وَتَرْكَ البِلادِ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ

﴿ رَبِّ سَيَهۡدِينِ ﴾ أَيْ: إنِّي مفارقٌ تلك الديارَ، ومهاجرٌ إلى مكانٍ أتمكنُ فيه من عبادةِ ربِّي، وإنه سيرشدُني إلى ما فيهِ صلاحُ ديني ودُنْيايَ، وهذا المكانُ هُوَ الأرضُ المُقَدَّسَةُ بِالشّامِ، ثُمَّ دعا الخليلُ إبراهيمُ ربَّهُ قائلًا: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أَيْ: ارْزُقْني أولادًا صالحينَ يُعينونَني على الدّعوةِ، فاستجابَ اللهُ تعالى دعاءَ خليلِه إبراهيمَ عليه السلام فقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ أَيْ: فَبَشَّرْناهُ على لِسانِ ملائكتنا بِغلامٍ مَوصوفٍ بِالحُلمِ وبِمكارِمِ الأخلاقِ، وذلكَ أنّهُ ذَهَبَ مع زوجتِهِ سارةَ من أرضِ القُدسِ إلى مِصرَ، وحدثَ أنْ وَهَبَ مَلِكُ مِصْرَ جاريةً لِسارةَ تُسَمَّى: «هاجر» فَوَهَبتْها سارةُ لِزوجِها إبراهيمَ فَتَزَوَّجَها فَوَلَدتْ له غلامًا هو إسماعيلُ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: طلبَ الخَليلُ إبراهيمُ مِنَ اللهِ أنْ يرزقَه وَلَدًا صالِحًا، لأنَّ صَلاحَ الأَبناءِ يُقِرُّ عَيْنَ الآباءِ فتكونُ نعمةُ الذُّرِّيةِ أكْمَلَ وَأعْظَمَ.

الفائدةُ الثّانيّةُ: اشْتَمَلَتْ بِشارةُ إبراهيمَ عليه السلام بِالوَلدِ على ثلاثِ نِعَمٍ: أَنَّ الوَلدَ سيكونُ ذَكَرًا، وأنَّه يصيرُ رَجُلًا، وأنه يكونُ حَليمًا.

ابْتلاءُ إبراهيمُ بِذَبْحِ ابْنِهِ إسْماعيلَ:

لَمَّا رَزَقَ اللهُ تَعالى إبراهيمَ عليه السلام بِوَلدِهِ إسماعيلَ عليه السلام مِنْ زَوْجَتِهِ هاجَرَ، غارَتْ منْها سارةُ فَأمَرَ اللهُ تَعالى إبراهيمَ عليه السلام أنْ يأخذَ هاجرَ وطفلَها إلى مكّةَ إبعادًا لها عن سارةَ ليقلَّ تَألُّمُها، وَبِمَكَّةَ رَأى إبراهيمُ رُؤْياهُ، ورُؤْيا الأنبياءُ وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعالى واجبُ التَّنفيذِ، فَقالَ لابْنِهِ إسماعيلَ ما أخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ أَيْ: فَلَمّا كَبُرَ إسماعيلُ وصارَ يَذهبُ مَعَ أبيهِ وَيسعى في أشغالِهِ وَقضاءِ حوائجِهِ، قالَ لَهُ: يا بُنَيَّ إنِّي رَأيْتُ في المَنامِ أنِّي أَذْبَحُكَ فما رَأْيُكَ؟ فَأجابَ إسماعيلُ على أبيهِ إبراهيمَ قالَ: يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرينَ.

ثُمَّ أَخْبَرَنا اللهُ تَعالى عنْ كيْفيةِ تَنفيذِ الرُّؤيا: قالَ تَعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ أَيْ: فَلَمّا اسْتَسْلَمَ الأَبُ وَالابْنُ لِأَمْرِ اللهِ تَعالى وَأَضْجَعَ الأَبُ ابنَه على كتفِه، وجعلَ جَبينَه على الأرضِ، واسْتَعدَّ الأبُ لِذَبْحِ ابنِه وأَخَذَ السِّكّينَ وَوَضَعَها على رَقَبَتِه فَناداهُ اللهُ تَعالى كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ ﴾ أَيْ: نادَيْناهُ وَقُلْنا لَهُ يا إبْراهيمُ: قَدْ فَعَلْتَ ما أَمَرْناكَ بِهِ، ونَفّذْتَ ما رَأَيتَهُ في رؤياكَ بِإضْجاعِكَ وَلدكَ لِلذَّبحِ، فَقَدْ بانَ صِدْقُ إيمانِكَ، وَقُوَّةُ إخْلاصِكَ، وَصَبرُكَ على القَضاءِ، فَرَفعْنا البلاءَ عَنْكَ وعنْ وَلَدِكَ، وَمِثلُ ما جازَيناكَ بِرَفْعِ الشّدةِ عَنْكَ نُجازي كُلَّ محسنٍ بِرَفعِ البَلاءِ عَنْهُ، كَما قالَ تَعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[1].

ثُمَّ وصفَ اللهُ تَعالى البَلاءَ الذي نزلَ بِإبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام فَقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ أَيْ: إنَّ هذا الذي حَدَثَ لإبراهيمَ لَهُوَ الاختبارُ الذي يُظهِرُ صدقَ إيمانِ العَبدِ وإخلاصِه للهِ تَعالى، وقد سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ فَقالَ: «الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ...» (رواه الترمذي وصحَّحَهُ الألبانيُّ).

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى كيفَ دفعَ البلاءَ عَنْ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام فَقال: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ أَيْ: وَأَنْجَيْنا إسْماعيلَ عليه السلام مِنَ الذَّبحِ بِكَبْشٍ عَظيمٍ في هَيْئَتِه، لِيُذْبَحَ فِداءً عَنْهُ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: أَخْبرَ الخَليلُ إبراهيمُ عليه السلام ابنَهُ إسْماعيلَ بِالذَّبْحِ؛ لِيَخْتَبِرَ صَبرَه على طاعةِ اللهِ تَعالى وطاعةِ أبيهِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: قَولُ إبراهيمَ لِولَدِه: ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ يَدلُّ على الرَّحمَةِ، وَجوابُ إسماعيلَ بِقولِه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ يَدُلُّ على الأَدَبِ.

١- سورة الطلاق: ٢

الفائدةُ الثّالثةُ: الحِكْمَةُ مِنْ إلقاءِ إبراهيمَ وَلَدَهُ إسماعيلُ على جَبينِهِ حينَ الذَّبْحِ هِيَ: أَنْ لا تَأْخُذَهُ الشَّفَقَةُ على وَلَدِهِ عِند رُؤْيَةِ وَجهِهِ.

مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى عَبْدِهِ إبراهيمَ عليه السلام:

ثُمَّ عَدَّدَ اللهُ تَعالى بَعْضًا مِنَ النِّعَمِ التي أَنْعَمَ بها على نَبِيِّهِ وَخَليلِهِ إبراهيمَ عليه السلام:

النِّعْمَةُ الأُولى: بَقاءُ الثَّناءِ الحَسَنِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ أَيْ: وَأَبْقَيْنا لَهُ ثناءً حَسَنًا وذكرًا جَميلًا على لِسانِ كُلِّ مَنْ جاءَ بعدَهُ مِنَ الأنبياءِ وَالأُمَمِ إلى يومِ القِيامَةِ.

ثُمَّ أَرْسلَ اللهُ تَعالى السَّلامَ على إبراهيمَ فَقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أَيْ: سَلامٌ مُسْتَمِرٌّ على ابراهِيمَ في العالَمينَ منَ الملائكةِ والجِنِّ وَالإنْسِ.

ثم بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ إحسانَ إبراهيمَ عليه السلام وإيمانَهُ كانا مِنْ أسبابِ النِّعَمِ التي أَنْعَمَها اللهُ عَلَيْهِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَيْ: مِثْلَ ذلكَ الجزاءِ الكريمِ الذي جازَيْنا بِهِ إبراهيمَ عليه السلام سَنُجازي كُلَّ مَنْ كانَ مُحْسِنًا في أقوالِهِ وأفعالِهِ، وإِنَّ إبراهيمَ مِنْ عِبادِ اللهِ الذينَ أَخْلَصوا في إيمانِهِمْ.

النِّعْمَةُ الثّانيةُ: البُشرى بِوَلَدٍ آخَرَ اسْمُهُ إسْحاقُ: قالَ تَعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أَيْ: وَبَشَّرْنا إبراهيمَ بإسحاقَ الذي سيكونُ نبيًّا مِنَ الصَّالِحينَ القائمينَ بِحَقِّ اللهِ تَعالى وَحَقِّ عِبادِهِ.

النِّعْمَةُ الثّالِثَةُ: البَرَكَةُ في الذُّرِّيةِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ أَيْ: وَأَنْزلنا على إبراهيمَ بَرَكاتِ الدُّنيا والآخِرَةِ، حيثُ جَعلَ اللهُ في ذُرِّيتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ، وَأَعْطَيْنا إسْحاقَ الكثيرَ مِنْ بَرَكاتِنا، فَقَدْ جَعَلنا عَدَدًا كَبيرًا مِنَ الأنْبياءِ مِنْ نَسْلِهِ، وَمَعَ ذَلكَ فَقَدْ اقتضتْ حِكمَتُنا أَنْ نجعلَ مِنْ ذُرِّيتِهما مَنْ هُوَ مُحْسِنٌ في قولِهِ وَعملِهِ، ومَنْ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ بالكُفرِ والمَعاصي ظُلمًا واضحًا بَيِّنًا، وَسَنُجازي كُلَّ فريقٍ بما يستحقُّه من ثوابٍ أو عِقابٍ.

فائدةٌ: كُلُّ الأنبيّاءِ بعدَ إبراهيمَ مِنْ نَسْلِهِ، وكُلُّ الأنبياءِ مِنْ نَسْلِ إسحاقَ، إلا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ فَمِنْ نَسْلِ إسماعيلَ عليه السلام.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- رُؤيا الأنْبِياءِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعالى.

٢- وُجوبُ بِرِّ الوالدَيْنِ وَطاعَتِهما.

٣- فَضْلُ إبراهيمَ وَعُلُوُّ مَقامِهِ وَكرامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

٤- ظُلْمُ الذُّرِّيةِ لا يَعيبُ الأصولَ.

الدَّرسُ التَّاسِعُ عَشَرَ

مِنَّةُ اللهِ تَعالى على موسى وَهارونَ عليهما السلام

الآياتُ (١١٤ - ١٢٢) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَنَنَّا	أَنْعَمْنا
ٱلْكِتَٰبَ	التَّوْراةُ
ٱلْمُسْتَبِينَ	الواضِحَ
ٱلصِّرَٰطَ	الطَّريقَ

المَعنى الإجْماليُّ:

مِنَّةُ اللهِ تَعالى على موسى وَهارونَ عليهما السلام :

ما زالَ السِّياقُ في ذِكْرِ نِعَمِ اللهِ تَعالى على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، فَبَعدَ ذِكرِ إنعامِهِ على إبراهيمَ وَوَلَدَيْهِ إسماعيلَ وإسْحاقَ ذَكَرَ محسنَينِ مِنْ ذُرِّيّةِ إبراهيمَ، هُما موسى وَهارونُ فَقالَ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ أَيْ: وَلَقَدْ أَنْعَمْنا على موسَى وَهارونَ بِالخَيْرِ الكَثيرِ، فَآتَيْناهُما النُّبُوَّةَ، وَهَذا أَعْظَمُ فَضْلٍ يَتفضَّلُ اللهُ بِهِ تَعالى على واحدٍ مِنَ البَشَرِ.

ثُمَّ فَصَّلَ اللهُ تَعالى بَعْضًا مِنَ النِّعَمِ الّتي أنعَمَ بِها على موسى وهارونَ:

النِّعْمَةُ الأُولى: النَّجاةُ مِنْ فِرْعَونَ وجُنودِه، قالَ تَعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أَيْ: وَنَجَّيْنا موسى وهارونَ وَقَوْمَهُما مِنْ بَني إسرائيلَ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ الذي ذا قوهُ بِاسْتِعْبادِ فِرْعَوْنَ وجنودِهِ لَهُمْ زَمَنًا طَويلًا كَما قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[1].

النِّعْمَةُ الثّانية: النَّصْرُ على الأعداءِ، قالَ تَعالى:﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ أَيْ: وَنَصَرْناهُمْ على فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِأَنْ أَغْرَقْناهُ وَجنودَهُ في البَحْرِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2] فَكانَتْ لِبَني إسْرائيلَ الغَلَبَةُ فَقَدْ رَجَعوا إلى مِصرَ بَعدَ هلاكِ فِرعونَ وَقومِهِ فَملكوا أَرْضَهُم وَأَمْوالَهُم التي جَمَعوها طوالَ حياتِهِم فَكانوا أَصْحابَ السُّلْطانِ وَالرِّفْعَةِ.

النِّعْمَةُ الثّالِثَةُ: إيتاءُ التَّوْراةِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ أَيْ: وَأَعْطَيْناهُما التَّوْراةَ الواضحَةَ الأحكامِ، البَيِّنَةَ الشّرائعِ الجامِعَةَ لِما يحتاجُ إليهِ البشرُ في مصالحِ الدِّينِ والدُّنْيا كَما قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[3].

فائدةٌ: سَمَّى اللهُ تَعالى التَّوْراةَ كتابًا: لِأَنَّ اللهَ تَعالى كَتَبها بِيَدِه، قالَ تَعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾[4] وَقَدْ جاء عن رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّ آدمَ قالَ لموسى: أنت موسى اصْطَفاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وكتب لَكَ التَّوْراةَ بِيَدِه» (رواه مسلم).

١- سورة القصص: ٤
٢- سورة يونس: ٩٠-٩٢
٣- سورة المائدة: ٤٤
٤- سورة الأعراف: ١٤٥

النِّعْمَةُ الرّابِعَةُ: الهِدايةُ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أَيْ: وَهَدَيْناهُما وَأَرْشَدْناهما إلى الطّريقِ الواضِحِ الذي لا عِوَجَ فيهِ، وَهُوَ طَريقُ العُبودِيّةِ والإيمانِ وَالانقيادِ لِلهِ رَبِّ العالَمينَ.

النِّعْمَةُ الخامِسَةُ: بَقاءُ الثناءِ الحَسَنِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ أَيْ: وَأَبْقَينا لَهُما ثَناءً حَسَنًا وَذِكرًا جَميلًا على لِسانِ كُلِّ مَنْ جاءَ بَعْدَهما مِنَ الأَنْبِيّاءِ، وَالأُمَمِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى السَّلامَ على موسَى وَهارونَ فَقالَ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ أَيْ: سَلامٌ مُسْتَمِرٌّ عليهما في العالَمينَ مِنَ المَلائِكَةِ وَالجِنِّ وَالإنْسِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ إحسانَ موسى وَهارونَ وإيمانَهما كانا مِنْ أَسْبابِ النِّعَمِ التي أَنعمَها اللهُ عَلَيْهِما، فَقالَ تَعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ أَيْ: مِثْلُ ذلكَ الجَزاءِ الكريمِ الذي جازَيْنا بِهِ موسى وَهارونَ سَنُجازي كَلَّ مَنْ كانَ مُحْسِنًا في أقوالِهِ وَأَفْعالِهِ، وإنَّهُما مِنْ عِبادِ اللهِ تَعالى الذينَ أَخْلَصوا في إيمانِهِم.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- إكرامُ اللهِ تَعالى لِنَبِيَّيْهِ موسى وهارونَ عليهما السلام.

٢- إنْعامُ اللهِ تَعالى على بَني إسرائيلَ بِإِنْجائِهِم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَنَصْرِهِم عَلَيْهِم.

٣- التَّمَسُّكُ بِكُتُبِ اللهِ تَعالى يُؤدّي إلى الهِدايةِ والتَّوفيقِ.

٤- الإحسانُ وإخْلاصُ الإيمانِ سَبَبانِ لِنُزولِ نِعَمِ اللهِ على العَبْدِ.

الدَّرْسُ العِشْرونَ

دَعْوَةُ إلياسَ عليه السلام

الآياتُ (١٢٣- ١٣٢) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
إِلْيَاسَ	نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيلَ
بَعْلًا	اسمُ صَنَمٍ
وَتَذَرُونَ	تَتْركونَ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

إلياسُ عليه السلام رسولٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِهدايةِ قَومِه:

تُواصِلُ الآياتُ الكَريمَةُ ذِكْرَ نِعَمِ اللهِ تَعالى على أنبيائِهِ وَرُسُلِهِ عليهم السلام ، والَّذينَ أرسلَهم لِهدايةِ الناسِ وإخراجِهم مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ عَنْ أحدِ أنْبياءِ بَني إسرائيلَ التّابعينَ لِشَريعةِ التَّوْراةِ التي أُنْزِلَتْ على موسَى عليه السلام وهُوَ النَّبيُّ إلياسُ عليه السلام الذي ينتهي نَسَبُهُ إلى يَعقوبَ بْنِ إسْحاقَ بْنِ إبراهيمَ عليه السلام، وقدْ أرْسَلَهُ اللهُ تَعالى إلى قَوْمِهِ في مدينةِ بَعْلَبَكَ

وما حَوْلَها الذينَ كانوا يعبدونَ صَنَمًا يُسَمّونَه بَعْلًا، فَقال تَعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أَيْ: مِنَ الّذينَ أَرْسَلَهُم اللهُ تَعالى إلى قَوْمِهِ؛ لِيُخْرِجَهُم مِنْ ظُلُماتِ الكفرِ إلى نورِ الإيمانِ.

إلياسُ عليه السلام يدعو قومَه إلى عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ:

ثُمَّ أخبرَ اللهُ تَعالى عمَّا نصحَ بِهِ إلياسُ عليه السلام قومَه، فَقال تَعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أَيْ: فقدْ قامَ إلياسُ داعيًا قَوْمَهُ فَقالَ لَهم: ألا تَتَّقونَ اللهَ تَعالى وَتَعْبدونه وَحْدَهُ وَتخافونه بِسَبَبِ ما أَنْتُم عليهِ مِنَ الكُفرِ وعبادةِ غيرِهِ تَعالى، ثُمَّ وَبَّخَ إلياسُ عليه السلام قومَهُ فَقالَ لهم: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أَيْ: أَتَدْعونَ هذا الصَّنَمَ الذي تُسَمُّونَهُ بَعْلًا على أنه إلهٌ لَكُمْ وتعبدونَهُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى، وتتركونَ عِبادةَ خالِقكم الذي يستحقُّ العبادةَ، وهو أَحْسَنُ الخالِقينَ، وهو اللهُ رَبُّكُمْ وربُّ آبائِكُم الأَوَّلينَ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُوَّلى: كلمة ﴿ أَلَا ﴾ في قولِهِ تَعالى: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ تُسَمَّى: أداةُ تَحْضيضٍ، وفائِدَتُها: حَثُّ المَخاطَبِ على التَّقْوى.

الفائِدَةُ الثّانيةُ: التَّقْوَى هي: تنفيذُ أوامرِ اللهِ تَعالى، واجتنابُ نواهيهِ؛ لِيَقينا مِنَ العَذابِ.

الفائِدَةُ الثّالِثةُ: التَّقْوَى وَصِيَّةُ اللهِ تَعالى إلى عِبادِهِ، وَوَصِيةُ الأَنْبياءِ والمرسلينَ إلى النّاسِ.

فَقَدْ وَصَّى بها اللهُ تَعالى العِبادَ فَقال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[1] وَوَصَّى بها الأنبياءُ أُمَمَهم قالَ تَعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2] وقالَ تَعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3] وقالَ تَعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[4] وقالَ تَعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[5] وَوَصَّى بِها النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ في الحديثِ الذي رواهُ العرباضُ

١- سورة النساء: ١٣١
٢- سورة الشعراء: ١٠٦
٣- سورة الشعراء: ١٢٤
٤- سورة الشعراء: ١٤٢
٥- سورة الشعراء: ١٦١

بْنُ سارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» (رواه أحمدُ والتِّرمِذيُّ وابْنُ ماجه).

الفائدةُ الرَّابعةُ: همزةُ الاستفهامِ في قولِهِ تَعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾: لِلإنكارِ وَالتَّوْبيخِ.

تكذيبُ قَوْمِ إلياسَ وَجَزاؤُهُم:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى موقفَ قومِ إلياسَ مِنْ نَبِيِّهِم، وَبَيَّنَ ما حلَّ بهم مِنْ عذابٍ؛ بِسببِ إعراضِهِم عَنْ دَعوَتِهِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أَيْ: فَكَذَّبوهُ فيما جاءَهُم بِهِ مِنْ وجوبِ عبادةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَعْرَضوا عَنْ دَعوتِهِ، فهمْ لأجلِ ذلكَ سيُحْضَرونَ يومَ القِيامَةِ للعَذابِ، ويُجازونَ على سوءِ أفعالِهِم وأقوالِهِم بِنارِ جَهَنَّمَ خالدينَ فيها أَبَدًا.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ أَهْلَ الإيمانِ المخلصينَ الذينَ آمَنوا بإلياسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سينجونَ مِنَ النّارِ ويكونونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَقال تَعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أَيْ: لكنْ عبادُ اللهِ تَعالى الذينَ أخلصوا في عبادتِهِ، فإنّهم ناجونَ مِنَ الإحضارِ المُهينِ والعَذابِ الأليمِ، لأنَّهم سيكونونَ يومَ القِيامَةِ في جنّاتِ النَّعيمِ.

بقاءُ الثناءِ الحسنِ لإلياسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ أَيْ: وأبقيْنا له ثناءً حسنًا وذكرًا جميلًا على لسانِ كُلِّ مَنْ جاءَ بَعدَه مِنَ الأنبياءِ والأمَمِ إلى يومِ القِيامَةِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى السّلامَ على إلياسَ فَقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ أَيْ: سلامٌ مُستمرٌّ على إلياسَ في العالمينَ مِنَ المَلائكةِ والجِنِّ وَالإنْسِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ إحسانَ إلياسَ عليه السلام وإيمانَه كانا مِنْ أسبابِ النِّعَمِ التي أنعمَها اللهُ عليه، فَقال تَعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ أَيْ: مثلُ ذلكَ الجزاءِ الكريمِ الذي جازَيْنا بِهِ إلياسَ سنجازي به كُلَّ مَنْ كانَ مُحسنًا في أقوالِهِ وأفعالِهِ، وإنَّهُ مِنْ عِبادِ اللهِ تَعالى الذينَ أخْلَصوا في إيمانِهِم.

فائدةٌ:

كانَ العربُ ينطقونَ اسمَ إلياسَ ويقولونَ: ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ فخاطبَهم اللهُ تَعالى بما ينطقونَ بِهِ، وكثيراً ما يتصرّفُ العربُ في الأسماءِ غيرِ العربيةِ فيقولونَ مثلًا على إسماعيلَ: إسماعينَ، وجبرائيلَ جبرائينَ.

من هدايةِ الآياتِ:

١- وجوبُ الإيمانِ بِنُبُوَّةِ إلياسَ عليه السلام.

٢- تقريرُ التوحيدِ، والتنديدُ بِالشركِ.

٣- فضلُ التقوى عندَ اللهِ تَعالى.

٤- هلاكُ المشركينَ ونجاةُ الموحِّدينَ يومَ القِيامَةِ.

٥- فضلُ الإحسانِ والإيمانِ ومجازاةُ أَهْلِهما بِأحسنِ الجزاءِ.

الدَّرسُ الحادِيُّ وَالعِشْرونَ

نَجاةُ نَبيِّ اللّهِ لوطٍ عليه السلام

الآياتُ (١٣٣ - ١٣٨) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱلْغَٰبِرِينَ	الباقينَ في العذابِ
دَمَّرْنَا	أَهْلكنا
مُّصْبِحِينَ	في الصَّباحِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

لوطٌ عليه السلام رَسولٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِهدايةِ قَومِهِ:

يُخبِرُ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ عنْ أحدِ الأنبياءِ التّابعينَ لِمِلَّةِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، وهوَ النّبيُّ لوطٌ عليه السلام بن هارانَ بنِ آزَرَ، فعمُّهُ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام، وقد آمَنَ لوطٌ بِعَمِّهِ إبراهيمَ، واهتدى بِهَديهِ كما قالَ تَعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[1]، ثُمَّ هاجرَ مَعَ عَمِّهِ إبراهيمَ مِنَ العراقِ إلى الشامِ، وقد أرسلَهُ اللهُ تَعالى إلى أَهْلِ قريةِ (سدوم) وما حَوْلَها مِنَ القُرى يَدعوهُم إلى عِبادةِ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ويأمرُهم بِالمعروفِ وَيَنهاهُمْ عنِ المنكرِ والفواحِشِ التي يرتكبونَها، ولم يسبقهم بها أحدٌ مِنْ بَني آدَمَ، فَأرسلَ اللهُ تَعالى لوطًا لِهدايتِهم فَقال: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أَيْ: مِنَ الذينَ أرسلَهُمُ اللهُ تَعالى

١- سورة العنكبوت: ٢٦

إلى قومِهِ؛ لِيُخرِجَهم مِنْ ظُلماتِ الكُفرِ إلى نورِ الايمانِ، وَيَنهاهُم عَمَّا هُمْ فيه مِنْ ارتكابِ الفَواحِشِ والمُحرَّماتِ فما كانَ مِنْ هؤلاءِ القَوْمِ إلا التَّكذيبُ والصَّدُّ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى، والاستهزاءُ بِعذابِ اللهِ تَعالى، والتَّهديدُ بِأنْ يُخْرِجوُه مِنَ القريةِ فَتبرَّأَ لوطٌ عليه السلام منهمْ، ثمّ دعا رَبَّهُ أنْ يُنَجِّيهِ مِنْ هؤلاءِ القومِ الظَّالِمينَ، كما قالَ تَعالى في سورَةِ الشُّعَراءِ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

نجاةُ المُؤْمِنينَ وهلاكُ الظَّالِمينَ:

يُخبِرُ اللهُ تَعالى أنّه قدْ استجابَ لدعاءِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ لوطٍ عليه السلام فَقال تَعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أَيْ: فَقَدْ أَنْعَمْنا على عبدِنا لوطٍ حينَ نَجَّيْناهُ وأَهْلَهُ أَجمعينَ مِنَ العذابِ الذي حَلَّ بِقَومِهِ إلا امْرَأَتَهُ العجوزَ، فَقَدْ كانت مع القومِ الباقينَ الذينَ حَلَّ عليهمُ العَذابَ، حيثُ دَمَّرَهُمُ اللهُ تَعالى.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: المقصودُ بالعجوزِ في قولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: زوجةُ لوطٍ عليه السلام فقد كانتْ كافِرةً لم تؤمنْ بِاللهِ تَعالى، وكانَتْ تُفْشي أسرارَ زَوْجِها لِقَومِهِ؛ فأَهْلَكَها اللهُ تَعالى مع الهالِكينَ.

الفائدةُ الثّانيةُ: كانَ عذابُ قومِ لوطٍ الرَّجْمُ بِالحجارةِ مِنَ السَّماءِ، فَهُدِّمَتْ بُيوتُهُم ودَمَّرَتْهُم تدميرًا.

العِبْرَةُ والعِظَةُ مِمّا حَلَّ بِالظَّالِمينَ:

ثُمَّ وَجَّهَ اللهُ تَعالى الخطابَ لِمشركي قريشٍ؛ لِيرشدَهم إلى النَّظَرِ والاعتبارِ بما حَلَّ بِأمثالِهِم مِنَ المكذِّبينَ فَقَدْ كانوا يسافرونَ لِلتِّجارةِ إلى الشامِ وفلسطينَ ويَمُرُّونَ بِديارِ قَوْمِ لوطٍ، فَقالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ أَيْ: وإنَّكم يا أَهْلَ مَكَّةَ لَتَمُرُّونَ على مساكنِ قومِ لوطٍ المُهْلَكينَ تارةً في وقتِ الصباحِ، وتارةً في اللّيلِ، وَتَرَوْنَ بِأعْينِكم ما حَلَّ بِهم مِنْ دَمارٍ، أفلا تَعْقِلونَ وَتَتَّعِظونَ؛ حتى لا يصيبَكم مثلُ ما أصابَهُم.

فائدةٌ: الاستفهامُ في قولِهِ تَعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: لِلتَّوبيخِ على عدمِ الاعتبارِ مِنْ أحوالِ السَّابقينَ إذْ لوْ فَكَّرُوا لَعَلِموا أنَّ اللهَ تَعالى أَهْلكَهم؛ لِتكذيبِهم رَسولَهُم وكُفْرِهم بما جاءَهم بِهِ مِنَ الهُدى والحَقِّ.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ نُبُوَّةِ لوطٍ عليه السلام ورسالتِهِ.

٢- سُنَّةُ اللهِ تَعالى لا تتبدَّلُ في نجاةِ المؤمنينَ وإهْلاكِ الْكافِرينَ.

٣- لا شفاعةَ للكافرِ ولوْ كانَ أقربَ قريبٍ لِلمُؤْمِنِ باللهِ تَعالى، فلمْ يَشْفَعْ لوطٌ عليه السلام لِزوجتِهِ.

٤- وجوبُ التَّفَكُّرِ وأخذُ العِظَةِ مِنْ حياةِ السّابقينَ.

الدَّرسُ الثَّاني وَالعِشْرونَ

دَعْوَةُ يونُسَ عليه السلام

الآياتُ (١٣٩ - ١٤٨) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
أَبَقَ	هَرَبَ بِلا إِذْنٍ
ٱلْمَشْحُونِ	المملوء
فَسَاهَمَ	فاقْتَرَعَ
ٱلْمُدْحَضِينَ	المغلوبينَ
فَٱلْتَقَمَهُ	ابْتَلَعَهُ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

يونُسُ عليه السلام رسولٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِهدايةِ قَوْمِه:

ما زالَ السِّياقُ في ذكرِ بعضِ أنبياءِ اللهِ تَعالى ورسلِه الذينَ أرْسَلَهم؛ لِهدايةِ الناسِ فأخبرَ تَعالى في هذهِ الآياتِ عن نَبيٍّ مِنْ أنبياءِ بَني إسرائيلَ وَهُوَ النَّبيُّ يونسُ بنُ متّى عليه السلام، فَقال: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أَيْ: مِنَ الذينَ أرْسَلَهم اللهُ تَعالى إلى أَهْلِ نينَوَى الذينَ كانوا في أرضِ الموصلِ بِالعراقِ،

لِيَدْعُوَهم إلى عبادة اللهِ وحدَهُ وَتَرْكِ عِبادة الأصْنام، فَكَذَّبوهُ ولم يَستجيبوا لِدَعْوَتِه، فَلمَّا طالَ عِنادُهُم وإصْرارُهُم على كُفْرِهم حَذَّرَهُم يونسُ عليه السلام مِنَ العذابِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ إذا لمْ يُؤمِنوا، فازدادَ عِنادُهم وإصرارُهم على كفرِهم، فخرجَ مِنْ بينِهم غاضبًا مُسرِعًا مُتَعَجِّلًا قبلَ أنْ يأذَنَ اللهُ لهُ بالخروجِ، ولمّا أيْقَنوا أنَّ العذابَ واقعٌ بهم تابوا وَرَفَعوا أصْواتَهم بالدُّعاءِ إلى اللهِ تَعالى، فكشفَ اللهُ عنهم العذابَ الشديدَ الذي كان سَيَحِلُّ بهم، فقالَ تَعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

حالُ يونسَ عليه السلام في السَّفينَة:

يُخبرُ اللهُ تَعالى عن حالِ يونسَ عليه السلام عندَما تَركَ قومَه غاضبًا منهم، فقالَ تَعالى: ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ أَيْ: اذكرْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ حالَ يونُسَ عليه السلام حينَ غادرَ غاضبًا مِنْ قومِه بغيرِ إذنٍ مِنَ اللهِ تَعالى، واتَّجَه إلى البحرِ فَوَجدَ هناكَ سَفينَةً مملوءةً بالناسِ فَركِبَ فيها، فلمَّا سارتْ في البحرِ كادتْ تَغرقُ مِنْ ثِقَلِ حَمْلِها، فاقترعَ مَعْ مَنْ كانَ في السَفينَةِ لِيُلْقوا في البحرِ مَنْ تخرجُ عليه القرعةُ فكانَ يونسُ مِنَ المغلوبينَ الذينَ أصابَتْهُم القرعةُ فَأَلْقَوْهُ في البَحْرِ.

العملُ الصّالِحُ يُنْجي صاحِبَه وقتَ الشِّدَّة:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ يونسَ عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في البحرِ فقال: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أَيْ: فلمَّا أُلْقِيَ في البحرِ ابْتَلَعَهُ الحوتُ وهو ملامٌ على ما فَعَل، حيثُ تركَ قومَه مُغاضِبًا قبلَ أنْ يَأذَنَ اللهُ تَعالى له بالخروجِ.

ثُمَّ ذَكرَ اللهُ تَعالى سببَ نجاةِ يونسَ عليه السلام مِنْ هذهِ الشِّدَّةِ فقال: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أَيْ: فلولا أَنَّ يونسَ كانَ مِنَ المُكثرينَ مِنَ التَّسبيحِ والدُّعاءِ وذكرِ اللهِ تَعالى قبلَ البلاءِ وأثناءَ البلاءِ، لَلَبِثَ في بَطْنِ الحوتِ إلى يومِ القِيامَةِ، فقد كانَ مِنْ دعائِه وهو في بطنِ

١- سورة يونس: ٩٨

الحوتِ كما أخبرَ اللهُ تَعالى عنه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ثُمَّ بَيَّنَ تَعالى أنَّه قد استجابَ اللهُ دعاءَ عَبْدِه وَنَبِيِّه يونسَ عليه السلام وَنَجَّاهُ منْ بطنِ الحوتِ فَقال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أَيْ: فجعلْنا الحوتَ يُلْقيهِ في مكانٍ خالٍ لا نباتَ فيه ولا شجرَ، وهو عليلُ الجسمِ ضعيفُ البَدَنِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى لطفَه بِعَبْدِه يونسَ عليه السلام ورِعايَتِه؛ لهُ حتى لا يتعرّضَ لِحَرِّ الشَّمْسِ ولا لِضَرَرِ البَرْدِ فَقال: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أَيْ: فَأَنْبَتْنا حَوالَيْه شَجَرَةً مِنَ القَرْعِ ناعِمَةَ الورقِ؛ لِيَسْتَظِلَّ بِأَغْصانِها، وتَدفَعَ عنْه حَرَّ الشَّمْسِ وبَرْدَ الصّحراءِ، وَلَسَعَ الذُّبابِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أعظمَ نِعمةٍ على نَبِيِّه يونسَ عليه السلام وهي إتمامُ رِسالتِه وإيمانُ قَومِه كلِّهم بِاللهِ تَعالى، فَقال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ أَيْ: وَأَرْسَلْنا يونسَ عليه السلام مرَّةً أخرى إلى هؤلاءِ القومِ وقد كانَ تِعْدادُهُم مِئةَ ألفٍ وزيادةً، فآمَنوا جَميعًا بِاللهِ تَعالى وتَركوا الشركَ والكفرَ، فَجَزَيْناهم على إيمانِهم أَنْ مَتَّعْناهم بِالحياةِ إلى حينِ انتهاءِ آجالِهم.

فائدةٌ:

لِتفْريجِ الهَمِّ وزَوالِ الكَرْبِ وَالغَمِّ أسْبابٌ منها:

السّببُ الأوَّلُ: العملُ الصالحُ. فقد فَرَّجَ اللهُ تَعالى عنْ عَبدِه وَنَبِيِّه يونسَ عليه السلام؛ لأنَّه كانَ منَ الذاكرينَ المُسَبِّحينَ العاملينَ بِطاعَتِه، وقالَ ﷺ لِعَبْدِاللهِ بْنِ العبّاسِ: «تَعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ» (رواه أحمد والحاكم).

السّببُ الثّاني: الدُّعاءُ بِدَعوةِ يونسَ عليه السلام. قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذي النُّونِ إِذْ دَعا وَهُوَ في بَطْنِ الْحوتِ: (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ)، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِها رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجابَ اللهُ لَهُ» (رواهُ التِّرمذيُّ).

١- سورة الأنبياء: ٨٧

من هدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ نُبُوَّةِ وَرِسالةِ يونسَ عليه السلام.

٢- مشروعِيَّةُ الاقتراعِ لِفَضِّ النِّزاعِ في قِسمةِ الأشياءِ.

٣- فضلُ الصلاةِ والذِّكْرِ والدُّعاءِ والتَّسبيحِ وعظيمِ نَفْعِهِم عندَ الوقوعِ في البلاءِ.

٤- تقريرُ مبدأِ «تَعَرَّفْ على اللهِ في الرخاءِ يعرفْكَ في الشِّدّةِ».

٥- مَتَّعَ اللهُ تَعالى قومَ يونسَ عليه السلام في الحياةِ لأنَّهم آمَنوا بِاللهِ تَعالى.

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ

الآياتُ (١٤٩ - ١٥٧) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
إِفْكِهِمْ	الإفكُ: هو أَقْبَحُ الكَذِبِ
أَصْطَفَى	اختارَ
سُلْطَٰنٌ	حُجَّةٌ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

فسادُ عقيدَةِ المشركينَ في اللهِ تَعالى والمَلائكَةِ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى في أولِ سورَةِ (الصَّافَّاتِ) أَنَّهُ واحدٌ لا شريكَ لهُ، وأَنَّ البَعْثَ حَقٌّ لا شكَّ فيه، وأَنَّ اللهَ تَعالى أرسلَ رُسلَه لِهدايةِ النّاسِ، فأرادَ اللهُ تعالى إبْطالَ عقيدةٍ فاسدةٍ مِنْ عَقائدِ المشركينَ وهي ادِّعاؤُهُم أَنَّ المَلائكَةَ إناثٌ، وأَنَّهم بناتُ اللهِ -تَعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علوًّا كبيرًا- وذلكَ عنْ طريقِ الاستفتاءِ والمناقشةِ؛ حتَّى يكونَ واضحًا أمامَ أعينهم أَنَّهم سفهاءُ العقولِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ أَيْ: اطلبْ منهم أَيُّها الرسولُ الكريمُ أَنْ يفتوكَ ويُجيبوكَ عَنْ هذهِ الأَسْئِلةِ:

السُّؤالُ الأَوَّلُ: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ أَيْ: أيكونُ لِرَبِّكَ البناتُ ولهمُ البَنونَ؟ أهذا الحكمُ يصدرُ عن عقلاءَ؟ والحقُّ الذي لا شكَّ فيه: أَنَّ المشركينَ ليسوا عقلاءَ بلْ هُمْ سُفهاءُ جُهَلاءُ أغبياءُ فاللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الوَلدِ وعَنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَلَوْ كانَ حكُمُهم صحيحًا، لَتَرَتَّبَ عليهِ أمورٌ منها: أَنَّهم أفضلُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، حيثُ جَعَلوا لِأنفُسِهم ما يُحِبُّونَ مِنَ البَنينِ، وَجَعَلوا للهِ البناتِ التي يكرهونَها، وتَرَتَّبَ على حكمِهم أيضًا مشابهةُ اللهِ تَعالى للمخلوقينَ حيثُ يحتاجُ للزّوجةِ والولَدِ، ويَعْتَريهِ الموتُ والفَناءُ، تَعالى اللهُ عمَّا يقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا، فاللهُ تَعالى واحدٌ أحدٌ فردٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ.

السُّؤالُ الثَّاني: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أَيْ: هَلْ حضروا يَوْمَ خلقْنا المَلائكةَ فشاهدوا بِأعْيُنِهم أننا خلقْناهم إناثًا؟ والحقُّ الذي لا شكَّ فيه: أَنَّهم لم يكونوا حاضرينَ وإنَّما هم يتكلّمونَ بما لا يَعرفونَ، كَما قالَ تَعالى في سورَةِ الزُّخْرُفِ: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الغرضُ مِنْ اسْتِفْتائِهِم أمرانِ:

١- الاستهزاءُ بهم والسُّخريّةُ منهم.

٢- أن يكونَ الحكمُ عليهِم صادِرًا مِنْ اعترافِ أَلْسِنَتِهم، فَلَوْ أجابَ المشركونَ لَقالوا: لا دليلَ على ما قُلْناه ونحنُ لم نشهدْ خلقَ المَلائكةِ، إذًا فكلامُهم في حَقِّ اللهِ تَعالى وفي حَقِّ المَلائكةِ باطلٌ وكَذِبٌ، فأثْبَتَ اللهُ تَعالى أَنَّ المَلائكةَ ليْسوا إناثًا وليْسوا بناتِ اللهِ تَعالى.

الفائدةُ الثّانيةُ: خَلَقَ اللهُ تَعالى المَلائكةَ مِنْ نورٍ لا يأكلونَ ولا يشربونَ ولا يوصَفونَ بِذكورةٍ ولا أنوثةٍ. قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ المَلائكةُ مِنْ نورٍ، وَخُلِقَ الْجانُّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُم» (رواه مسلم).

الكذبُ سَبَبُ الضّلالِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ سببَ هذهِ العقيدةِ الفاسدَةِ هُوَ كَذِبُ المشركينَ وافْتِراؤُهُم على اللهِ تَعالى، فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ أَيْ: تَنَبَّهْ أيُّها السّامعُ واعلمْ أَنَّ هؤلاءِ المشركينَ يَنسبونَ إلى اللهِ تَعالى البناتِ كذبًا وزورًا، وإنَّهم وربِّ العزَّةِ لكاذبونَ فيما يقولونَ، تَعالى اللهُ عَمَّا يقولونَ علوًّا كبيرًا.

ثُمَّ وَبَّخَهم اللهُ تَعالى على ما زَعَموهُ مِنْ أَنَّ اللهَ اختارَ البناتِ أولادًا له، فَقال: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ أَيْ: أيكونُ اللهُ تَعالى قَدِ اختارَ لِنفسِهِ البناتِ أولادًا له وخصَّكم بِالبَنينَ كما تدَّعونَ؟ فَبِئْسَ ما قُلتُمْ وقَبُحَ ما ادّعيتُمْ، ماذا أصابَ عقولَكم، حتى تحكُموا بهذا الحكمِ الفاسدِ الواضحِ البطلانِ؟ أفلا تَتّعِظونَ وتدركونَ أنَّ ما حكمتم بِهِ إنما هو باطلٌ في حَقِّ اللهِ تَعالى، كما قالَ تعالى في سورَةِ الإسْراءِ: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

لا حُجَّةَ للمشركينَ فيما ادّعوهُ على اللهِ تَعالى:

ثُمَّ انتقلَ اللهُ تَعالى من توبيخِهم على نسبتِهم الولدَ للهِ تَعالى، إلى تحدّيهِم وطلبِ الحُجَّةِ منهم على ما ادّعَوْهُ، فقال: ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ أَيْ: أَلَكُمْ حُجَّةٌ واضحةٌ قد نَزَلَ بها وحيٌ منَ اللهِ تَعالى، فَلْتَأتوا بها إنْ كنتُمْ صادقينَ فيما تَدَّعونَ.

فائدةٌ:

الحقُّ الذي لا شَكَّ فيهِ أَنَّهُ ليسَ لِلمشركينَ أيُّ دليلٍ عقليٍّ أو نقليٍّ فيما نسبوه للهِ تَعالى مِنْ أولادٍ أو كونِ المَلائكَةِ بناتِ اللهِ وإنّما هم كذّابونَ يريدونَ أن يخدعوا عامّةَ النّاسِ بِالزَّيْفِ وَالزُّورِ وَالبُهْتانِ؛ لِيُضِلُّوا مَنْ حولَهم.

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- إبطالُ ادّعاءِ المشركينَ أَنَّ المَلائكَةَ بناتُ اللهِ بِالحُجَجِ الواضِحةِ.

٢- تنزيهُ اللهِ تَعالى عنِ الوَلَدِ وعَنْ كُلِّ نقصٍ.

٣- أقوى الحُجَجِ هِيَ التي تكون وحيًا من الله تعالى.

٤- العقيدة الصحيحة تكونُ بِالدَّليلِ النَّقْلِيِّ الصَّحيحِ.

الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشْرونَ

تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ النَّقائصِ

الآياتُ (١٥٨ - ١٦٣) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱلْجِنَّةِ	الجِنِّ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ	تَنَزَّهَ اللهُ
بِفَٰتِنِينَ	مُفسِدينَ مُضِلّينَ
صَالِ ٱلْجَحِيمِ	مُعَذّبٌ بِنارِ جَهَنَّمَ مُحْتَرِقٌ فيها

الـمَعنى الإجْماليُّ:

اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ النَّسَبِ لِلْجِنِّ:

بَعْدَ أنْ أبْطَلَ اللهُ تَعالى عقيدةَ المُشركينَ الفاسدةَ التي ادّعَوْا فيها أن المَلائكَةَ بناتُ اللهِ - تَعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علوًّا كبيرًا - أرادَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ إبطالَ عقيدةٍ أخرى فاسدةٍ متّصلةٍ بعقيدَتِهم في المَلائكَةِ، فهمْ يعتقدونَ أنَّ بناتَ الجِنِّ أمّهات للملائكةِ - تَعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علوًّا كبيرًا - فَقال تَعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ أَيْ: جعلَ المشركونَ الفُجّارُ بَيْنَ اللهِ تَعالى وبَيْنَ الجِنِّ قرابةً ونَسَبًا، حين زَعَموا أنَّ اللهَ تَزَوَّجَ مِنْ بناتِ أشرافِ الجِنِّ فَأَنْجَبْنَ لَهُ المَلائكَةَ، فَرَدَّ اللهُ تَعالى على هذا

الكَذِبِ وَالافْتِراءِ، فَقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أَيْ: وإنَّ الجِنَّ لَيَعلمونَ أَنَّهُمْ عَبيدٌ للهِ تَعالى، خَلَقهم لِيُكَلِّفَهم بِعبادَتِهِ وسَيَحضرونَ يَوْمَ القِيامَةِ للحِسابِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنهمْ صالِحًا فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أساءَ فَعَلَيْها، فَلا يَصِحُّ أَنْ يكونَ أَحَدٌ مِنْهم زَوْجَةً للهِ تَعالى، بَلْ هُمْ عِبادٌ مُكَلَّفونَ مِثلُكم.

فائدةٌ:

اللامُ في قولِهِ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ داخلةٌ على جوابِ قسمٍ محذوفٍ تقديرُه: واللهِ لقدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ.

اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ:

ثُمَّ نَزَّهَ اللهُ تَعالى نَفسَه عنْ كلِّ ما لا يليقُ بِهِ، فَقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَيْ: تَنَزَّهَ اللهُ جلَّ جَلالُهُ وتَعالى سُبْحانَه عنْ كلِّ نقصٍ يَصِفُه بِهِ هؤلاءِ المشركونَ، فاللهُ واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريكَ له ولا ولدَ، وليسَ بَيْنَه وبَيْنَ أحدٍ قرابةٌ أو نَسَبٌ.

ثُمَّ مَدَحَ جلَّ جلالُه المُنَزِّهينَ لِذاتِهِ تَعالى فَقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أَيْ: لكنَّ عبادَ اللهِ المخلصينَ في عبادتِهِ المتبعينَ للحقِّ الذي نَزَلَ مِنْ رَبِّهِمْ، كالرُّسُلِ وتابِعيهم، فإنَّهم يصفونَ ربَّهم جلَّ جلالُه بِكُلِّ ما يليقُ بِهِ.

أَهْلُ الضَّلالِ هُمْ أصحابُ النَّارِ:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى فسادَ عقيدةِ المُشركينَ، أرادَ أن يُبَيِّنَ حقارةَ وضعفَ آلِهَتِهم التي يعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى، فقال: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ أَيْ: فَاعْلَموا أيُّها المشركونَ أنَّكم أنتُمْ، وهذهِ الأصنامُ التي تعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى في غايةِ المهانةِ والضعفِ، فَلَنْ تستطيعوا أنْ تُضِلُّوا أحدًا يخلصُ في عبادتِهِ لِرَبِّهِ أوْ تُفسدوهُ على اللهِ تَعالى، لكنَّكم تستطيعونَ أنْ تُضِلُّوا أَهْلَ الهَوى والباطلِ الذينَ سَيَصْلَوْنَ الجَحيمَ معكم ويحترقونَ بِلَهيبِها.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: كلمةُ (الفِتْنَةُ) لَها معانٍ متعدّدةٌ في القرآنِ الكريمِ منها:

١- الابتلاءُ والاختبارُ: كما في قولِهِ تَعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾[1] أَيْ: وَهُمْ لا يُبْتَلونَ.

٢- الشِّرْكُ، وَالكُفْرُ: كما في قولِهِ تَعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[2] قالَ ابنُ كثيرٍ: أَيْ: حَتَّى لا يكونَ شِرْكٌ.

٣- الإضْلالُ، والإفْسادُ: كما في قولِهِ تَعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾[3].

٤- العذابُ: كما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[4] أَيْ: يُعَذَّبون.

الفائدةُ الثّانيةُ: الكُفّارُ وأَهْلُ الباطلِ يحاولونَ إفسادَ المؤمنينَ وصدَّهم عَنْ دينِهم بِكُلِّ وَسيلةٍ، منها:

- تَشْويهُ دينِ المُسلمينَ وأَنَّهم أَهْلُ عدوانٍ وإرهابٍ لِغيرِهم.
- تحسينُ صورةِ كفرِهم وإظهارُ أَنَّهم يَسْعَونَ للخيرِ.
- إظهارُ أَهْلِ الباطلِ على أَنَّهم أبطالٌ لِيَتَّخذَهم الشَبابُ قُدْوَةً.
- إبهارُهم بِالثّيابِ والزّينَةِ التي تخالفُ شَرْعَ اللهِ تَعالى.
- بَثُّ السُّمومِ كالمُخدّراتِ واللهْوِ والمجونِ بينَ الشَبابِ المسلمِ والفتياتِ المسلماتِ.

فَعَلى المُسلمِ الحذَرُ كلَّ الحَذَرِ مِنَ الانسياقِ وراءَ أساليبِ الكُفّارِ الزائفةِ، وعليهِ التّمسُّكُ بِالقرآنِ وَالسُّنَّةِ، واتّباعِ العُلماءِ والذَّهابِ لِلصَّلاةِ في المساجدِ، واتّخاذِ الصُّحْبَةِ الصّالحَةِ.

١- سورة العنكبوت: ٢
٢- سورة البقرة: ١٩٣
٣- سورة الصافات: ١٦٢
٤- سورة الذاريات: ١٣

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالولَدِ.

٢- المخلصونَ مِنْ عِبادِ اللهِ تَعالى همُ الذينَ يُنَزِّهونَهُ عَنْ كُلِّ نقصٍ، وَيُثَبِّتونَ لَهُ كُلَّ كمالٍ جاءَ على لِسانِ رُسُلِهِ عليهم السلام.

٣- التمسّكُ بِالإخْلاصِ للهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ يُنْجي العَبْدَ مِنْ غوايةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَالفَسادِ.

٤- الحَذَرُ مِنِ اتّباعِ أَهْلِ السُّوءِ فإنَّهم وسيلةٌ إلى النَّارِ.

الدَّرسُ الخامسُ والعشْرونَ

مقامُ المَلائكَةِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعالى

الآياتُ (١٦٤ – ١٧٠) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَقَامٌ	مَوْضِعُ قِيامٍ أوْ مَرْتَبَةٌ وقدرٌ
ٱلصَّآفُّونَ	الواقِفونَ في العبادَةِ صُفوفًا
ذِكْرًا	كتابٌ يُذَكِّرُنا باللهِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

مَقامُ المَلائكَةِ عِنْدَ اللهِ تَعالى:

لَمَّا أبْطَلَ اللهُ تَعالى بالحُجَجِ الواضحةِ قوْلَ المُشركينَ المُجرمينَ في حَقِّ المَلائكَةِ أنَّهم بناتُ اللهِ، بَيَّنَ سُبْحانَه وتَعالى أنَّ المَلائكَةَ عبادٌ مُكرمونَ، لا يسبقونَه بالقولِ وهُمْ بأمرِهِ يَعملونَ، فَحكَى اللهُ تَعالى اعترافَ المَلائكَةِ بالعُبوديَّةِ لِرَبِّهِم، وقدْ أخْبَرَ المَلائكَةُ عنْ ثلاثةِ خِصالٍ يَلتَزِمونَها في عِبادتِهم للهِ تَعالى:

الخَصْلَةُ الأُولى: التزامُ مَقامٍ معلومٍ في العبادةِ، فَقالَ تَعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أيْ: وإنَّ لِكلٍّ مِنَّا مَوْضِعَ قيامٍ مَعلومٍ يقومُ فيهِ للهِ رَبِّ العالَمينَ بِعبادةٍ معلومةٍ؛ خضوعًا لِعَظَمَتِه، وخشوعًا لِهيبَتِه، وتواضعًا لِجَلالِه، كَما قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي أرَى ما لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ ما لا تَسْمَعونَ، أَطَّتِ السَّماءُ

وَحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ؛ ما فيها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصابِعٍ إِلا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لِلهِ تعالى...» (رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ حَديثٌ حَسَنٌ) وَمَعْنى أَطَّتْ: سُمِعَ لَها صوتٌ مِنْ كثرةِ سُجودِ المَلائِكَةِ عليها.

وكذلكَ لكلِّ واحدٍ مِنَ المَلائِكَةِ مَرْتَبَةٌ وَقَدْرٌ عندَ اللهِ تَعالى فَقَدْ قالَ تعالى في حَقِّ جِبْريلَ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[1]؛ أَيْ: لهُ مكانةٌ ومَنزِلةٌ عاليةٌ رفيعةٌ عِندَ اللهِ تَعالى.

الخَصْلَةُ الثّانِيةُ: التزامُ الصَّفِّ في العِبادةِ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أَيْ: وإِنَّا لَنَقِفُ صفوفًا في أداءِ الطاعاتِ والعبادةِ للهِ تَعالى، فَعَنْ جابِرِ بْنِ سمرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «خَرَجَ إِلَيْنا رَسولُ اللهِ ﷺ، ونَحنُ في المسجدِ فَقالَ: أَلا تَصُفُّونَ كَما تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّها»، فقلْنا: يا رَسولَ اللهِ كَيْفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عندَ رَبِّها؟ قالَ: «يُتِمُّونَ الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، وَيَتَراصُّونَ في صَفِّهِمْ» (رواه مسلم).

وعنْ حذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فُضِّلْنا عَلى النَّاسِ بِثَلاثٍ: جُعِلَتْ صُفوفُنا كَصُفوفِ المَلائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنا الأَرْضُ مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُها طَهورًا» (رواه مسلم).

الخصلةُ الثالثةُ: التزامُ التّسبيحِ للهِ تَعالى، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ أَيْ: وَإِنَّا لَنُنَزِّهُ اللهَ تَعالى عمَّا لا يليقُ بِهِ، فنحنُ عبيدٌ لَهُ، فُقَراءُ إليهِ، خاضِعونَ لِأوامِرِهِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: روى القرطبيُّ عن مقاتلٍ قالَ: هذهِ الثّلاثُ الآياتُ نَزَلَتْ وَرَسولُ اللهِ ﷺ عندَ سدرةِ المنتَهى، فتأخّرَ جبريلُ، فَقالَ النّبيُّ ﷺ: (أَهُنا تُفارِقُني) فَقالَ: ما أستطيعُ أنْ أتَقدّمَ عَنْ مكاني.

الفائدةُ الثّانيةُ: تسبيحُ اللهِ تَعالى يكونُ بالاعتقادِ وبالقولِ وبالفعلِ.

- فالتسبيحُ بِالاعتقادِ: أَنْ يعتقدَ المؤمنُ في قلبِهِ أَنَّ اللهَ تَعالى مُنَزَّهٌ عنْ كُلِّ صِفاتِ النَّقْصِ، وتَجِبُ لَهُ كُلُّ صِفاتِ الكمالِ، وأَنَّهُ ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهوَ السّميعُ البصيرُ.

١- سورة التكوير: ٢٠

- والتّسبيحُ بِالقولِ: أنْ يُكْثِرَ المسلِمُ مِنْ قَوْلِ (سُبْحانَ اللهِ).
- والتّسبيحُ بِالفعلِ: إخلاصُ العبادةِ للهِ تَعالى وَحدَهُ وَتركُ المَعاصي.

تَمَنِّي الكُفّارِ مَجيئَهم ذكرٌ مِنَ الأَوَّلينَ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى قولَ كفارِ مكةَ قبلَ مبعثِ النّبيِّ ﷺ فقالَ: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ أَيْ: ولقدْ كانَ كفّارُ مكّةَ يقولونَ قبلَ مبعثِ الرسولِ ﷺ: لو أنَّ عندَنا كتابًا يذكّرُنا بأمْرِ اللهِ ونَهْيِهِ مثلَ كتبِ الأَوَّلينَ مِنَ الأُمَمِ قبلَنا كالتّوراةِ والإنْجيلِ، لكنَّا من عبادِ اللهِ الذينَ يخلصونَ لهُ العبادةَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهم كاذبونَ في قولِهم، فَقال: ﴿ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أَيْ: فَبَعْدَ أنْ جاءَهم الذّكرُ العظيمُ والكتابُ المُبينُ والقرآنُ الكريمُ المهيمنُ على كلِّ الكُتُبِ، كَفروا بِهِ وأعْرَضوا عنه وكَذَّبوا مَنْ جاءَ بِهِ، فَسوفَ يعلمونَ عاقبةَ كُفرِهم وما سَيَحُلُّ بهم مِنْ نِقْمَتِنا وَعذابِنا.

وَشَبيهٌ بِهَذِهِ الآيةِ قوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: التّعبيرُ بِالمضارعِ في قولِهِ تَعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴾: يَدُلُّ على الاسْتمرارِ في قَولِهِم وتَكريرِهِ في مجالِسِهِم وتأكيدِهِ على ألْسِنَتِهِم.

الفائدةُ الثّانيةُ: يَدُلُّ قولُهُ تَعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ على التّهديدِ الشّديدِ والوَعيدِ الأكيدِ أَنَّ اللهَ سَيَنْتَقِمُ مِنَ الكُفّارِ في الدُّنْيا والآخِرةِ.

١- سورة فاطر: ٤٢

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- انتظامُ المَلائِكَةِ بالمقامِ المعلومِ الذي عَيَّنَهُ اللهُ تَعالى لَهُم.

٢- يَنْبَغي على المسلمِ أنْ يُنَظِّمَ وَقْتَهُ ويُرَتِّبَ عَمَلَهُ.

٣- كَمالُ عِبادَةِ المَلائِكَةَ للهِ تَعالى تَسْبيحًا وخُشوعًا وخُضوعًا.

٤- إنَّ النّاسَ لا يمكنُ أنْ يكونَ لهُم اسْتِقامَةٌ إلا بِكِتابٍ نازلٍ مِنَ السّماءِ وَالمُشرِكونَ يُقِرّونَ بِذلِكَ.

٥- جَعَلَ اللهُ تَعالى الكُتُبَ المُنَزَّلَةَ ذِكْرًا وَشَرَفًا لِمَنْ آمَنوا بِها.

الدَّرسُ السّادِسُ وَالعِشْرونَ

عاقِبَةُ المُرْسَلينَ

الآياتُ (١٧١ - ١٨٢) مِنْ سورَةِ الصَّافَّاتِ

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
كَلِمَتُنَا	وعدُنا
فَتَوَلَّ	أَعْرِضْ
بِسَاحَتِهِمْ	فَنائِهِم
فَسَآءَ	قَبُحَ

المَعنى الإجْماليُّ:

اللهُ تَعالى يَنْصُرُ رُسُلَه وجُنودَهُ المُؤْمِنينَ:

لَمَّا هَدَّدَ اللهُ تَعالى الْكافِرينَ على كُفْرِهم بقَولِه: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾، أرادَ سُبْحانَهُ أنْ يُدْخِلَ التَّسْلِيَةَ على قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ سَينصُرُهُ هُوَ والمُؤمِنينَ، وَسَيُنْزِلُ بِالْكافِرينَ العذابَ الذي هَدَّدَهم بِهِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أَيْ: وَلَقَدْ سَبَقَ وَعْدُنا لِعبادِنا المُرْسَلينَ بِأَمْرَيْنِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: إِنَّ رُسُلَ اللهِ تَعالى لَهُمُ الْمَنْصورونَ على أعْدائِهِم. دَلَّ عَلَيْهِ قَولُه تَعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾.

الأمرُ الثّاني: إنَّ جُنْدَ اللهِ تَعالى الذينَ يُجاهِدونَ في سَبيلِهِ لَهُمُ الْغالِبونَ. دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، وَمِنَ الآياتِ التي وَرَدَتْ في هذا المَعْنَى قَولُه تَعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[1] وقولُه تَعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[2].

فائِدةٌ: يَنصرُ اللهُ تَعالى رُسلَه وجُندَه لا محالةَ في الدُّنْيا والآخرةِ، ويَتحقّقُ نَصرُ الآخِرةِ بِدخولِ الْكافِرينَ النّارَ ودخولِ المُؤْمنينَ الجَنَّةَ، أمَّا نَصْرُ المُؤمنينَ في الدُّنْيا فَيَتحقّقُ بِأمْرَيْنِ:

١- بِعُلُوِّ الدِّينِ وقُوّةِ الحُجَّةِ والبَيانِ والبُرهانِ.

٢- بِالانتصارِ في معارِكِ القِتالِ، فقد انْتَصرَ الرَّسولُ ﷺ في أغلبِ غَزَواتِهِ وَتَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ، ودخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أفْواجًا، بعدَ أنْ جاهدَ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه وهَزَموا الْكافِرينَ، ولمْ يُفارِقِ الرَّسولَ ﷺ هذهِ الدُّنْيا إلّا بَعدَ أنْ صارتْ كلمةُ اللهِ هِيَ العُليا، وكَلِمَةُ الَّذينَ كَفروا هِيَ السُّفْلى، وما يَحدُثُ مِنْ هزيمةِ المُسلمينَ في بعضِ المَواطِنِ، فإنَّما يكونُ لِأسبابٍ، منها:

السّبَبُ الأوَّل: أنْ يخالفَ المُسْلِمونَ أمْرَ اللهِ تَعالى وأمْرَ رَسولِهِ ﷺ وذلكَ كَالهزيمَةِ يَوْمَ أُحُدٍ.

السّبَبُ الثّاني: أنْ يكونَ ابْتلاءٌ مِنَ اللهِ تَعالى.

السّبَبُ الثّالثُ: أنْ يَبْتَعدَ المسلمونَ عَنْ دينِهِم بِالمعاصي والذُّنوبِ.

السّبَبُ الرّابِعُ: عدمُ اتّخاذِ أسْبابِ القُوّةِ مِنَ العِلْمِ والمَعْرفةِ والصِّناعةِ.

المُؤْمِنُ يَثِقُ بِنَصْرِ اللهِ تَعالى:

ثُمَّ أمرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ بِالإعْراضِ عنِ المشركينَ، والصَّبْرِ على أذاهُمْ، حتّى يَأْتِيَ نَصْرُ اللهِ لَهُ، فَقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: فَأعْرِضْ وابْتَعِدْ أيُّها الرسولُ الكريمُ عَنْ

١- سورة المجادلة: ٢١

٢- سورة غافر: ٥١

هؤلاءِ المُعاندينَ المُستكبرينَ عَنِ الحَقِّ، واصْبِرْ على أذاهُمْ حتّى يأتِيَ نَصْرُ اللهِ، وانْظُرْ حينَها ماذا سَيحلُّ بِهِمْ مِنَ العَذابِ الأليمِ، فإنَّهُمْ سَوفَ يَرَوْنَ عَذابًا أليمًا يُقاسونَ شَدائدَهُ ويُعانونَ مِنْ أَلَمِهِ.

ثُمَّ وَبَّخَ اللهُ تَعالى المشركينَ على اسْتعجالِهِم العَذابَ فَقدْ قالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يا مُحَمَّدُ أرِنا العذابَ الذي تُخَوِّفنا بِهِ، فَنزلَ قَولُهُ تَعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ حالَهم عندَ نزولِ العذابِ الذي استعجلوا نُزولَه، فَقال: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ أَيْ: فَإذا نَزَلَ العذابُ بِهؤلاءِ المُشركينَ وَوَصَلَ إلى فِناءِ بُيوتِهِم، فَبِئْسَ الصباحُ صباحَهم، ولنْ ينفعَهم حينئذٍ نَدَمٌ أوْ تَوْبَةٌ.

وفي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ قالَ: «صبّحَ رَسولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ فَلَمَّا خَرَجوا بِفُئوسِهِم ومَساحِيِّهِمْ وَرأوا الجَيْشَ رَجَعوا وهمْ يقولونَ: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ والْخَميسَ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللهُ أَكْبرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرينَ» (رواه البخاريُّ ومُسْلِم).

معنى الخميس: الجيشُ.

ثُمَّ كَرَّرَ سُبْحانَه تهديدَه ووَعيدَه لهم على سبيلِ التأكيدِ لَعلَّهم يعتبرونَ فَقالَ: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أَيْ: وأعْرِضْ عنهمْ حتَّى حينٍ، وأبْصِرْ ما تَوَعَّدناهم بِهِ مِنْ عذابٍ أليمٍ فسوفَ يُبْصِرونَ ذلكَ.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: سَببُ استعْجالِ الْكافِرينَ للعذابِ: هو تكبُّرُهُم وتكذيبُهم والاستهزاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ودعوتِه.

الفائدةُ الثّانيةُ: يُنْزِلُ اللهُ تَعالى العذابَ على الْكافِرينَ بِطرقٍ كثيرةٍ، منها:

- إنزالُ العذابِ الدُّنْيَوي كالعَواصِفِ والرِّياحِ، كما حَدَثَ لِلمشركينَ في غَزْوَةِ الأحْزابِ.
- حصولُ العَذابِ الأخْرَويِّ في النَّارِ وَبِئْسَ القَرارُ.

الفائدةُ الثّالثةُ: الاستفهامُ في قولِه تَعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ لِلتَّوْبيخِ.

اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عنْ صِفاتِ النَّقصِ مُستَحقٌّ لِصفاتِ الكَمالِ.

ثُمَّ خَتَمَ سُبْحانَه سورَةَ (الصّافّات) بِخاتِمةٍ شريفةٍ جامعةٍ لِتَنْزيهِه تَعالى عمَّا لا يَليقُ بِه، فَقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أَيْ: تَنْزيهًا لِرَبِّكَ - أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ - صاحبِ العِزَّةِ والقُوَّةِ والغَلَبَةِ عمَّا يَصِفُهُ بِه هؤلاءِ المُفترونَ مِنْ مُشركي قُرَيْشٍ الذينَ وصفوا اللهَ تَعالى بِصفاتِ النَّقْصِ، كاتّخاذِ الوَلَدِ والزّوجةِ تَعالى اللهُ عمَّا يقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا.

ثُمَّ أرسَلَ اللهُ تَعالى التّحيّةَ والسَّلامَ لِرُسُلِه الكرامِ الذينَ وصَفوهُ بِما علَّمَهم مِنْ صفاتِ الكمالِ، وقاموا بِتَنْزيهِه تَعالى عَنْ صفاتِ النَّقْصِ، وبَلَّغُوا ذلكَ لأُمَمِهم، فَقالَ تَعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أَيْ: وَتَحيَّةُ اللهِ تَعالى الدّائمَةُ وثناؤُهُ وأمانُه لِجميعِ المُرْسَلينَ، فَلَنْ يَنالَهُم مَكروهٌ أَوْ عذابُ اللهِ تَعالى.

ثُمَّ حَمِدَ اللهُ تَعالى نَفسَهُ لِيدلَّ على كمالِ صِفاتِه ولِيُعَلِّمَ المُؤْمنينَ حَمْدَهُ، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أَيْ: والحَمْدُ للهِ خالقِ ومالِكِ العالَمينَ مِنَ المَلائكةِ والجِنِّ والإنسِ خالصًا لَهُ دونَ سِواهُ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- اللهُ تَعالى يُثَبِّتُ قَلْبَ رَسولِه ﷺ بِما وَعدَهُ مِنَ النَّصْرِ على أَعْدائِه.

٢- تَهْديدُ المُشركينَ بِالعذابِ مهما طالَ الزَّمَنُ.

٣- الغَلَبَةُ لا تكونُ إلّا لِجنودِ اللهِ تَعالى الذينَ ساروا على شَريعَتِه وَمِنْهَجِه.

٤- إنَّ اللهَ تَعالى لا يُهْلِكُ قَوْمًا حتّى يُنْذِرَهُمْ.

٥- وجوبُ تنزيهِ اللهِ عَنْ كُلِّ صِفاتِ النَّقْصِ وإثْباتُ كُلِّ صِفاتِ الكمالِ لَهُ سُبْحانَهُ.

سورَة ص

بين يدي سورة ص

سورَة «ص» مَكِّيَّةٌ، نَزلتْ بعدَ سورَةِ القَمرِ، وعددُ آياتِها ثمانٍ وثمانونَ وتُسَمَّى أيضًا سورَةً «داوود».

أهمُّ مقاصدِ هذهِ السورَةِ:

١-بدأَ اللهُ تعالى هذهِ السورَةَ بِالقَسَمِ بِالقرآنِ ذيْ الشَّرَفِ العظيمِ، مُبَيِّنًا سُبْحانَهُ عنادَ الْكافِرينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

٢-تخويفُ اللهِ تَعالى لِهَؤُلاءِ الْكافِرينَ المُعانِدينَ لِلرَّسولِ الكَريمِ، بِما أصابَ الأمَمَ السَّابِقةَ مثلَ عادٍ وثمودَ وفِرعونَ.

٣-رَدَّ اللهُ تَعالى على ما قالَه المشركونَ؛ لإنكارِهم نُبُوَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، وإنْكارِهم يومَ القِيامَةِ ردًا مُفْحَمًا يُثْبِتُ جَهلَهم وغَفْلَتَهم واسْتِكبارَهُم عَنْ قبولِ الحَقِّ.

٤-تَسْلِيَةُ الرَّسولِ ﷺ عمَّا لَحِقَه مِنْ أذَى الكفّارِ بِأخبارِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسلِ.

٥-بيانُ قِصّةِ داوُدَ عليه السلام وما أنْعَمَ اللهُ تعالى عليهِ بِبعضِ النِّعَمِ، وما دارَ بينَه وبينَ الخصومِ الذينَ تسوروا عليهِ المِحرابَ، وبيانُ الإرشاداتِ الحكيمةِ التي أرشدَها اللهِ تَعالى إليها.

٦-ذِكْرُ أنواعٍ مِنَ الأدِلّةِ على وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِه، وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ حِكْمَتَهُ قدْ اقْتَضتْ عَدَمَ المساواةِ بينَ الأخيارِ والفُجّارِ.

٧-الثّناءُ علَى نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمانَ عليه السلام وما أنْعَمَ اللهُ عليهِ بِهِ، وما ابْتَلاهُ بِهِ.

٨-مَدْحُ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عليه السلام على صَبْرِهِ، وعلى كثرةِ تَضَرُّعِهِ إلى رَبِّهِ، وكَيْفَ أَنَّهُ تعالى قَدْ كافَأَهُ على ذلكَ بِما يَسْتَحِقُّهُ.

٩-الثناءُ على أَنْبياءِ اللهِ الكِرامِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وإسماعيلَ واليسعَ وذا الكفلِ، وبَيَّنَ ما أعدَّهُ لَهُم ولأَمْثالِهِم مِنْ عِبادِهِ الأَخْيارِ، كما بَيَّنَ ما تَوَعَّدَ بِهِ الفُجَّارَ مِنْ عذابٍ أليمٍ.

١٠- الحديثُ عَنْ قصّةِ آدَمَ عليه السلام وكيفَ أنَّ المَلائكَةَ جميعاً سجدوا لآدَمَ إلّا إبْليسَ، أَبَى واسْتَكبَرَ وقالَ: أنا خَيْرٌ مِنهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ، فكانتْ عاقبتُه الطردَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرونَ

مَوْقِفُ كُفَّارِ مَكَّةَ مِنَ القُرآنِ وَالرَّسولِ ﷺ

الآياتُ (١ - ١١) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ
حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا
وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ
٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن
ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
عِزَّةٍ	تَكَبُّر
مَنَاصٍ	فِرار
ٱلْمِلَّةِ	الدِّين
ٱخْتِلَاقٌ	افتراءٌ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

عَظَمَةُ القرآنِ الكَريمِ:

بَدَأ اللهُ تَعالى سورَةَ «ص» بِقولِهِ تَعالى: ﴿ صٓ ﴾ وهيَ مِنْ حروفِ الهِجاءِ، وأحسنُ ما قيلَ في تفسيرِها: أنَّ اللهَ تَعالى أعْلَمُ بِمُرادِهِ منها، والفائدةُ مِنْ وجودِها في القرآنِ الكريمِ: التَّنْبيهُ والتَّحَدِّي.

ثُمَّ أَقْسَمَ اللهُ تَعالى بِالقُرْآنِ الكَريمِ فَقال: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ أَيْ: والقرآنِ ذي الشَّرَفِ، المُشْتَمِلِ عَلى ما فِيهِ ذِكْرٌ لِلعِبادِ، وَنَفْعٌ لَهُمْ في حَياتِهِمْ وَمَعادِهِمْ، وَجَوابُ القَسَمِ محذوفٌ يدلُّ عليهِ سياقُ الكلامِ وهُوَ: أَنَّ محمدًا ﷺ لَصادِقٌ فيما جاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلى الخَلْقِ كافَّةً.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سَبَبَ كُفْرِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقالَ تَعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ أَيْ: إِنَّ قَوْمَكَ يا مُحَمَّدُ قَدْ كَفَروا بِكَ وبِالقُرْآنِ اسْتِكْبارًا وَعِنادًا.

فائدةٌ: لِلذِّكْرِ مَعانٍ مُتعدِّدَةٌ منها:

١- الشَّرَفُ: فَالْكُتُبُ شَرَفٌ لِمَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِم لِنُزولِها مِنَ الخالِقِ جَلَّ جَلالُهُ.

٢- الوَعْظُ: فَإِنَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ وَيَتَّعِظونَ بِهذهِ الكُتُبِ.

٣- ذِكْرُ اللهِ تَعالى: فَمَنْ قَرَأَها ذَكَرَ اللهَ تَعالى.

تحذيرُ اللهِ تَعالى لِلكافِرينَ:

ثُمَّ خَوَّفَ اللهُ تَعالى هَؤُلاءِ الْكافِرينَ المُعانِدينَ لِلرَّسولِ الكَريمِ، بِما أَصابَ الأُمَمَ مِنْ قبلِهم، وحَذَّرَهُمْ مِنْ أَنْ يكونَ مَصيرُهم كمَصيرِ المُكَذِّبينَ، فَقَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَثيرًا مِنَ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ مثلِ عادٍ وثمودَ وفرعونَ، فَنادَوْا وَاسْتَغاثوا بِاللهِ حينَ جاءَهُمُ العَذابُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، لأَنَّ أَوانَ العَمَلِ والتَّوْبَةِ قَدْ فاتَ، فَلَيْسَ الوَقْتُ وَقْتَ فِرارٍ وَهَرَبٍ مِنَ العِقابِ، بلْ وقتَ حِسابٍ وجَزاءٍ، كَما قالَ تَعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

شُبَهٌ وَرُدودٌ:

ثُمَّ عرضتِ الآياتُ الكريمةُ عِدَّةَ شُبَهٍ صادِرَةٍ مِنَ الكُفّارِ ناتجةٍ عَنْ كِبَرِهِم وشِقاقِهِم، وهِيَ:

الشُّبْهَةُ الأُولى: التَّعَجُّبُ مِنْ بشريةِ الرَّسولِ ﷺ. قالَ تَعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ أَيْ: تَعَجَّبَ كفّارُ مَكَّةَ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ يَقولُ لَهُمْ: إِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللهِ

١- سورة غافر: ٨٥

لِيَدْعُوَهُمْ إلى عِبادتِه، وقالَ هؤلاءِ الْكافِرونَ: إنَّ هذا الرَّسولَ ساحِرٌ؛ لأنَّهُ يَأتينا بِخوارِقَ لَمْ نَألَفْها، وكَذَّابٌ فيما يَنْسُبُهُ إلى اللهِ أنَّهُ قَدْ أَرْسَلَهُ إلَيْنا رَسولًا.

وهذا هُوَ مَنْهَجُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبينَ مَعَ رُسُلِهِم، قالَ تَعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾[1].

الشُّبْهَةُ الثّانيةُ: التَّعَجُّبُ مِنْ وحدانيةِ اللهِ تَعالى. قالَ تَعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ أَيْ: أَجَعَلَ مُحَمَّدٌ الآلِهَةَ الْمُتعدِّدَةَ التي نَراها ونَعبدُها إلهًا واحدًا لا نَراهُ، وطَلَبَ مِنّا أنْ نَدينَ لَهُ بالعِبادةِ والطّاعَةِ؟ إنَّ هذا الذي دَعانا إليهِ لَهُوَ شَيْءٌ قَدْ بَلَغَ النِّهايةَ في العَجَبِ والغَرابَةِ.

وكانَ الكُفّارُ يَحرُصونَ على شيوعِ باطِلِهِم، فقالَ تَعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ أَيْ: وانطلقَ الكُفّارُ بَعْدَ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ لَهُمْ إلى عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ يُحَرِّضونَ أتْباعَهُم قائلينَ: أَنِ امْشوا في الطّريقِ الذي كانَ عليهِ آباؤُكم، واصْبِروا على عِبادةِ آلِهَتِكم مهما هوَّنَ مُحَمَّدٌ مِنْ شَأنِها، فَهَذا الذي يَدْعونا إليهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عبادةِ إلهٍ واحدٍ، وتَرْكِ عبادةِ آلِهَتِنا إنَّما هُوَ شَيْءٌ يريدُ تنفيذَه وتحقيقَه لِمصلحةٍ خاصّةٍ، لِتكونَ لَهُ السِّيادَةُ والزّعامَةُ عَلَيْنا ولَنْ نُمَكِّنَهُ مِنْ ذلكَ.

الشُّبْهَةُ الثّالِثَةُ: الادِّعاءُ بِأَنَّ النَّصْرانيَّةَ تَدعو إلى الشِّرْكِ. قالَ تَعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ أَيْ: قالَ الْكافِرونَ الْمُشْرِكونَ: ما سَمِعْنا بِهَذا التَّوْحيدِ الذي يَدْعو إلَيْهِ مُحَمَّدٌ في مِلَّةِ النَّصارَى فَهِيَ المِلَّةُ الآخِرَةُ التي جاءَ بِها عيسى، فَقَوْلُ مُحَمَّدٍ كَذِبٌ واخْتِلاقٌ مِنْ عِنْدِهِ.

فَائِدَةٌ: المِلَّةُ النَّصْرانيَّةُ تقومُ على التّوحيدِ، كما قالَ تَعالى على لِسانِ المَسيحِ عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[2] لكنَّ الذي حَرَّفَ النَّصْرانيَّةَ وبَدَّلَها مِنَ التَّوْحيدِ إلى التَّثْليثِ رَجُلٌ يُدْعَى (بولسَ) اليهوديَّ.

١- سورة الإسراء: ٩٤

٢- سورة المائدة: ١١٧

الشُّبْهَةُ الرابعَةُ: التَّعَجُّبُ مِنْ اختصاصِ النَّبِيِّ ﷺ بالرِّسالَةِ. قالَ تَعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أَيْ: كيفَ يُخَصُّ مُحَمَّدٌ مِنْ بَيْنِنا بِإِنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ وَبِجَعْلِهِ رَسولًا، مَعَ أَنَّ بَيْنَنا أصحابَ الجاهِ والنُّفوذِ والثَّراءِ العَريضِ.

فَرَدَّ اللهُ تَعالى على شُبَهِ الْكافِرينَ بِعِدَّةِ رُدودٍ تَوْبيخِيَّةٍ مُفْحَمَةٍ:

الرَّدُّ الأَوَّل: قالَ تَعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أَيْ: هَؤلاءِ الكُفّارُ قالوا ما قالوهُ؛ لأَنَّهُم يَشُكُّونَ في الذِّكْرِ والوَحْيِ الذي نَزَلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأَنَّهُمْ أَهْلُ هَوًى وضَلالٍ، لَمْيْلِهِمْ إلى التَّقْليدِ الأَعْمَى والبُعْدِ عَنِ النَّظَرِ إلى الدَّلائِلِ الشّاهِدَةِ بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ.

الرَّدُّ الثّاني: قالَ تَعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ أَيْ: وَقَدْ قالَ هؤلاءِ الكُفّارُ هذا الكلامَ؛ لأَنَّهُم اغْتَرُّوا بِإِمْهالِ اللهِ تَعالى لهُم وَتأخيرِ العَذابِ عَنْهُم، فَهانَ عليهِمُ التَّكْذيبُ والتَّضْليلُ، ولَوْ ذاقوا عذابَ اللهِ الأليمَ لَما كَذَّبوا بِالنَّبِيِّ وبِالوَحْيِ؛ لأَنَّ قلوبَهم كَالحِجارةِ تَنْفتحُ بِالطّرقِ وَالشِّدَّةِ.

الرَّدُّ الثّالِثُ: قالَ تَعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ أَيْ: هَلْ عِنْدَ هؤلاءِ الكُفّارِ خَزائِنُ رَحْمَةِ اللهِ العزيزِ الوَهّابِ، حَتَّى يَتَصَرَّفوا فيها حَسَبَ ما يُريدونَ فَيَمْنَحوها مَنْ يَشاؤونَ، وَيَصرِفوها عَمَّنْ لا يُحِبُّونَ؟ والجوابُ معلومٌ، فَلَيْسَ عندَهُم شَيْءٌ مِنْ خَزائِنِ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى.

الرَّدُّ الرّابِعُ: قالَ تَعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ أَيْ: أَيَمْلِكُ هؤلاءِ الكُفّارُ شَيئًا في السَّماءِ والأَرْضِ وَما بَيْنَهُما، حَتَّى يَعْتَرِضوا عَلى التَّصَرُّفاتِ الإلَهِيَّةِ؟ فَإِنْ كانوا يَمْلِكونَ شَيئًا مِنْ أَمْرِ السَّماواتِ والأَرْضِ، فَلْيَصْعَدوا في الطُّرُقِ التي توصِلُهم إلى السَّماواتِ العُلا، حتّى يَسْتَوْلوا عليها، وَيُدَبِّروا الأَمْرَ، وَيُنْزِلوا الوَحْيَ على مَنْ يختارونَهُ لِلنُّبُوَّةِ مِنْ أَشْرافِهِم وَصَناديدِهِم. والجوابُ مَعلومٌ، فَهُمْ لا يَملِكونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَلا يَسْتَطيعونَ شَيْئًا بَلْ اعتراضُهُم نابِعٌ مِنَ الجَهْلِ والغَفْلَةِ والهَوَى.

فائدةٌ: التّعبيرُ بِقوْلِهِ تَعالى: ﴿ لَمَّا ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ نُزولَ العذابِ قريبُ الحصولِ، وقدْ حَصَلَ في بَدْرٍ وغيرِها.

اللهُ تَعالى ناصِرٌ رَسولَهُ ﷺ:

ثُمَّ بَشَّرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ بِالنَّصْرِ على الْكافِرينَ الْمُكذِّبينَ، فَقال تَعالى: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ أَيْ: هَؤُلاءِ الْمُشركونَ الْمُكَذِّبونَ ما هُمْ إلّا جنودٌ مَهزومونَ ومَغلوبونَ، مثلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الكُفّارِ الْمُتَحَزِّبينَ على رُسُلِ اللهِ تَعالى.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- بَيانُ ما كانَ عليهِ الْمُشركونَ مِنْ تَكَبُّرٍ وَعَداءٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

٢- جَهْلُ الْمُشْرِكينَ في اسْتِنكارِهِم التَّوْحيدَ.

٣- إظهارُ عَجْزِ الْمُشْرِكينَ وَضَعْفِهِم.

٤- إخْبارُ القُرْآنِ الكَريمِ بِالغَيْبِ وَصِدْقِهِ في ذلكَ.

الدَّرسُ الثّامنُ والعِشْرونَ

عاقِبَةُ أَهْلِ الضَّلالِ

الآياتُ (١٢ - ١٦) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ٱلْأَوْتَادِ	المباني العالية
فَوَاقٍ	رُجوعٍ وَإِمْهالٍ
قِطَّنَا	نَصيبَنا

المَعنى الإجْماليُّ:

تَحْذيرُ الكُفّارِ بِما حَلَّ بِالسَّابِقينَ:

لَمّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى تكذيبَ قريشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أخْبَرَ - سُبْحانَهُ - عَنْ أمَمٍ مِنَ السَّابِقينَ كَذّبوا رُسُلَهم فَنَزَلَ بِهِم عِقابُ المَلِكِ القهّارِ، لكيْ يعتبرَ المُكَذِّبونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَيقلَعوا عَنْ شِرْكِهِم، حتَّى لا يُصيبَهم ما أصابَ أمْثالَهُم مِنَ المُتقدِّمينَ عَلَيْهِمْ، فقالَ تَعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآياتِ سِتَّةَ أقوامٍ كَذَّبوا رُسُلَهُم فَعاقبَهُمُ اللهُ تَعالى:

أوَّلًا: قَوْمُ نوحٍ، فقدْ كَذَّبَ قَوْمُ نوحٍ رَسولَهُم نوحًا عليه السلام واسْتَهْزَؤوا بِهِ، ولَمّا أصَرُّوا على تكْذيبِهِمْ أغْرَقَهُمُ اللهُ تَعالى بالطُّوفانِ، وَنَجّى نوحًا وَمَنْ آمَنَ مَعهُ كَما قالَ تَعالى في سورَةِ الشُّعَراءِ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

ثانيًا: قَوْمُ عادٍ، فقدْ كذَّبوا رَسولَهُم هودًا عليه السلام فعاقبَهُمُ اللهُ تَعالى بِريحٍ شديدةِ الصوتِ باردةٍ، كما قالَ تعالى في سورَةِ الحاقّةِ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾.

ثالثًا: فِرْعَوْنُ ذو الْأَوْتادِ أَيْ: صاحبُ الأَبْنِيَةِ الفَخْمَةِ الرّاسخةِ في الأَرْضِ، وقدْ بَعثَ اللهُ إليهِ موسَى عليه السلام فَبَغَى وَتَجَبَّرَ وقالَ أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى، فَعاقَبَهُ اللهُ تَعالى هُوَ وَجنودَهُ بِالغَرَقِ في البَحْرِ، وَنَجّى اللهُ تَعالى موسَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، كَما قالَ تَعالى في سورَةِ الشُّعَراءِ: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

رابعًا: قَوْمُ ثَمودَ، فقدْ كذَّبوا رَسولَهُم صالحًا عليه السلام وكانتِ النّاقةُ لَهُ آيَةً فَعَقَرُوها، فَعاقبَهُمُ اللهُ تَعالى بالصَّيْحَةِ التي صَعِقَتْهُم، وَجَعَلَتْهُمْ كَوَرَقِ الشَّجَرِ الجافِّ المُفَتَّتِ في الأرضِ، كما قالَ تَعالى في سورَةِ القَمَرِ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾.

خامسًا: قَوْمُ لوطٍ عليه السلام، فقدْ أرْسَلَ اللهُ تَعالى لوطًا إلى قومِهِ لِيَعبُدوا اللهَ تَعالى ويَتْرُكوا الفاحِشَةَ التي يفعلونَها جِهارًا نَهارًا، فَما كانَ مِنْ هَؤلاءِ القَوْمِ إلّا التّكْذيبُ، والتّهديدُ بِأنْ يُخْرِجوا لوطًا عليه السلام مِنَ القَرْيَةِ فَتَبَرَّأَ لوطٌ عليه السلام منهُمْ، فَعاقَبَهُمُ اللهُ تَعالى بِالرَّجْمِ بِالحِجارةِ، ونَجّى لوطًا وَمَنْ معهُ كما قالَ تَعالى في سورَةِ القَمَرِ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

سادسًا: أَصْحابُ الْأَيْكَةِ، وهمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عليه السلام، والأَيْكَةُ: هِيَ الشَّجَرُ المُلْتَفُّ بعضُه على بَعْضٍ فَقَدْ أرْسلَ اللهُ تَعالى شُعَيْبًا إلى أَهْلِ مَدْيَنَ أصْحابَ الأَيْكَةِ فَكَذَّبوا شُعَيْبًا، فَعاقَبَهُمُ اللهُ تَعالى بِثلاثةِ ألوانٍ

مِنَ العذابِ، حيثُ رَجِفَتِ الأرْضُ تحتَ أقدامِهِمْ، وتَساقطتِ النَّارُ عَلَيْهِم مِنْ سَحابَةٍ اسْتَظَلُّوا بِها، وَسَمِعوا صَيْحَةً شديدةً صَيَّرَتْهُمْ جُثَثًا هامدةً، قالَ تَعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾[1]، فهؤُلاءِ الكُفّارُ جَميعًا تَحَزَّبوا عَلى رُسُلِهِمْ بِالتّكذيبِ والحَرْبِ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى.

فائدةٌ: الأحْزابُ هُمُ: القَوْمُ الذينَ يَجتَمِعونَ عَلى أمْرٍ واحِدٍ، وَالأمْرُ الذي اجتمعَ عليهِ هؤلاءِ الكُفّارِ جَميعًا هوَ: التّكذيبُ والمحاربةُ لِهؤلاءِ الرُّسُلِ الكرامِ.

عَدْلُ اللهِ تَعالى بَيْنَ خَلْقِهِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى السَّبَبَ في إنزالِ العقابِ بِهِم، وهوَ جريمةُ تكذيبِ الرّسُلِ، فقالَ تَعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ أيْ: ما مِنْ أحَدٍ مِنْ هؤلاءِ الأقوامِ أُرْسِلَ إليهِ رَسولٌ إلّا وَقدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ، فكانَتْ نتيجةُ هذا التّكذيبِ أنْ حلَّ بِهِمْ عِقابي، وثبتَ عليهم عذابي الذي دَمَّرَهُم تَدْميرًا.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ لَنْ يُفْلِتوا مِنْ عِقابِ اللهِ تَعالى، فَعِقابُهُم آتٍ لا محالةَ، فقالَ تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ أيْ: وما ينتظرُ هؤلاءِ الكُفّارُ لِيَنْزِلَ بِهِمُ العذابُ الذي يستحِقّونَه إلا صَيْحَةً واحدةً يَنفخُها إسْرافيلُ يَوْمَ القيامَةِ، وليسَ فيها رُجوعٌ عنِ التّنْفيذِ ولا وَقْتٌ لِلْإمْهالِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: سُمِّيَ العذابُ بِالعقابِ؛ لأنَّه يأتي عقبَ جريمةٍ أوْ ذنبٍ.

الفائدةُ الثّانيةُ: كَرَّرَ اللهُ تَعالى الإخبارَ بِتكذيبِ الْكافِرينَ، حيثُ بَدأَ الآياتِ فقالَ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ ثُمَّ كَرَّرَ فقالَ تَعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ لِبيانِ إصرارِهِمُ الشديدُ على هذا التّكذيبِ.

١- سورة الشعراء: ١٨٩

اسْتِهزاءُ كُفّارِ قريشٍ بِعذابِ اللهِ تعالى:

حينَما سَمِعَ كُفّارُ قريشٍ أنَّ اللهَ تَعالى قَدْ أَخَّرَ عَذابَهُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، قالوا ساخِرينَ مُسْتَهْزِئينَ: رَبَّنا عَجِّلْ لَنا نَصيبَنا مِنَ العَذابِ الذي تعدنا بِهِ، وهذا يَدُلُّ على طُغْيانِهم الشّديدِ، وهذا ليسَ بِغريبٍ على قَوْمٍ قالوا كما أَخْبَرَ اللهُ تَعالى عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1]. فبَدلاً مِنْ أنْ يَسْألوا اللهَ الهِدايةَ طلَبوا تَعجيل العقوبَةِ اسْتهزاءً وسُخْرِيةً.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- تكذيبُ الرُّسلِ سببُ العِقابِ.

٢- بيانُ سوءِ عاقبةِ المُكذِّبينَ.

٣- عذابُ اللهِ شديدٌ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

٤- اللهُ تَعالى يُمْهِلُ وَلا يُهْمِلُ.

١- سورة الأنفال: ٣٢

الدَّرسُ التَّاسِعُ وَالعِشرونَ

قِصَّةُ داوُدَ عليه السلام

الآياتُ (١٧ - ٢٠) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
ذَا ٱلۡأَيۡدِ	ذا القُوَّةِ في الدِّينِ وَالعِبادَةِ
أَوَّابٌ	رَجَّاعٌ بِالطَّاعَةِ والتَّوْبَةِ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ	عِلْمَ الفَصْلِ في الخُصوماتِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

اللهُ تَعالى يأمُرُ رَسولَهُ ﷺ بِالصَّبرِ:

لَمَّا ذكرَ اللهُ تَعالى ما قالَه المشركونَ على النَّبيِّ بِأنَّه كذَّابٌ وَقالوا عَنْهُ ساخِرينَ: لماذا اخْتيرَ رَسولاً مِنْ دونِنا، وسَخِروا مِنَ الوَعيدِ بِقولِهم: رَبَّنا عَجِّلْ لنا نَصيبَنا مِنَ العذابِ، أمَرَ اللهُ تَعالَى رَسولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالصَّبْرِ عَلى ما يَقولُهُ الكَفَرَةُ الطُّغاةُ مِنْ قَوْمِه فَقالَ تَعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أَيْ: اصْبِرْ أيُّها الرسولُ الكريمُ على ما يَقولُه الْكافِرونَ فيكَ وفي دَعْوَتِكَ، فَالصّبرُ خَيْرُ سلاحٍ لِلمُؤمنِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الصَّبْرُ خُلُقٌ رَفيعٌ يدفَعُ المُؤمنَ إلى تَحَمُّلِ الشّدائدِ بِنَفسٍ راضيّةٍ، ومِنْ فَضائلِه أنَّه ضِياءٌ يُضيءُ الطّريقَ لِمَنْ تَخَلَّقَ بِه، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِياءٌ» (رواه مسلم).

الفائدةُ الثّانيةُ: الصَّبْرُ ثلاثةُ أنْواعٍ:

الأوَّلُ: صَبْرٌ على طاعةِ اللهِ تَعالى: ويَظهرُ أثرُهُ بِأَنْ يُداوِمَ المُسلِمُ على الطّاعَةِ.

الثّاني: صَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَّةِ اللهِ تَعالى: ويَظهَرُ أثرُهُ بِأنْ يَمنعَ المُسلمَ نفسَه عَنْ فِعلِ المُحَرَّمِ.

الثالث: صَبْرٌ على أقدارِ اللهِ تَعالى: ويَظهَرُ أثرُهُ بِالرِّضا وَمنْعِ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ وَالجَزَعِ.

عِبادَةُ نَبِيِّ اللهِ داوُدَ عليه السلام لِرَبِّه:

ثُمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ بِذِكْرِ قِصةِ نَبِيِّ اللهِ داودَ عليه السلام فَقالَ تَعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أَيْ: تَذَكَّرْ أيُّها النَّبِيُّ الكريمُ في نفسك، وأخْبِرْ قومَك ما كانَ مِنْ أمْرِ نَبِيِّ اللهِ داوُدَ عليه السلام، فَقَدْ كانَ ذا قُوَّةٍ في طاعةِ اللهِ تَعالى وعبادَته، وقدْ كانَ كَثِيرَ الرُّجوعِ إلى رَبِّه، طائعًا تائبًا ذاكِرًا، وَقَدْ وردَ في الصّحيحَينِ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللهِ صَلاةُ داوُدَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصِّيامِ إلى اللهِ صِيامُ داوُدَ، وَكانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقومُ ثُلُثَهُ وَيَنامُ سُدُسَهُ، وَيَصومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ولا يفرُّ إذا لاقَى، وإنّه كانَ أوّابًا». أَيْ: رجّاعًا إلى اللهِ تعالى في جميعِ شُؤونِه، فكانَ كلّما ذَكرَ ذنبَهُ أوْ خطرَ على بالِه اسْتَغفرَ اللهَ، وأخرَجَ البُخاريُّ عَنْ أبي الدّرْداءُ قالَ: «كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا ذَكَرَ داوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ، قالَ «كانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ».

فَوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: النَّبِيُّ داودُ عليه السلام مِنْ أنبيّاءِ بَني إسْرائيلَ وهُوَ مِنْ نَسْلِ يَعقوبَ بْنِ إسحاقَ بْنِ إبراهيمَ عليهم السلام، وقَدْ مَنحهُ اللهُ تعالى النُّبُوَّةَ وَالمُلْكَ.

الفائدةُ الثّانيةُ: الغَرَضُ مِنْ تذكيرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّبِيِّ داودَ عليه السلام هُوَ تَسليةُ قلبِهِ ﷺ بِأخْبارِ العابِدينَ عمَّا يُلاقيهِ مِنْ أذَى المُعانِدينَ.

نِعَمُ اللهِ تَعالى على نَبيِّهِ داودَ عليه السلام :

ثُمَّ ذَكرَ اللهُ تَعالى بعضَ النِّعَمِ التي أَنْعَمَ بها على نَبيِّهِ داودَ، منها:

النِّعْمَةُ الأُولى: تَسْخيرُ الجِبالِ والطَّيْرِ بالتَّسْبيحِ مَعَ داودَ عليه السلام . قالَ تَعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أَيْ: بِقدْرَتِنا سَخَّرْنا الجِبالَ تَقتَدي بِداودَ عليه السلام فَتُسَبِّحُ مَعَ تَسبيحِه حينَ إشراقِ الشَّمسِ وآخرَ النّهارِ، فكانتْ إذا سَمِعتْهُ يُسَبِّحُ اللهَ تَعالى ويُقَدِّسُهُ وَيُنَزِّهُهُ رَدَّدَتْ معه ما يقولُه، وكذلكَ سَخّرنا الطّيْرَ وجَمَعْناها؛ لِتُرَدِّدَ معه التّسْبيحَ والتّقْديسَ لنا، فكُلٌّ مِنَ الجِبالِ والطَّيرِ طائعةٌ تابعةٌ لِتسْبيحِ داودَ عليه السلام فكلّما سَبَّحَ سَبَّحَتِ الجِبالُ والطَّيْرُ.

فائدةٌ: تَسْبيحُ الجِبالِ والطّيْرِ للهِ تعالى على سَبيلِ الحقيقةِ، ولكنْ بِكيْفيّةٍ لا يَعْلَمُها إلا اللهُ تعالى .

النِّعْمَةُ الثّانيةُ: تَقويّةُ مُلْكِ داودَ عليه السلام . قالَ تَعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أَيْ: قَوَّيْنا مُلكَه بِكثرةِ الجُنودِ والحُرّاسِ ومَلْءِ قلوبِ النّاسِ بِهيبَتِه.

النِّعْمَةُ الثّالثَةُ: الحِكْمَةُ وَحُسنُ الفَصْلِ في الخصوماتِ. قالَ تَعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ أَيْ: أَعْطَيْناهُ الحِكْمَةَ في التّصرُّفِ، والقولُ الفَصْلُ الذي يفصِلُ بِهِ بينَ الناسِ في خصوماتِهم، ويَفصِلُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- بَيانُ حُسْنِ عاقِبةِ الصَّبْرِ والصَّابِرينَ.

٢- مَشروعيةُ الأُسْوَةِ والاقتداءِ بِالصّالِحينَ.

٣- تسخيرُ اللهِ تَعالى الجبالَ والطَّيْرَ لِداودَ تُسَبِّحُ اللهَ تَعالى مَعَهُ.

٤- أَعْظَمُ نِعَمِ المُلْكِ هِيَ القُوَّةُ والهيبَةُ.

الدَّرْسُ الثَّلاثونَ

داوُدُ عليه السلام يَحْكُمُ بَيْنَ النّاسِ

الآياتُ (٢١ - ٢٦) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
وَلَا تُشْطِطْ	لا تَظْلِمْ في حُكْمِكَ
أَكْفِلْنِيهَا	مَلِّكْنيها
لَزُلْفَى	كَرامَةً

الـمَعنى الإجْماليُّ:

خَصْمانِ عِنْدَ نَبِيِّ اللهِ داودَ عليه السلام:

بَعْدَ أنْ مَدَحَ اللهُ تَعالى داودَ عليه السلام وأثْنى عليه بِما أعْطاهُ مِنَ النِّعَمِ، أرْدَفَ ذلكَ بِذِكْرِ نَبَأٍ عَجيبٍ مِنْ أنْبائِهِ، فَيَعْرِضُ ذلكَ في نَسْقٍ بَديعٍ وَنَظْمٍ جَميلٍ مُشَوِّقًا إليهِ السّامِعَ، فَقالَ تَعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟

ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ أَيْ: هَلْ جاءَكَ يا مُحَمَّدُ خَبَرُ ذَلِكَ النَّبَأ العَجيبِ، نَبَأ الخُصومِ الذينَ تَسَلَّقوا سورَ الغُرْفَةِ التي كانَ داودُ عليه السلام يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ فيها، ففزعَ منهمْ؛ لأنَّهم دَخَلوا عَلَيْهِ مِنْ السُّورِ لا مِنَ البابِ، وفي غيرِ وَقْتِ جُلوسِهِ لِلْحُكْمِ، وَكانَ مِنْ عادتِهِ أنْ لا يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، حَتَّى يَخْرُجَ هُوَ إلى النَّاسِ، فَطَمْأَنَهُ الخَصْمانِ وَقالا لَهُ: لا تَخْشَ على نفسكَ نحنُ خَصْمانِ تَجاوَزَ أَحَدُنا عَلى الآخَرِ، وَقَدْ جِئْنا لِتَحْكُمَ بَيْنَنا بِالحَقِّ والعَدْلِ، فاحكُمْ بينَنا حُكمًا عادِلًا ولا تظلِمْ واهْدِنا إلى طريقِ الحَقِّ والعَدْلِ.

أَحَدُ الخُصومِ يُبَيِّنُ القَضِيةَ لِنَبِيِّ اللهِ داودَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى تفصيلَ القضيةِ التي كانتْ مَحَلَّ النِّزاعِ بَيْنَ المُتخاصِمَيْنَ على لِسانِ أحدِهما، فَقالَ أَحَدُ الخَصْمَينِ لِداودَ عليه السلام: إِنَّي أَمْلِكُ شاةً واحِدَةً وَإِنَّ أخي يَمْلِكُ تِسْعًا وَتِسْعينَ شاةً، فَقالَ لي أخي مالِكُ النِّعاجِ الكَثيرَةِ: مَلِّكْني إياها وتنازَلْ لي عنها، بِحيثُ تكونُ تحتَ كفالتي، لِيتِمَّ عددُ النِّعاجِ التي عندي مئةً، وغَلَبَني في الخطابِ حيثُ قَدَّمَ لي حُجَجًا لَمْ أَسْتَطِعْ الرَّدَّ عليها.

حُكْمُ داودَ عليه السلام في القضيَّةِ:

ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعالى عمَّا حَكَمَ به داودُ عليه السلام في هذه القضيةِ قبلَ سماعِ الخصمِ الثّاني فَقالَ تَعالى على لسانِ نَبِيِّه داودَ عليه السلام: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ أَيْ: قالَ داودُ عليه السلام لِلْخَصْمِ المُتكلِّمِ: لقدْ ظَلَمَكَ صاحبُ النِّعاجِ الكثيرةِ بهذا الطَّلَبِ، وإنَّ كثيرًا مِنَ الشّركاءِ في المالِ لَيَعتَدي بعضُهم على بعضٍ، إلّا مَنْ آمَنَ باللهِ وعَمِلَ صالِحًا، وهؤلاءِ المُؤْمنونَ الصَّالِحونَ قِلَّةٌ في النّاسِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1].

١- سورة سبأ: ١٣

ابْتِلاءُ اللهِ لِداودَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى الحقيقةَ التي تعلَّمَها داودُ عليه السلام مِنْ هذه القَضيّة، فَقالَ: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أَيْ: عَلِمَ داودُ وَأَدْرَكَ أَنَّ هذه القضيّةَ إنّما هِيَ فِتْنَةٌ واخْتِبارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى لهُ فاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ ساجِدًا للهِ تائبًا فغفرَ لهُ تَعالى ما كانَ منهُ، ووعدَهُ ربُّهُ بِأَنَّ لَهُ يومَ القِيامَةِ كرامةَ القُربِ مِنْ رَبِّهِ وحُسْنَ المرجع في الجَنَّةِ، لِتَوْبَتِهِ وعَدلِهِ التامِّ في مُلكِهِ.

تحقيقٌ: الفِتْنَةُ التي اختبرَ اللهُ تَعالى بِها نَبِيَّهُ داودَ عليه السلام، لِلعُلماءِ فيها أقوالٌ، منها:

القولُ الأَوَّلُ: اللهُ أعلَمُ بها؛ لأنَّه لم يردْ خبرٌ صحيحٌ يُعْتَمَدُ عليه، وهذا هُوَ الرّأيُ الرّاجِحُ والأَسْلَمُ.

القولُ الثّاني: الفتنةُ هي ما وردَ في سياقِ القِصَّةِ مِن اسْتِعجالِ نَبِيِّ اللهِ داودَ عليه السلام بالحُكمِ قبلَ سماعِ كلامِ الخَصْمِ الثّاني، أوْ هِيَ تخصيصُ داودَ عليه السلام وقتًا يَحْتَجِبُ فيهِ عنِ الناسِ ولا يُحْكَمُ لهم، وهذا الرَأيُ مَقْبولٌ.[1]

وَصِيَّةُ اللهِ تَعالى لِداودَ في الحُكمِ بَيْنَ النّاسِ:

ثُمَّ يوجّهُ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ داودَ عليه السلام إلى التزامِ العَدْلِ بينَ النّاسِ قائلًا لهُ: يا داودُ: لقدْ اسْتخلفْناكَ في الأَرْضِ، فجعلْناكَ نافذَ الحُكمِ بينَ الرَّعِيَّةِ، لكَ المُلْكُ والسُّلْطانُ، وعليهِم السَّمْعُ والطّاعَةُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، وَأَنْ لا تتَّبعَ هوى النّفسِ وشَهواتِها،لأَنَّ اتِّباعَ الهَوَى يَكونُ سَبَبًا لِلضَّلالَةِ وَالجَوْرِ عَنِ الطَّريقِ القَويمِ الذي شَرَعَهُ اللهُ تَعالى.

ثم بَيَّنَ سُبْحانَهُ عاقبةَ الذينَ يُضِلّونَ عَنْ سَبيلِهِ وشَريعَتِهِ فقالَ تَعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أَيْ: هؤلاءِ الضَّالِّينَ عَنْ شَرْعِ اللهِ تَعالى المتبعينَ لِخطواتِ الشَّيْطانِ لَهمْ عذابٌ شديدٌ، بِسَبَبِ نِسْيانِهِم لقاءَ اللهِ تَعالى، والاستعدادَ لِمُلاقاتِهِ تَعالى يَوْمَ الحِسابِ.

١- يذكر بعض الناس في فتنة داود عليه السلام روايات مكذوبة وقصصًا باطلة لا تليق بمقام النبوة وهي مِنْ تأليف اليهود ومن هذه الروايات: أن داود عليه السلام أحبّ امرأة وأراد أن يتزوجها فوجدها متزوجة فطلب من زوجها أن يطلقها ليتزوجها، فكل هذه الروايات باطلة ومرفوضة ولا يصح نسبتها إلى نبيِّ الله داود عليه السلام.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأولى: توجيهُ اللهِ تَعالى نَبيَّهُ داودَ عليه السلام لِعدمِ الظُّلْمِ وَعدَمِ اتِّباعِ الهَوى، إنَّما هُوَ مِنَ التَّذكيرِ والنُّصحِ للاقتِداءِ بِهِ، فَداودُ عليه السلام معصومٌ مِنَ الظُّلمِ واتِّباعِ الهَوى، لكنَّ اللهَ تَعالى يريدُ التربيةَ والتّهذيبَ لِلمُؤمنينَ.

الفائدةُ الثّانيةُ: مِنْ وصايا النَّبيِّ ﷺ التّحذيرُ مِنَ الطَّمَعِ، فقدْ رُوِيَ أنَّ رجُلًا جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رَسولَ اللهِ أَوْصِني وَأَوْجِزْ. فَقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالْإِياسِ مِمَّا في أَيْدي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحاضِرُ، وَصَلِّ صَلاتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ وَإِيَّاكَ وَما تعتذرُ مِنْهُ». (أخرجه الحاكمُ وقال: حَديثٌ صَحيحٌ).

مِنْ هدايةِ الآياتِ:

١- الأنبياءُ بَشَرٌ مِثلُنا يَفزعونَ لكنَّهم لا يَسخطونَ.

٢- زخرفةُ القولِ لأخذِ أمْوالِ النّاسِ بِغيرِ حَقٍّ ظلمٌ.

٣- التّحذيرُ مِنَ الطَّمعِ بما في أيْدي الناسِ بِغَيرِ حَقٍّ.

٤- مِنْ أصولِ الحُكمِ بَيْنَ النّاسِ أَنْ لا يأْخُذَ القاضي بِقَوْلِ خَصْمٍ واحدٍ بلْ يَمْنَحُ الخَصْمَ الآخَرَ فُرْصَةً لِلدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ.

٥- العدلُ بَيْنَ النّاسِ، سببٌ في صلاحِ العبادِ والبِلادِ.

٦- اتّباعُ الهَوى يُفْضي إلى الهَلاكِ والخُسْرانِ.

الدَّرْسُ الحادي والثّلاثونَ

فَضْلُ تَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَريمِ

الآياتُ (٢٧ – ٢٩) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
بَٰطِلًا	عَبَثًا
كَٱلْفُجَّارِ	الأشرار
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ	أصحابُ العقولِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

حِكْمَةُ اللهِ تَعالى البالغةُ:

بَعْدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ داودَ عليه السلام بالحُكْمِ بالحَقِّ وعَدَمِ اتباعِ الهَوى والباطِلِ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ ما يريدُ إلا الحَقَّ حيثُ خلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ بالحَقِّ، ولَمْ يخلقْهُما باطِلًا، فقالَ تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أيْ: إنَّ اللهَ تَعالى ما خَلقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَينَهما باطلًا لا حِكمةَ فيه، وَإِنَّما خَلَقَهُما وخَلقَ ما بينَهما بِحكمةٍ وإتْقانٍ؛ لِيظهرَ الدّليلُ الحَقُّ على وجودِ خالِقِهما وَوَحْدانيَّتِهِ، وليكونَ

خلقُهما العَظيمُ شاهدًا على كمالِ عِلْمِه وقُدرَتِه سُبْحانَهُ، ويُرشِدَ إلى جَبَروتِه وعَظَمَتِه، فيقومَ العارِفونَ بِهِ مِنَ المَلائِكَةِ والجِنِّ والإنْسِ بِعِبادَتِه والتزامِ أَمْرِه وَطاعَتِه، والانْتِهاءِ عمَّا نَهى عَنْهُ، والاستعدادِ لِيومِ لِقائِه تَعالى لِدخولِ جَنَّتِه، قالَ تَعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[1].

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ الكُفّارَ هُمُ الذينَ يظنّونَ الباطِلَ في خلقِ اللهِ تَعالى، فقالَ: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ أَيْ: وَالذينَ كَفَروا همُ الذينَ يظنّونَ ويَعتقِدونَ أنَّنا خَلَقْنا هذه الكائناتِ مِنْ أجلِ الباطلِ واللهْوِ والعَبَثِ، فَوَيْلٌ وهَلاكٌ لِهؤلاءِ الْكافِرينَ يومَ القِيامَةِ؛ بِسببِ هذا الظَّنِّ الفاسِدِ مِنَ النَّارِ التي تحرقُ أجْسادَهُم.

إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ:

ولَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهُ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرْضَ وما بَيْنَهُما بِالحِكْمَةِ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ حِكْمَتَهُ تَقتَضي العَدْلَ بَيْنَ الخَلْقِ، فلَنْ يساوِيَ بينَ المُؤمنينَ والْكافِرينَ، فَقالَ تَعالى مُوَبِّخًا الْكافِرينَ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ أَيْ: أنجعلُ المُؤمنينَ الصّالِحينَ كَالمُفسدينَ في الأجْرِ والثّوابِ؟ وَهَلْ نجعلُ أتْقياءَ المُؤمنينَ الذينَ فَعلوا ما يُرضينا كالأشْرارِ مِنَ الْكافِرينَ والمُنافقينَ الذينَ خَرَجوا عَنْ طاعَتِنا وفَعَلوا ما يُسْخِطُنا مِنْ مَعاصٍ؟ فَهلْ يُعْقَلُ أنْ نُساوِيَ بَيْنَهُم في العَطاءِ المُسْتَحَقِّ؟ والجَوابُ واضِحٌ لِكلِّ مُتَدَبِّرٍ عاقِلٍ يعلَمُ أنَّ الحِكمَةَ تَقتضي الثّوابَ لِمَنْ أطاعَ والعِقابَ لِمَنْ عَصى، وهذهِ الدّارُ جعلَها اللهُ لِلعَمَلِ والاخْتِبارِ فلابدَّ مِنْ دارٍ أخرى لِلحِسابِ يوضَعُ فيها العدلُ ويُقرُّ فيها الحَقُّ، قالَ تَعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

١- سورة المؤمنون: ١١٥-١١٦

٢- سورة فصلت: ٤٦

فَوائدُ:

الفائدةُ الأولى: يُشترَطُ في العملِ لكيْ يكونَ صالحًا شَرطانِ:

١- الإخلاصُ للهِ تَعالى.

٢- متابعةُ النَّبيِّ ﷺ فيما عملَه، فَمَنْ فَقَدَ الإخلاصَ فَهوَ مُراءٌ، ومَنْ فَقدَ المتابعةَ فهوَ مُبْتَدِعٌ.

الفائدةُ الثّانيةُ: التّقوَى هِيَ: اتّخاذُ وِقايةٍ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى بِفعلِ أوامرِهِ واجْتنابِ نَواهِيهِ.

تَدَبُّرُ القرآنِ الكريم:

ثُمَّ أرْشَدَ اللهُ تَعالى كُلَّ عاقلٍ يريدُ النّجاةَ والخَيرَ والبَرَكةَ إلى اتّباعِ كِتابِهِ العَظيمِ الذي أنزلَه علَى النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فقالَ تَعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: أنْزَلْنا إليكَ يا مُحَمَّدُ هذا الكتابَ المليءَ بالبَرَكاتِ التي تنفعُ الناسَ في دينِهم ودُنْياهم، لِيَتَدَبَّرَهُ أصحابُ العقولِ المُنيرةِ، فيَهْتدوا بِهَدْيِهِ، ويَتذَكَّرُوا مَواعِظَهُ ونَواهِيهِ.

فَوائدُ:

الفائدةُ الأولى: سمَّى اللهُ تَعالى القرآنَ الكريمَ كتابًا لِعدَّةِ أوْجُهٍ:

الوجْهُ الأوَّلُ: أنه مكتوبٌ في اللوحِ المحْفوظِ، قالَ تَعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾[1].

الوجْهُ الثّاني: أنّه مكتوبٌ في المصاحِفِ.

الوجْهُ الثّالِثُ: أنّه مكتوبٌ، أيْ «مفروضٌ» على الأمَّةِ الإيمانُ بِهِ والعملُ بِما فيه مِنْ أحْكامٍ.

الفائدةُ الثّانيةُ: بَرَكَةُ القرآنِ الكريمِ تظهرُ في آثارٍ كثيرةٍ، منها:

الأثرُ الأوَّلُ: بَركةُ الشّفاءِ والرّحمةِ، قالَ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾[2].

١- سورة البروج: ٢١-٢٢

٢- سورة الإسراء: ٨٢

الأثرُ الثّاني: بركةُ الثّواب، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها، لا أَقولُ ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَميمٌ حَرْفٌ» (رواه البخاريُّ).

الفائدة الثالثةُ: أثبتَ اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ حِكمَتينِ لإنْزالِ القرآنِ الكريمِ هما: التَّدَبُّرُ والتّذَكُّرُ، فَتَدَبُّرُ القرآنِ الكريمِ، يكونُ بِكَثرةِ تِلاوَتِهِ وتَأَمُّلِ مَعانيهِ وتَفْسيرِ ألفَاظِهِ، حتَّى تَظهرَ آثارُ هذا التَّدَبُّرِ فَمِنْ هذهِ الآثارِ: معرفةُ الأحكامِ الشّرعيّةِ للقرْآنِ الكريمِ واستخراجُ الفوائدِ والآدابِ والأخْلاقِ التي يَحُثُّ عَلَيْها لِيَعْمَلَ بها المُؤْمنونَ، أمّا أثرُ التّذَكُّرِ فإنَّهُ يُنَبِّهُ الغافِلَ ويَحُثُّ الطّائِعَ على الاجْتِهادِ في الطّاعَةِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- كَفَرَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الحَياةَ الدُّنْيا خُلِقَتْ عَبَثًا وَباطِلًا.

٢- تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ العَبَثِ والظُّلْمِ.

٣- العَقْلُ نِعْمَةٌ لِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ في التَّدَبُّرِ وَالتَّذَكُّرِ.

٤- القرآنُ الكريمُ كَنْزٌ مِنَ البَرَكاتِ والرَّحَماتِ.

الدَّرْسُ الثّاني والثّلاثُونَ

قِصَّةُ سُلَيْمانَ عليه السلام

الآياتُ (٣٠ – ٤٠) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
بِٱلْعَشِىِّ	مِنَ العَصْرِ حَتَّى آخر النَّهارِ
فَطَفِقَ	سارع إلى الفِعْلِ
رُخَآءً	لَيِّنَةً
مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ	مَرْبوطينَ بِالقُيودِ

المَعنى الإجْماليُّ:

ثناءُ اللهِ تَعالى على سُليمانَ عليه السلام:

بعدَ أنْ مَدَحَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ وعبدَهُ داودَ عليه السلام شَرَعَ في مدحِ نَبيِّهِ وَعَبْدِهِ سُلَيمانَ بْنِ داودَ عليه السلام فقالَ تَعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أَيْ: قَدْ أَنْعَمْنا وتَفَضَّلْنا على داودَ، فَرَزَقْناهُ بِوَلَدٍ اسمُه سُلَيْمانُ لِيكونَ مَلِكًا نَبِيًّا، ونِعْمَ العَبْدُ سُلَيْمانُ؛ لأَنَّهُ كَثيرُ الإنابَةِ والرُّجوعِ إلى اللهِ تَعالى بِالذِّكْرِ والتَّوْبَةِ والاسْتِغْفارِ.

فائدةٌ: فِعْلُ ﴿نِعْمَ﴾ في قولِهِ تَعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يُقالُ لِلْمدحِ والثّناءِ.

حُبُّ سُلَيْمانَ عليه السلام لِلْخَيْلِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أمرًا مِنْ أمورِ عَبْدِهِ سُلَيْمان عليه السلام فَقالَ تَعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أَيْ: واذكُرْ أيُّها الرسولُ الكريمُ حينَ عُرِضَتِ الخُيولُ عَلى سليمانَ عليه السلام آخرَ النّهارِ، لِيَنْظُرَ إِلَيْها وَيَتَعَرَّفَ أَحْوالَها، وَمَبْلَغَ صَلاحِها لِخَوْضِ الحُروبِ في سَبيلِ اللهِ، وكانَتْ هذهِ الخيولُ مُتَّصِفَةً بِصِفَتَيْنِ:

الصِّفَةُ الأولى: الصَّافِناتُ، وهِيَ التي تَقِفُ على ثلاثةِ أَرْجُلٍ وترفَعُ إِحْدى رِجْلَيْها حتَّى يكونَ طَرَفُ الحافِرِ على الأَرْضِ، وهذا يَدُلُّ على قوّتِها وعَظَمَةِ مَنْظَرِها.

الصِّفَةُ الثّانِيةُ: الجِيادُ، وهِيَ التي تَجودُ أَيْ تُسرعُ في سَيْرِها، لِخِفَّتِها ورَشاقَتِها.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سببَ حُبِّ سُلَيْمانَ عليه السلام لِلْخَيْلِ، فَقالَ تَعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أَيْ: فَقالَ سُلَيْمانُ عليه السلام: إِنّي أَحْبَبْتُ الخَيْلَ حُبًّا شَديدًا؛ مِنْ أجلِ إقامَةِ ذِكْرِ رَبِّي وَطاعَتِهِ والجِهادِ في سَبيلِهِ، فَحَرِصْتُ على استعراضِها لأَنْظُرَ إِلَيْها وَهِيَ تَجْري على الأَرْضِ، فلمّا بَعُدَتْ واحْتَجَبَتْ عَنْ عَيْنِهِ قالَ لِلقائمينَ عليها: رُدُّوا الخَيْلَ، فلمَّا عادتْ جَعَلَ يَمسحُ بِيَدِهِ سيقانَها وأَعْناقَها ونَواصيَها، تَشريفًا لَها وتكريمًا، وسُرورًا بِها، لأَنَّها خُيولُ الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى[1].

فائدةٌ: عَبَّرَ سليمانُ عليه السلام عنِ الخَيْلِ بِكلمةِ: «الخَيْرِ» لِكَثْرَةِ خَيرِها ونَفْعِها، كما قالَ الرَّسولُ ﷺ: «الخَيْلُ في نَواصيها الْخَيْرُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ» (أخرجه مسلم).

بلاءُ وصَبْرُ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمانَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّهُ قد ابْتَلَى عَبْدَهُ سُليمانَ عليه السلام، فَقالَ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ

(١) وردت آراء كثيرة للمفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ اخترنا منها ما أثبتناه اجتهادًا منا أنه الأقرب إلى الصواب، والله تعالى أعلم.

جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ أَيْ: لقدْ ابْتَلَيْنا عبدَنا سُلَيْمانَ عليه السلام بِبَلِيَّةٍ رَجعَ بعدَها إلى اللهِ تَعالى واسْتَغفَرَ وتابَ وأنابَ(١).

ومضمونُ هذا البلاءِ: فيما رواهُ الشيخانِ عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «قالَ سُلَيْمانُ بْنُ داودَ: لَأَطوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلى سَبْعينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فارِسًا يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، فَقالَ لَهُ صاحِبُهُ: إِنْ شاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا واحِدَةً جاءَتْ بِشِقِّ غلامٍ» فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قالَ إِنْ شاءَ اللهُ لَجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ فرسانًا أجمعونَ».

فَالفِتنَةُ التي ابْتُلِيَ بها سُليمانُ عليه السلام كما وردَ في الحديثِ هِيَ: أَنَّ واحدةً فقط مِنْ نسائِهِ السَّبْعينَ ولدتْ له ولدًا ناقصًا في تكوينِه، فحملوا المولودَ إلى سليمانَ عليه السلام ووضعوه على كرسيِّهِ، وهُوَ معنَى قولِه تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾.

وسببُ ابتلاءِ سليمانَ عليه السلام: أَنَّهُ لمْ يَقُلْ: «إِنْ شاءَ اللهُ» والعِلَّةُ في عدَمِ قولِه: «إِنْ شاءَ اللهُ» هي: النِّسيانُ أو عدمُ سماعِ قوْلِ صاحبِه، وكلُّ ذلكَ لينفذَ مرادُ اللهِ تَعالى، فاستغفرَ سليمانُ عليه السلام ربَّهُ لِعدمِ تقديمِ مَشيئَةِ اللهِ تَعالى، وهذا هو شأنُ الصالحينَ يرجعونَ إلى اللهِ دائمًا بِالتَّوْبةِ وَالإنابَةِ في جميعِ أمورِهم.

فائدةٌ: يُسْتَحَبُّ لِلمُسلمِ أنْ يُقدِّمَ المَشيئةَ قبلَ أنْ يقدمَ على فعلِ أيِّ أمْرٍ، قالَ تَعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(٢).

إجابةُ اللهِ تَعالى دعاءَ نَبيِّهِ سليمانَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى إنابةَ سليمانَ عليه السلام لِرَبِّه، فقالَ تَعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ أَيْ: قالَ سُليمانُ عليه السلام: رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبي وأعطِني ملكًا عظيمًا لا يكونُ مثلُه لأحدٍ مِنَ النّاسِ بَعدي، إِنَّكَ كثيرُ العطايا والهِباتِ والعَطاءِ والجودِ.

---

(١) وردت آراء كثيرة للمفسرين في بيان الفتنة التي اختبر الله بها نبيّه سليمان عليه السلام، منها ما لا يعتمد على سند صحيح من قول النّبيِّ ﷺ، ومنها ما هو باطل غير مقبول في حق سليمان عليه السلام.

(٢) سورة الكهف: ٢٣-٢٤

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّه قد اسْتَجابَ دَعْوَةَ نَبيِّه وعَبْدِه سُليمانَ عليه السلام فأعطاهُ ما يَلي:

العَطاءُ الأوّل: تَسْخيرُ الرِّيح، قالَ تَعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ أَيْ: سَخَّرَ اللهُ لَهُ الرِّياحَ، تَجْري بِأَمْرِه لَيِّنَةً مُطيعَةً لَهُ حَيْثُ يُريدُ.

العطاءُ الثّاني: تَسْخيرُ الشَّياطينِ لِلْعملِ، قالَ تَعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ أَيْ: سَخَّرَ اللهُ لَهُ الشَّياطينَ فَمِنْهُم مَنْ يَبْني لَهُ القُصورَ وغيرَها، ومنْهم مَنْ يغوصُ في البحرِ لاسْتِخْراجِ اللآلِئِ والنَّفائِسِ.

العطاءُ الثّالث: القدرةُ على مُتَمرِّدي الشَياطين، قالَ تَعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أَيْ: أَخْضَعَ اللهُ لِسُليمانَ الشَّياطينَ المُتَمرِّدينَ، فَوَضَعَهُمْ في القُيودِ؛ لِيَتَّقِيَ شَرَّهُمْ، وَيَكُفَّ فَسادَهُمْ عَنِ العِبادِ.

العطاءُ الرّابعُ: إطلاقُ اليَدِ في العطاءِ والمَنْعِ، قالَ تَعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيْ: هَذا العطاءُ الذي مَنَحَكَ اللهُ إيَّاهُ، هُوَ عَطاءٌ خاصٌّ مِنَ اللهِ بِكَ، فَأَنْتَ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ فيما تُعطي وتَمنَعُ.

وبَعْدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى ما أوتيَهُ سُليمانُ عليه السلام مِنْ نِعَمِ الدّنيا التي يحارُ العقلُ في إدْراكِها، أخْبَرَ تعالى عَنْ كرامَةِ عبدِه سُليمانَ عليه السلام في الآخرةِ فَقالَ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أَيْ: وإنَّ لهُ في الآخرةِ لَقربَى وكرامةً لَدَيْنا وحُسنَ مَرْجِعٍ في جناتِ النَّعيمِ.

فائدةٌ: لابأسَ أنْ يطلبَ المُؤمنُ أمورَ الدُّنْيا، لِيُحقّقَ بها الخيرَ لِلْعبادِ والبلادِ، كما طَلبَ سليمانُ عليه السلام وكما طَلبَ يوسُفُ عليه السلام أنْ يكونَ وزيرًا على الخِزانَةِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- اتّصافُ نَبيِّ اللهِ سليمانَ عليه السلام بِكَثْرَةِ الرُّجوعِ والإنابةِ إلى اللهِ تَعالى.

٢- المُؤمنُ يُقَدِّمُ المَشيئةَ في أمورِه.

٣- أهمِّيَةُ الاستغفارِ لكلِّ الناسِ الصّالحِ والطّالحِ.

٤- دعاءُ الأنْبياءِ مُستَجابٌ.

٥- سَخَّرَ اللهُ تَعالى لِنَبيِّه سليمانَ عليه السلام الجِنَّ ومَنَحَهُ مِنَ العَطاءِ ما شاءَ.

الدَّرْسُ الثّالِثُ وَالثّلاثونَ

رَحْمَةُ اللّٰهِ تعالى بِنَبِيِّهِ أَيُّوبَ عليه السلام

الآياتُ (٤١ – ٤٤) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
بِنُصْبٍ	تَعَب
ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ	اضْرِبِ الأرْضَ بِرِجْلِكَ
ضِغْثًا	حُزْمَةً مِنْ أعوادِ النَّباتِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

دعاءُ أَيُّوبَ عليه السلام رَبَّهُ لِكَشْفِ البَلاءِ:

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى طرفًا مِنْ قِصَّةِ نَبِيَّيْهِ داودَ وابْنِهِ سُلَيْمانَ عليهما السلام بما منَحَهُما سُبْحانَه مِنْ أصْنافِ النُّعَماءِ وجَرى عليهما بَعْضًا مِنَ البَلاءِ، أعْقَبَ اللهُ تَعالى بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ قِصَّةِ عَبْدِهِ ونَبِيِّهِ أَيُّوبَ عليه السلام، فكانَ مِمَّنِ ابْتَلاهُ اللهُ في جَسَدِهِ بِالمَرَضِ، وَابْتَلاهُ في أَوْلادِهِ فَتَفَرَّقوا عنه فلمْ يَعُدْ حَوْلَهُ منهمْ أحَدٌ واللهُ أعْلَمُ بِسَبَبِ تفرّقِهم عنْه، وَابْتَلاهُ بِهَلاكِ مالِهِ بعدَ أنْ كانَ غَنِيًّا، فصبرَ على بَلْواهُ، واتَّجَهَ إلى رَبِّهِ بِالدُّعاءِ لِيَرْفَعَ عنهُ البلاءَ، قالَ تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ أَيْ:

واذْكُرْ - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - حالَ أخيكَ أيُّوبَ عليه السلام حينَ دعا ربَّه تعالى فقالَ: يا رَبِّ أنتَ تَعلَمُ أنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِتَعَبٍ وَألَمِ نَفسي؛ بِسببِ ما يُوَسْوِسُهُ لي مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ على مَرَضي لِيُثنِيَني عنْ يقيني بِكَ ويُبعدُني عَنْ طُمَأنينةِ قلْبي بِقضائِكَ، وبِما يُوَسْوِسُهُ لِلمُؤْمِنينَ الذينَ آمَنوا بِرِسالَتي لِيُزَعْزِعَ نُفوسَهم ويَرُدَّهُم إلى الكُفرِ؛ بِسببِ مَرَضي، وأنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمينَ[1].

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأُولى: الحاجةُ التي ألجأتْ أيُّوبَ عليه السلام إلى أنْ يَدْعُوَ رَبَّهُ بِالشِّفاءِ، هُوَ الحِرْصُ على الدَّعْوَةِ وخَوْفًا على المُؤْمِنينَ باللهِ تعالى أنْ يَفْتِنَهُم الشَيطانُ؛ بِسببِ مَرضِهِ، فَوَسْوَسَ لهمُ الشَّيطانُ فكانَ بَعضُهم يقولُ: طولُ مرضِ أيُّوبَ دليلٌ على أنَّهُ ليسَ بِنَبِيٍّ، والبعضُ الآخَرُ يقولُ: ما ابْتَلَى اللهُ تعالى أيُّوبَ إلّا لِذَنْبٍ أذْنَبَهُ، وَبَعضُهُم يَقولُ: لَوْ أنَّ اللهَ يُحِبُّ أيُّوبَ ما ابْتَلاهُ، وكلُّ هذهِ الأقاويلِ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ لَهُمْ.

الفائدةُ الثّانيةُ: في نِداءِ أيُّوبَ عليه السلام لِرَبِّهِ أسْمَى ألوانِ الأدَبِ والإجْلالِ للهِ تعالى، لأنَّهُ اكْتَفى في تَضَرُّعِهِ بِبَيانِ حالِهِ دونَ أنْ يَطلبَ شَيْئًا مُعَيَّنًا، وتَرَكَ لِرَبِّهِ تعالى أنْ يَفْعَلَ بِهِ ما يَشاءُ.

اللهُ تعالى يَستجيبُ لِعَبْدِهِ أيُّوبَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تعالى أنَّه قدِ اسْتَجابَ دعاءَ نَبِيِّهِ أيُّوبَ عليه السلام، فَقَدْ مَنَحَهُ عطاءَيْنِ هُما:

العَطاءُ الأوَّلُ: الشِّفاءُ مِنَ المَرَضِ، وَبَيَّنَ تعالى كَيْفِيَّةَ شِفائِهِ مِنْ مَرَضِهِ، فقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أيْ: ناداهُ اللهُ تعالى قائلًا لَهُ: يا أيُّوبُ اضْرِبْ بِرِجْلِكَ الأرضَ فَضَرَبَها فخرجَ منْها ماءٌ فَقالَ اللهُ لَهُ: هذا الماءُ البارِدُ تَغسلُ بِهِ وتَشرَبُ منهُ وسَيَذهَبُ عنكَ مَرضُكَ بِفَضْلِنا وقُدرتِنا، فَفَعَلَ ما أمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ فذهبَ عَنْهُ ما كانَ مِنْ مَرَضٍ.

١- يصف بعض الناس مرض أيوب عليه السلام على أنه معدٍ ومنفر، أو يذكرون أن أيوب عليه السلام تساقط لحمه أو خرج منه ديدان فكل هذا باطل وكذب، لمعارضته مقام النُّبُوَّة، وإنما مرضه - والله أعلم - عبارة عن مرض جلدي يؤلم المريض ولا يُعدي الصحيح، لأنه قد ثبت في السُّنَّة الصَحيحةِ مداومة زيارة بعض أصدقائه له، وصبْرُ زوجته معه ولم يثبت أنه عدى أحدًا منهم.

العَطاءُ الثّاني: هِبَةُ الأَهْلِ والوَلَد، فقالَ تَعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أَيْ: بِفَضلِنا وَكَرَمِنا وَهبْنا لأَيُّوبَ أَهْلَهُ وأَبْناءَه الَّذينَ تفرَّقوا عنهُ، ورَزَقْناهُ أولادًا آخرينَ مثلَ عددِ الأَوْلادِ الذينَ كانوا معهُ قبلَ شِفائِهِ من مَرَضِهِ، فصارَ عددُهم مُضاعَفًا، وكلُّ هذا العطاءِ مِنْ أجلِ أنْ تنْزلَ منَّا الرَحْمَةُ على أَيُّوبَ، وليكونَ فعلُنا ذكرى لأصحابِ العقولِ السّليمةِ، فَيَصْبِروا على الشدائِدِ كما صَبَرَ أَيُّوبُ، ويَلْجَؤوا إلى اللهِ تَعالى كما لَجَأَ، فيَنالوا مِنَّا الرَّحْمَةَ وَالعَطاءَ الجَزيلَ، قالَ تَعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[1]. وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «اعْلَموا أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (رواه أحمد).

رحمةُ اللهِ تَعالى بِزَوْجَةِ أَيُّوبَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى رَحْمَتَه بِأَيُّوبَ وزوجته فكانَ أَيُّوبُ عليه السلام، قَدْ غَضِبَ عَلى زَوْجَتِه، فَأقسمَ أَنَّهُ إذا بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ لَيَضْرِبَنَّها مِئَةَ ضَرْبَةٍ، وبعدَ شِفائِهِ أفْتاهُ رَبُّهُ جَلَّ جَلالُهُ كيفَ يَبَرُّ بِيَمينِهِ وَيرْحَمُ زَوْجَتَهُ، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ أَيْ: خُذْ يا أَيُّوبُ حزمةً صغيرةً بها مِئةُ عودٍ فاضرِبْ بها مرةً واحدةً، فتكونَ بذلكَ قدْ بَرَرْتَ بِيَمينِكَ وَلَمْ تقعْ في الحِنْثِ وَالإثْمِ.

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ سببَ إنْزالِ الفَرَجِ بِعَبْدِهِ أَيُّوبَ عليه السلام فقالَ: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أَيْ: إنّا وَجَدْنا عَبْدَنا أَيُّوبَ صابِرًا على البَلاءِ، نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ كثيرُ الرُّجوعِ إلَيْنا في كُلِّ أَحْوالِه.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- البَلاءُ مِنْ سُنَنِ اللهِ في الكَوْنِ.

٢- اللهُ تَعالى يُنَزِّلُ البَلاءَ بِأَحَبِّ النّاسِ إليهِ لِيَرْفَعَ دَرَجاتِهم.

٣- اللهُ تَعالى يُجيبُ دَعْوَةَ المُضْطَرِّينَ إليه.

٤- الصَّبْرُ طَريقُ النَّجاةِ وَالفَرَجِ.

١- سورة النمل: ٦٢

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثونَ

ثناءُ اللهِ تَعالى على رُسُلِه عليهم السلام

الآياتُ (٤٥ – ٤٨) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
أُوْلِى ٱلْأَيْدِى	أصْحابُ القُوَّةِ في الطَّاعَةِ
أَخْلَصْنَٰهُم	اصْطَفَيْناهُم
ٱلْأَخْيَارِ	أَهْلُ الخَيْرِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

ثَناءُ اللهِ تَعالى على إبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ عليهم السلام:

بَعْدَ أنْ قَصَّ اللهُ تَعالى علَيْنا في الآياتِ السَّابقةِ صَبْرَ نَبيِّه أَيُّوبَ عليه السلام أثنَى على رُسُلِه إبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ عليهم السلام، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ أَيْ: وَاذْكُرْ يا مُحَمَّدُ عِبادَنا إبراهيمَ وابْنَه إسْحاقَ وابْنَه يعقوبَ بِالثّناءِ الحَسنِ والمَدحِ العظيمِ، فَهؤلاءِ الأنْبياءُ كانوا أَعْبَدَ الناسِ للهِ تَعالى، فَكانَ مِنْ صِفاتِهم:

الصِّفَةُ الأُولى: أُولو الأَيْدي، أَيْ: أصْحابُ القُوَّةِ في العبادةِ والطاعةِ، فَأكْثَروا مِنَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ، وقاموا بالأفعالِ النّافِعَةِ لِعبادِ اللهِ تَعالى، قالَ ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» (رواه مسلم).

الصِّفَةُ الثّانِيّةُ: أُولو الأَبْصارِ، أَيْ: أصحابُ البَصيرةِ في الدِّينِ، والعِلْمِ بِأحْكامِهِ فَيُعَلِّمونَ النَّاسَ ويُرْشِدونَهم إلى ما يَنْفَعُهُم في دينِهِم ودُنْياهُم.

فائِدةٌ: خَصَّ اللهُ تَعالى هؤلاءِ الأنْبِيَاءِ بِالعُبودِيَّةِ في قَوْلِهِ: ﴿ عِبَدَنَآ ﴾ لِتَشْريفِهِم وإعْلاءِ شَأْنِهِم.

مُلازَمَةُ إبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ عليهم السلام لِذِكْرِ الدَّارِ الآخِرَةِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى السَّبَبَ الذي جَعَلَهم أقْوياءَ في العِبادةِ فُقَهاءَ في الدِّينِ، فَقالَ: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ أَيْ: مَنَحْناهُم خصلةً عَظيمةً ثابِتةً فيهم هِيَ تَذَكُّرُهُم الدَّائِمُ لِلدَّارِ الآخِرَةِ وما فيها مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ، جعلَتْهم يُخلصونَ العِبادةَ للهِ تَعالى ويَجتهِدونَ في طاعَتِهِ ويُراقِبونَهُ في جَميعِ أوْقاتِهِم وأحْوالِهِم.

وَقَدْ بَيَّنَ الرَّسولُ ﷺ الآثارَ السَّيِّئَةَ التي تَلْحَقُ العَبْدَ مِنَ التَّكالُبِ على الدُّنْيا وَنِسْيانِ الآخِرةِ، فَقالَ: «مَنْ كانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عليهِ أمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إلا ما كُتِبَ لَهُ» (رواه الترمذيُّ وصَحَّحَهُ الألبانيُّ).

أمَّا الآثارُ الحَسَنَةُ التي تُلْحِقُ العَبْدَ مِنْ تَذَكُّرِ الدَّارَ الآخِرَةَ وَالعَمَلِ لَها، فَقَدْ بَيَّنَها ﷺ فَقالَ: «.... مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أمْرَهُ، وجَعَلَ غِناهُ في قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ راغِمَةٌ» (رواه الترمذيُّ وصحَّحَهُ الألبانيُّ).

اصْطِفاءُ اللهِ تَعالى على إبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ عليهم السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى اصْطِفاءَهُ لِإبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ، فَقالَ تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ أَيْ: وإنَّ هؤلاءِ العِبادَ الكِرامَ لَمِنَ الَّذينَ اخْتَرْناهُم لِحَمْلِ رِسالَتِنا، وَتَبْليغِ دَعْوَتِنا، فإنَّهُمُ العِبادُ الَّذينَ جُبِلَتْ نُفوسُهُم على الخَيْرِ، ولا تَميلُ إلى الشَّرِّ أبدًا.

ثَناءُ اللهِ تَعالى لإسْماعيلَ وَاليَسَعَ وَذي الكِفْلِ عليهم السلام:

ثُمَّ أثْنَى اللهُ تَعالى على ثلاثةٍ آخرينَ مِنَ الأنْبياءِ عليهم السلام، فَقالَ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ أَيْ: وَاذْكُرْ يا مُحَمَّدُ إِسْماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذا الْكِفْلِ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ وأفْضَلِ الثَّناءِ، وَكلُّ الأنْبِيَّاءِ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ وَالفَضْلِ وَالصَّلاحِ وَالصَّبْرِ على الأذَى.

فائِدَةٌ: لِذِكْرِ قِصَصِ الأنْبِيَّاءِ حِكَمٌ كَثيرَةٌ، منها:

١- تَثْبيتُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ حتّى يَصْبِرَ مِثْلَ ما صَبَرَ هؤلاءِ الأنْبِيَّاءُ الكِرامُ على ما ابْتَلاهُمُ اللهُ تَعالى بِهِ.

٢- اقْتِداءُ النَّاسِ بِسِيرَتِهِم العَطِرَةِ وَصِفاتِهِم الفاضِلَةِ، كما قالَ تَعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1].

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- فَضيلةُ القُوَّةِ في العِبادةِ والبَصيرةِ في الدِّينِ.

٢- تَذَكُّرُ الدَّارِ الآخِرَةِ يُقَوِّي المُؤْمِنَ على الطّاعَةِ.

٣- وجوبُ الاقتداءِ بِالصَّالِحينَ في أَقْوالِهِم وَأَفْعالِهِم.

٤- مَنْ يُسْلِكْ طَريقَ الحَقِّ يُوَفِّقْهُ اللهُ إِلَيْهِ.

١- سورة الأنعام: ٩٠

الدَّرْسُ الخامِسُ وَالثَّلاثونَ

حُسْنُ عاقِبَةِ المُتَّقينَ

الآياتُ (٤٩ – ٥٤) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مَـَٔابٍ	مَرْجِع
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ	لا يَنْظُرْنَ إلى غَيْرِ أزْواجِهِنّ
أَتْرَابٌ	سِنٌّ واحِدَةٌ

المَعنى الإجْماليُّ:

عاقِبَةُ المُتَّقينَ:

لَمَّا سلَّى اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ بِقِصَصِ بعضِ الأنبياءِ الذينَ أُوذوا في اللهِ فَصَبَروا، أرادَ تَعالى أَنْ يزيدَه تَثْبيتًا بِبَيانِ عاقبةِ المُتَّقينَ، فَقالَ تَعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ أَيْ: هذا الذي ذَكَرْناهُ مِنْ أَخْبارِ الأَنْبياءِ الكِرامِ ذِكْرٌ لِمَنْ أرادَ سَبيلَ النَّجاةِ، واعْلَمْ يا مُحَمَّدُ أَنَّ المُؤْمِنينَ المُتَّقينَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ المَرْجِعُ الحَسَنُ، وَالمآبُ الكَريمُ.

الجَنَّةُ دارُ النّعيمِ المُقيمِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى هذا المآبَ الحَسَنَ، فَقالَ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ أَيْ: هذا المَرْجِعُ الكَريمُ لِلْمُتَّقينَ هُوَ جَنّاتٌ ذاتُ بَساتينَ كثيرةٍ وأشجارٍ كثيفةٍ فيها الإقامَةُ الدائمةُ التي لا تزولُ ولا تَتَغَيَّرُ وهذهِ الجناتُ مفتّحةُ الأبْوابِ، فَتَبْدأُ المَلائكَةُ فَتْحَ أبوابِها الثّماني لهمْ عِنْدَ قُرْبِ وُصولِهم إليها إكرامًا لهُم، كما قالَ تَعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[1] فَإذا دَخلَها أَهْلُ الإيمانِ فإنَّهم يَسْتَقِرّونَ فيها ولا يُريدونَ التَّحَوُّلَ عنها، بِسَبَبِ ما شاهَدوا فيها مِنْ أحْوالِها التي تَسُرُّ النّاظِرينَ، كما قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾[2]. وقالَ ﷺ: «قالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» (رواه البخاريُّ).

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأولى: التّعْبيرُ بِقولِهِ تَعالى: ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ وَلَمْ يَقلْ مفتوحةً، لِيَدُلَّ على كَثْرَةِ الأبْوابِ في الجَنَّةِ، وكثرةِ الخَدَمِ وَسُرْعَتِهِم في فَتْحِ الأبْوابِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: أبوابُ الجَنَّةِ الأصْليَّةِ التي يَدْخُلُ منها المُؤْمنونَ ثمانيةُ أبوابٍ، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضوءَ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ، فَقالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ». (رواه مسلمٌ)، أمَّا الأبوابُ التي تكونُ داخلَ الجَنَّةِ فَهِيَ كَثيرةٌ جِدًا، مِمَّا يَدُلُّ على اتِّساعِها العَظيمِ.

مِنْ أصْنافِ النّعيمِ في الجَنَّةِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بعضًا مِنْ أصْنافِ النَّعيمِ الذي أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْمُتَّقينَ في الجَنَّةِ، فَقالَ تَعالى:

١- سورة الزمر: ٧٣

٢- سورة الكهف: ١٠٧-١٠٨

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴾ أَيْ: يَجْلِسونَ في الجَنَّةِ مُتَّكِئينَ مُطْمَئِنّينَ عَلى السُّرُرِ المُرتفِعةِ المَفْروشَةِ بِالحَريرِ، ويَطْلُبونَ ما يَشاؤونَ مِنْ أَنْواعِ الفَواكِهِ الكثيرةِ وَالشَّرابِ الطَيِّبِ، فَيُلَبَّى طَلَبُهم في الحالِ وَهَذا هُوَ مُنْتَهَى النَّعيمِ، وعِنْدَهُمْ زَوجاتٌ مِنْ نِساءِ الدُّنْيا وَمِنْ الحُورِ العِيْنِ مُتَساوِياتٌ في السِّنِّ والحُسْنِ والجَمالِ والأخلاقِ الكريمةِ، ولا يَنْظُرْنَ إلى غَيْرِ أَزْواجِهِنَّ حُبًّا لَهُمْ، ولا يَنْظرُ أَزْواجُهن إلى غَيْرِهنّ مِنْ شِدّةِ جَمالِهِنَّ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأولى: خَصَّ اللهُ تَعالى ذِكرَ الفاكهةِ والشَّرابِ في الجَنَّةِ دونَ الطَّعامِ لِحِكَمٍ كَثيرةٍ، منها:

١- زيادةُ التّشْويقِ إلى الجَنَّةِ، فَبِلادُ العَرَبِ قليلةُ الفَواكِهِ وَالأشْرِبَةِ، وذكرُها يُشَوِّقُ إليها.

٢- الإشارَةُ إلى أَنَّ أَكْلَ أَهْلِ الجَنَّةِ لِلتَّنَعُّمِ وَالتَّلَذُّذِ لا لِلتَّغذيَّةِ وَحِفْظِ البَدَنِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: الحِكْمَةُ مِنْ تَساوي الزَّوْجاتِ في السِّنِّ والأخْلاقِ هِيَ: عَدَمُ حُدوثِ الغيرَةِ بَيْنَهُنَّ.

يَوْمُ القِيامَةِ مَوْعِدُ نَعيمِ المُتَّقينَ:

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ عَطاءَ الجَنَّةِ لَهُ ميعادٌ مَعْلومٌ، فَقالَ تَعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ أَيْ: إِنَّ هذا النَّعيمَ في الجَنَّةِ هُوَ ما وَعَدَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ المُتَّقينَ وَسَيَنالونَهُ في يَوْمِ الحِسابِ وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ، وَهَذا النَّعيمُ وَتِلْكَ الكَرامَةُ هُوَ عَطاؤُنا الذي لا يَنْفَدُ، وَلا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قال ﷺ: «يُنادي مُنادٍ - يَعْني على أَهْلِ الجَنَّةِ - إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَموا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيوا فَلا تَموتوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَموا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَموا فَلا تَبْأَسوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

فائدةٌ: اللّامُ في قولِهِ فَقالَ تَعالى: ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ تُسَمَّى لامَ التَّوْقيتِ، فَتكونُ بِمَعْنَى «في».

١- سورة الزخرف: ٧٢

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- حُسْنُ عاقِبَةِ المُتَّقينَ.

٢- نَعيمُ الجَنَّةِ لا يُدانيهِ نَعيمٌ.

٣- وَعْدُ اللهِ لِعِبادِهِ المُتَّقينَ لا يَتَخَلَّفُ أبَدًا.

٤- نَعيمُ الآخِرَةِ لا يُقاسُ أبَدًا بِنَعيمِ الدُّنْيا.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلاثونَ

نِهايَةُ الطُّغاةِ

الآياتُ (٥٥ - ٦٤) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾
وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا
مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ
﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
وَغَسَّاقٌ	ما يَسيلُ مِنْ صَديدِ أَهْلِ النَّارِ
فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ	سوءُ المُسْتَقَرِّ
ٱلْأَشْرَارِ	الطُّغاةِ

المَعنى الإجْماليُّ:

سوءُ عاقِبَةُ الطُّغاةِ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى جَزاءَ المُؤْمِنينَ المُتَّقينَ لِرَبِّهِمْ، أَتْبَعَ ذلكَ بِعَرضِ صُنوفِ العَذابِ التي أَعَدَّها لِلْكافِرينَ الخارِجينَ عَنْ طاعَتِه، فَقالَ: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ أَيْ: هَذا الجزاءُ الذي ذَكَرناهُ آنِفًا إِنَّما هُوَ مُعَدٌّ لِلْمُتَّقينَ يَوْمَ الحِسابِ، أَمَّا جَزاءُ الطّاغينَ فَسَيكونُ لَهُمْ

في هَذا اليَوْمِ سوءُ المُنْقَلَبِ وَشَرُّ العاقِبَةِ إِذْ تَكونُ عاقِبَتُهُمُ العَذابَ الشّديدَ في جَهَنَّمَ يُقاسونَ حَرَّها، وَيُحْرَقونَ بِنارِها، وَتكونُ جَهَنَّمُ لَهُمْ فِراشًا فَبِئْسَ هَذا الفِراشُ.

فَوائِدُ:

الفائِدةُ الأولى: الطُّغْيانُ: هُوَ مُجاوَزَةُ الحَدِّ، وَسُمِّيَ الطّاغي بِذلِكَ؛ لأَنَّهُ تجاوَزَ الحَدَّ المَطْلوبَ مِنْهُ وَهُوَ عِبادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، فَصارَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ تَعالى.

الفائِدةُ الثّانيةُ: سُمِّيَتْ جَهَنَّمُ بِهذا الاسْمِ: لأَنَّها سَوْداءُ مظلمةٌ بَعيدةُ القاعِ، فَالْجَهْمَةُ هِيَ السَّوادُ.

مِنْ أَصْنافِ العَذابِ في النّارِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بعضًا مِنْ أَصْنافِ العَذابِ المُعَدِّ لِلْكافِرينَ في جَهَنَّمَ، فَقالَ تَعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أَيْ: هَذا العَذابُ الذي أَعْدَدْناهُ لَهُمْ، وَيُؤْمَرونَ بِتَذَوُّقِهِ لَهُ أَصْنافٌ:

الصِّنْفُ الأَوَّلُ: الحَميمُ، وَهُوَ ماءٌ شَديدٌ جدًا في حَرارَتِهِ، يَشرَبونَهُ فَيقطّعُ أَمْعاءَهُمْ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِم مِنهُ فَيَسْلُخُ جُلودَهُم، كما قالَ تَعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾[1].

الصِّنْفُ الثّاني: الغَسّاقُ، وَهُوَ الصّديدُ الذي يَسيلُ مِنْ جُلودِ أَهْلِ النّارِ، يَشْرَبونَهُ فَلا يَسْتَطيعونَ بَلْعَهُ كما قالَ تَعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾[2].

الصِّنْفُ الثّالِثُ: أَنواعٌ أُخْرى مِنَ العَذابِ تُشْبِهُ الحَميمَ وَالغَسّاقَ في كَراهَتِهما، قالَ تَعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أَيْ: وَلَهُمْ عَذابٌ آخَرُ يَشْبِهُ الحَميمَ وَالغَسّاقَ في كَراهَتِهما وَهُوَ أَصْنافٌ وَأَنْواعٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في القُرآنِ الكَريمِ بَعْضًا مِنَ العَذابِ الذي يُشْبِهُ الحَميمَ والغَسّاقَ كَالْمُهْلِ، وَهُوَ

١- سورة الحج: ١٩-٢٠

٢- سورة إبراهيم: ١٦-١٧

الزّيتُ الغَليظُ، قالَ تَعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[1]، وَكَالسَّموم، والزَّقُّوم، والزَّمْهَرير، أعاذَنا اللهُ تَعالى منها بِفَضْلِه وَكَرَمِه وَرَحْمَتِه، وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ عَدَمَ تَفْصيلِ اللهِ تَعالى لِأَصْنافِ العَذابِ في جَهَنَّمَ يَدُلُّ على أنَّها لَمْ تُرَ في الدُّنْيا وَلَمْ يُخْبِرِ اللهُ تَعالى عَنْها لِمُفاجأةِ الكُفّارِ بِها في النّارِ.

تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى التَّخاصُمَ والتَّلاعُنَ الذي يَدورُ بَيْنَ قادةِ الضَّلالِ وَأَتْباعِهِم، فَيَقولُ قادَةُ الضَّلالِ عندَما يَرَوْنَ أَتْباعَهُم مُزْدَحِمينَ على أَبْوابِ النّارِ كما قالَ تَعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: هَذا جَمْعٌ مِنْ أَتْباعِكُمْ يَدْخُلونَ النّارَ مَعَكُم، ويُزاحِمونَكم فيها، فَلا مَرْحَبًا بِهِمْ مَعَنا، لأَنَّهم سَيَصْلَوْنَ سَعيرَها مِثْلَنا، وَلَنْ يَدْفَعوا عَنّا شَيْئًا مِنْ حَرِّها.

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الأَتْباعُ المُقْتَحِمونَ كَما قالَ تَعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أَيْ: بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ فَأَنْتُمْ الذينَ دَعَوْتُمونا إلى الفسادِ، فَصِرْنا لِهَذا المَصيرِ السَّيِّءِ، فَبِئْسَ المُسْتَقَرُّ والسُّكْنَى مَعَكُم في نارِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ يَتَّجِهُ الأَتباعُ إلى رَبِّهِم يُنادونَهُ قائلينَ كما قالَ تَعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أَيْ: رَبَّنا عَذِّبْ مَنْ أَضَلَّنا عَذابًا مُضاعَفًا في النّارِ.

وقَدْ طَلَبَ الأَتْباعُ مُضاعَفَةَ العَذابِ لِقادَةِ الضَّلالِ، بِسَبَبِ ضَلالِهِم، وَبِسَبَبِ إِضْلالِ غَيْرِهِم، كَما قالَ تَعالى حِكايةً عَنْهُم في سورَةِ الأَحْزابِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

فائدةٌ: اقتِحامُ أَهْلِ النّارِ يَدُلُّ على زِحامِهِمُ الشّديدِ عِنْدَ دُخولِهِم النّارَ؛ بِسَبَبِ سوقِهِم العَنيفِ مِنَ المَلائِكَةِ.

١- سورة الكهف: ٢٩

حَسْرَةُ السَّاخِرينَ بِأَوْلِياءِ اللهِ تَعالى:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تعالى حَديثَ أَهْلِ النّارِ عَمَّنْ كانوا يَسخَرونَ مِنْهُم في الدُّنْيا وَيَعتَبِرونَهم أَعْداءَهم وَهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ تَعالى، فَقالَ تَعالى حاكيًا ما قالوه: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أَيْ: لِماذا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ أَشْرارًا في الدُّنْيا، وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِيَّانا إِلى الإيمانِ؟

ثُمَّ طرحوا احْتِمالَيْنِ لِعدَمِ رُؤْيَتِهِم لِلْمُؤْمنينَ في النَّارِ:

الاحتمالُ الأَوَّل: أَسَخِرْنا مِنْهُم وَاسْتَهزأْنا بِهِم، وَهُمْ لَمْ يَكونوا أَهْلًا لِذلِكَ، فَكانوا عَلى الحَقِّ وَكُنَّا عَلى الباطِلِ، فَفازوا بِدُخولِ الجَنَّةِ، وَلَمْ يَدْخُلوا النَّارَ مَعَنا؟

الاحْتِمالُ الثّاني: أَمْ أَنَّهُمْ في النّارِ مَعَنا وَلَكِنَّ أَبْصارنا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ؟

وهَذا التَّساؤُلُ مِنْ أَهْلِ النّارِ عَنِ المُؤْمِنينَ يَدُلُّ عَلى حَسْرَتِهِم الشّديدَةِ، وَحيرَتِهِم في النَّظَرِ وَالاسْتِخْبارِ عَنْ أَهْلِ الإيمانِ، وَلَمْ يَأْتِهِم الجَوابُ لِيَظَلُّوا هَكَذا في حَسْرَةٍ وَحيرَةٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَنَّ تَخاصُمَ أَهْلِ النّارِ حَقٌّ لا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فَقالَ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أَيْ: هَذا التَّلاعُنُ والخُصومَةُ وَالجَدَلُ بَيْنَ أَهْلِ النّارِ لحقٍّ ثابِتٍ لا شَكَّ في وُقوعِهِ.

فائدةٌ: كَلِمَةُ: ﴿سِخْرِيًّا﴾ بِكَسْرِ السِّينِ تَعْني الاسْتِهْزاءُ، وَبِضَمِ السِّينَ تَعْني التَّسْخيرَ في الأَعْمالِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- سوءُ عاقبةِ أَهْلِ الباطِلِ.

٢- الكُفّارُ يَتَبَرَّأُ بَعْضُهم مِنْ بَعضٍ يَوْمَ القِيامَةِ.

٣- أَهْلُ النّارِ لَهُمْ عَذابٌ نَفْسيٌّ وَبَدَنيٌّ.

٤- السُّخريّةُ وَالاستِهزاءُ مِنْ شِيَمِ أَهْلِ الباطِلِ.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلاثونَ

مكانةُ الإنسانِ عِنْدَ اللهِ تَعالى

الآياتُ (٦٥ - ٨٨) مِنْ سورَةِ (ص)

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ
ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾
إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
نَبَؤٌا عَظِيمٌ	خَبَرٌ عَظيمُ الشَّأنِ
رَجِيمٌ	مَطْرودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى
لَأُغْوِيَنَّهُمْ	لَأُضِلَّنَّهُم

المَعنى الإجْماليُّ:

الرَّسولُ ﷺ مُنْذِرٌ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى في أوَّلِ السُّورَةِ تكذيبَ الكُفّارِ بالتَّوحيدِ وَالنُّبُوَّةِ، أمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ في آخِرِ السُّورَةِ أنْ يردَّ على الْكافِرينَ مُظْهِرًا رِسالتَهُ إليهم وَدَعوتَه لهمْ إلى التَّوحيدِ، فَقالَ تعالى لَهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ أَيْ: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ المُكَذِّبينَ مِنْ مُشْرِكي مَكَّةَ: إنَّما أنا نَذيرٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ إلَيْكُمْ، لأُحَذِّرَكُمْ مُخالَفَةَ أوامِرِهِ، حَتَّى لا يَحِلَّ بِكُمُ العَذابُ مِثْلَما حَلَّ بِالأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَعادٍ وَثَمودَ وَقَوْمِ لوطٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ لهمُ الرَّسولُ ﷺ دَعوَتَه إليهم وهِيَ تَوحيدُ اللهِ تَعالى بِالعِبادةِ والطَّاعَةِ فَقالَ تَعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴾ أَيْ: وَقُلْ لهمْ يا مُحَمَّدُ: دَعْوَتي إليكمْ أنْ تُوَحِّدوا اللهَ بِالعبادةِ والطّاعَةِ، فلا يوجدُ إلَهٌ يَسْتَحِقُّ العِبادةَ وَالطّاعَةَ في هذا الكوْنِ إلا اللهَ تَعالى، فَهُوَ الواحدُ الذي يجبُ أنْ يُعْبَدَ، وهُوَ القَهّارُ بِقُوَّتِه، الموجِدُ لِلسَّماواتِ وَالأرْضِ وما بَيْنَهما وَمُدَبِّرُ أمورِهما، وهُوَ العَزيزُ الغالِبُ لِكُلِّ شَيْءٍ، كثيرُ المَغْفِرةِ لِمَنْ أطاعَهُ مِنْ عِبادِهِ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأولى: الحِكْمَةُ في قَصْرِ مُهمّةِ الرَّسولِ ﷺ في هذهِ الآيةِ على الإنْذارِ مَعَ أنّه ﷺ جاءَ بَشيرًا وَنَذيرًا؛ لأنَّ الخِطابَ لِلكافِرينَ المُعانِدينَ وَيُناسِبُهُم الإنْذارُ والتَّخويفُ مِنَ الكُفْرِ.

الفائدةُ الثّانيةُ: وَرَدَتْ في الآياتِ السابقَةِ ستَّةٌ مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنَى:

١- اللهُ ٢- الواحِدُ ٣- القَهّارُ ٤- الرَّبُّ ٥- الْعَزيزُ ٦- الْغَفّارُ.

غَفْلَةُ الكُفّارِ عَنْ عَظَمَةِ الإسْلامِ وَالقُرْآنِ:

ثُمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يُبَيِّنَ لِلْكُفّارِ عَظَمَةَ ما دَعاهُمْ إليهِ، فَقالَ تَعالى لَهُ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ

﴿٦٧﴾ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أَيْ: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهؤلاءِ الكُفَّارِ المُعاندينَ، أَنَّ ما دَعَوْتُكُم إليهِ مِنَ التَّوحيدِ وما جِئْتُكُم بِهِ مِنَ القُرآنِ، المُبينِ لِلْبَعْثِ والجَزاءِ وَالوَعْدِ والوَعيدِ، لَهُوَ خَبَرٌ عَظيمُ الشَّأْنِ عَظيمُ النَّفْعِ لَكُمْ، كَيْ لا تكُونوا عَبيدًا لِلشَّيْطانِ، فَتَسْتَحِقّوا النِّيرانَ، وَلَكِنَّكُم مُعْرِضونَ عَنِ التَّوْحيدِ مُكَذِّبونَ بِرِسالَتي.

فائِدَةٌ: العاقِلُ حَقًّا لا يُعْرِضُ عَنِ التَّوْحيدِ، وقَدْ قامَتِ البَيِّنَةُ وَالشَّواهِدُ وَالدّلائِلُ عَلى وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى، بِما يُشاهِدُ في الكَوْنِ مِنْ آثارِ قُدْرَتِهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ، فَهؤلاءِ الكُفّارُ قَدْ أَعْرَضوا عَنِ الهِدايَةِ، لِتَماديهِم في الغَفْلَةِ وَالغَباءِ.

مِنْ أَدِلَّةِ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ:

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُنَبِّهَ المُشْرِكينَ وَيُرْشِدَهُم إلى دليلٍ مِنْ أَدِلَّةِ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ فِيهِمْ، وَإِرْسالِهِ إِلَيْهِم، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقولَ لَهُم كما قالَ تَعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: ما كانَ عِنْدي عِلْمٌ بِما جَرى مِنْ تَخاصُمٍ، وَاخْتِلافِ المَلَإِ الأَعْلَى في شَأْنِ آدَمَ عليه السلام لَكِنَّ اللهَ أَطْلَعَني على ذَلِكَ بِالْوَحْيِ المُنَزَّلِ عَلَيَّ، وما يوحَى إِلَيَّ مِنْ أمورٍ لا تَعْلَمونَها، إلا لِأُنْذِرَكم وَأُخَوِّفَكُم مِنْ مُخالَفَةِ اللهِ تَعالى، وَأُبَيِّنَ لَكُم ما يُرْضيهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

فائِدَةٌ: المُرادُ بِالمَلَإِ الأَعْلَى: عالَمُ السَّماواتِ وما فيه مِنْ مَلائِكَةٍ كِرامٍ طائِعينَ.

خَلْقُ آدَمَ عليه السلام:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْضَ ما دارَ في المَلَإِ الأَعْلَى، فَذَكَرَ قِصَّةَ خَلْقِ آدَمَ عليه السلام وَسُجودِ المَلائِكَةِ له وامتناعِ ابْليسَ عَنِ السُّجودِ لَهُ، وَقَدْ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذه السورَةَ بِهَذا الخِتامِ الرَّائِعِ؛ لِيُبَيِّنَ فَضْلَ اللهِ تَعالى على آدَمَ وَذُرِّيَتِهِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ مَوْقِفَ المَلائِكَةِ منهم وَحُبَّهُم لَهُم، وموقفَ إِبْليسَ مِنْ أبينا آدَمَ عليه السلام وَاتِّخاذَنا عَدُوًّا لَهُ فَصارَ بِكُلِّ حيلَةٍ يُبْعِدُنا عَنْ طَريقِ الْحَقِّ؛ لِيَجعلَنا معهُ في النَّارِ، وخُلاصَةُ هذه القِصَّةِ: أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ أَعْلَمَ المَلائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عليه السلام أَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنونٍ، وَأَمَرَهُم

بالسُّجودِ له متى فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ وَتَسْوِيَتِهِ، فَامْتَثَلَ المَلائِكَةُ كلُّهُم لِأَمْرِ اللهِ تَعالى، وَسَجدوا إلا إبْليسَ اسْتَكْبَرَ وَلَمْ يَسْجُدْ فصارَ مِنَ الْكافِرينَ، فَوَبَّخَهُ اللهُ تَعالى وقالَ له: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ أَيْ: ما مَنَعَكَ مِنَ السُّجودِ؟، أتَكَبَّرْتَ على آدَمَ أمْ تَكَبَّرْتَ على طاعَتي؟ فَادَّعَى إبْليسُ أنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، لِأَنَّهُ مَخْلوقٌ مِنْ نارٍ وَآدَمُ مَخْلوقٌ مِنْ طينٍ، والنَّارُ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ في زَعْمِهِ، وقد خالفَ بذلكَ أمْرَ رَبِّهِ، فَكَفَرَ بِهِ فَأَبْعَدَهُ اللهُ تَعالى وَطَرَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَذْمومًا مَدْحورًا، فَسألَ رَبَّهُ أنْ يُؤَخِّرَ أجَلَهُ إلى يَوْمِ البَعْثِ، فَأَنْظَرَهُ الحَليمُ الذي لا يعجلُ على مَنْ عَصاهُ، فَلَمَّا أمِنَ الهَلاكَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، تَمَرَّدَ وَطغَى وَحلفَ بِعِزَّةِ اللهِ تَعالى قائلًا: أُقْسِمُ بِعِزَّتِكَ يا رَبُّ بِأَنَّني سَأُضِلُّ جَميعَ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَأُغْوِيهِمْ إلا مَنْ عَصِمْتَهُ مِنّي وأخْلَصْتَه لِعِبادَتِكَ وَحْدَكَ، فَرَدَّ عليه اللهُ تَعالى: ﴿ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ أَيْ: فَأنا الحَقُّ وَإنّي أقولُ الحَقَّ: لَأَمْلَأَنَّ يَوْمَ القِيامَةِ جَهَنَّمَ مِنْكَ ومِنْ ذُرِّيَّتِكَ يا إبْليسُ، وَمِمَّنْ تَبِعَكَ في كُفْرِكَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ أجْمَعينَ.

فَوائِدُ:

الفائدةُ الأولى: الكِبْرُ أوّلُ المَعاصي التي عُصِيَ بِها اللهُ تَعالى، حيثُ تَكَبَّرَ إبْليسُ على السُّجودِ لِآدَمَ.

الفائدةُ الثّانيةُ: السُّجودُ الذي أمَرَ بِهِ المَلائِكَةَ سُجودَ تَحيّةٍ وَامْتِثالٍ لله تَعالى.

الفائدةُ الثالثةُ: شَمِلَ أمْرُ اللهِ تَعالى بِالسُّجودِ لآدَمَ إبْليسَ، معَ أنَّه ليسَ مِنَ المَلائِكَةِ، لأنَّهُ كانَ مَوْجودًا بَيْنَ المَلائِكَةِ عابدًا، وقدْ وَجَّهَ اللهُ تَعالى أمْرَهُ لِلحاضِرينَ، فَيجبُ على جَميعِ الحُضورِ طاعةُ رَبِّهِم.

الرَّسولُ ﷺ لا يَأْخُذُ أجْرًا مِنَ النّاسِ على تَبْليغِ الرِّسالَةِ:

ثُمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يُنَبِّهَ الْكافِرينَ، على أنّه لا يحتاجُ مِنهُم أجْرًا على دَعْوَتِهِ وَنصحِهِ لهمْ فَقالَ تَعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أَيْ: قُلْ -أيُّها النَّبِيُّ-

لِلْكُفَّارِ: إِنَّني لا أَسْأَلُكُم أجْرًا مِنْ مالٍ أوْ ملكٍ أوْ جاهٍ على تبليغِ الرِّسالَةِ وَنصْحي لكم، وما أنا مِنَ الذينَ يَدَّعونَ النُّبُوَّةَ أوْ يَتكلَّفونَ الكَذِبَ، وأنْتُمْ تَعْلَمونَ عَنّي ذلكَ، وَما هَذا القُرْآنُ العَظيمُ الذي أوْحاهُ اللهُ إليَّ إلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمينَ، بِهِ يَهْتَدونَ وَيَتَّعِظونَ وَيَنْتَفِعونَ في دينِهِم وَدُنْياهُم.

ثُمَّ هدَّدَهُمُ النَّبيُّ ﷺ على تَمَسُّكِهم بِكُفرِهم فَقالَ لهُم كما قالَ تَعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ أَيْ: وَإذا أَصْرَرْتُمْ عَلى الكُفْرِ، فَسَتَعْلَمونَ قَريبًا صِدْقَ ما أخبَرَكُم بِهِ هذا القرآنُ مِنَ الوَعْدِ وَالوَعيدِ.

فائدةٌ: ما زالَ اللهُ تَعالى يُري النّاسَ جَميعًا صِدْقَ ما أَخْبَرَ بِهِ القُرْآنُ الكَريمُ مِنْ آياتٍ، فَقدْ تَحَقَّقَ لِلكافِرينَ المُحارِبينَ لِلنَّبيِّ ﷺ ما أَوْعَدَهُمُ اللهُ بِهِ في الدُّنْيا مِنَ الهَزيمَةِ يَوْمَ بَدْرٍ وَالأحْزابِ، وَفَتْحِ مَكَّةَ وَغَيْرِها، وَمَنْ ماتَ كافِرًا عَلِمَ عِنْدَ المَوْتِ صِدْقَ القُرْآنِ العَظيمِ، وَمَنْ يَبْحثُ في الآفاقِ مِنَ المُؤْمِنينَ والْكافِرينَ، يَعلَمُ يَقينًا صِدْقَ ما أَخْبَرَ القُرْآنُ الكَريمُ بِهِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- اللهُ هُوَ المُسْتَحَقُّ لِلْعِبادَةِ دونَ غَيْرِهِ.

٢- يجبُ على المُؤْمِنِ أنْ يُكْثِرَ مِنَ الاسْتِعاذَةِ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ.

٣- الأنْبياءُ لا يَأْخُذونَ على دَعْوَتِهِمْ أجْرًا مِنَ النّاسِ.

٤- الكِبْرُ سَبَبُ كُلِّ مَعْصِيَّةٍ وأصْلُ كُلِّ رَذيلَةٍ.

٥- ذَمُّ التَّكَلُّفِ المُفْضي إلى الكَذِبِ على اللهِ وعلى الرَّسولِ وَالمُؤْمِنينَ.

سورَةِ الزُّمَرِ

بَيْنَ يدَيْ سورَةِ الزُّمَرِ

سورةُ الزُّمَرِ سورَةٌ مَكِّيَّةٌ تَدورُ حوْلَ عقيدةِ التّوحيدِ، رقمُها في المُصْحَفِ تِسعٌ وَثلاثونَ، وعددُ آياتِها خمسٌ وسَبعونَ آيةً.

سُمِّيَتْ سورةُ الزُّمَرِ بهذا الاسْمِ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى ذَكَرَ فيها زمرةَ السُّعَداءِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وما لَهُمْ مِنَ الإكْرامِ، وَزُمْرَةُ الأشقياءِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَما لَهمْ مِنَ الهَوانِ والصِّغارِ.

مقاصِدُ السُّورَةِ الكَريـمَةِ:

١- بَدأتِ السُّورَةِ الكريمةُ بالحَديثِ عَنِ القُرآنِ الكَريمِ المُنَزَّلِ مِنْ عَنْدِ اللهِ تَعالى، وَوُجوبِ إخلاصِ الدِّينِ للهِ تَعالى، وذِكْرِ شُبْهَةِ المُشْرِكينَ في عِبادَتِهم لِلأوْثانِ.

٢- ذَكَرَتِ الأدِلَّةَ وَالبَراهِينَ على وَحْدانيّةِ رَبِّ العالَمينَ، كَخَلْقِ السّماواتِ والأرضِ بِالحَقِّ، وَخَلْقِ النّاسِ جميعًا مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ.

٣- تناوَلَتْ موضوعَ العَقيدَةِ بِوُضوحٍ، وَكَشفَتْ عنْ مَشهدِ خُسْرانِ المُشْرِكينَ في دارِ الجَزاءِ.

٤- بَيَّنَتْ حالَ الإنسانِ عندما ينزلُ بِهِ الضُّرُّ، وأظهَرَتْ ما أعدَّهُ سُبْحانَهُ لِلصَّابِرينَ، وما أعَدَّهُ سُبْحانَهُ لِلْخاسِرينَ.

٥- بَيانُ مظاهرِ قُدرَةِ اللهِ تَعالى في هذا الكَوْنِ عنْ طريقِ إنزالِهِ الماءَ مِنَ السَّماءِ، وإخْراجِ النَّباتِ وَتَحوُّلِهِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ.

٦- دَعْوَةُ الناسِ إلى تَدَبُّرِ آياتِ القرآنِ الكريمِ الذي أَنْزَلَه اللهُ تَعالى أحسنَ الحديثِ مثانيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ.

٧- دَعْوَةُ العِبادِ إلى اتِّباعِ الرَّسولِ ﷺ الذي جاءَهم بِالصِّدْقِ، لِتَكفيرِ سَيِّئاتِهِم، وَرَفْعِ دَرَجاتِهم عندَ رَبِّهِمْ.

٨- تقريرُ كِفايةِ اللهِ تَعالى لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كُلِّ سوءٍ يُدَبِّرُهُ الكُفَّارُ لَهُ، وَتَوَعَّدَ اللهُ لهم بِالعَذابِ.

٩- بَيانُ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى في قَبْضِهِ لِلْأَرْواحِ، وفي كَشْفِهِ الضُّرَّ عَنْ خَلْقِهِ.

١٠- محاجَّةُ المُشرِكينَ، وَبَيانُ ما هُمْ عليهِ مِنْ ضَلالٍ، وَبيانُ أحْوالِهِم عندما يُذْكَرُ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ، وَبَيانُ سوءِ عاقِبَتِهِم.

١١- دَعْوَةُ العِبادِ إلى الإنابَةِ لِرَبِّهِم وَالرُّجوعِ إليهِ، قبلَ أنْ يُداهِمَهُمُ المَوْتُ أوْ يُفاجِئَهُمُ العَذابُ.

١٢- ذِكْرُ نَفْخَةِ الصَّعْقِ، ثُمَّ نَفْخَةِ البَعْثِ وَالنُّشورِ، وما يَعقُبُها مِنْ أهْوالِ الآخِرَةِ، وما يَحْدُثُ في يَوْمِ الحَشْرِ، حيثُ يُساقُ المُتَّقونَ الأبْرارُ إلى الجَنَّةِ زُمَرًا، وَيُساقُ المُجْرِمونَ الأشْرارُ إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا.

الدَّرْسُ الثّامِنُ وَالثّلاثُونَ

فَضْلُ الصِّدْقِ وَالإخْلاص

الآياتُ (١-٤) مِنْ سورَةِ الزُّمَرِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ	مُفْرِدًا إيَّاهُ بِالْعِبادَةِ
أَوْلِيَآءَ	شُرَكاءَ
لَّٱصْطَفَىٰ	اخْتارَ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

القرآنُ الكريمُ نَزَلَ مِنَ اللهِ العَزيزِ الحَكيمِ:

بَدَأَ اللهُ تَعالى سورَةَ الزُّمَرِ بِالثّناءِ على القُرْآنِ الكَريمِ، فَبَيَّنَ مَصدَرَ نُزولِهِ وَهُوَ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ فَقالَ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أيْ: هذا القُرآنُ الكريمُ، إنّما هُوَ كِتابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى، العَزيزِ في قُوَّتِهِ، فلا يَغْلِبُهُ أحَدٌ، وَهُوَ الحَكيمُ في شَرعِهِ وَتَدْبيرِ خَلْقِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعالى شَخْصَ النَّبيِّ الذي أُنْزِلَ عليهِ القرآنُ الكريمُ فَقالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ أيْ: إنّا أنْزَلْنا إليْكَ يا مُحَمَّدُ هذا القُرْآنَ مُتَّصِفًا بِالحَقِّ، فَيَجِبُ عليكَ أنْ تَعبُدَ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ مُخْلِصًا في عِبادَتِه بِلا شِرْكٍ وَلا رِياءٍ.

ثُمَّ نَبَّهَ سُبْحانَهُ وَتَعالى العِبادَ إلى أنّهُ وَحْدَهُ هُوَ المُسْتَحقُّ لِلْعِبادةِ الخالِصَةِ التي لا شِرْكَ فيها ولا رِياءَ فَقالَ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ أَيْ: انْتَبِهوا أيُّها النّاسُ وَاعْلَموا أنَّ التَّوْحيدَ الخالصَ مِنَ الشِّرْكِ وَالرِّياءِ هُوَ للهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، فاللهُ تَعالى وَحْدَهُ هو الذي يَنْبَغي أنْ تكونَ لَهُ الطّاعةُ وَالخُضوعُ.

فائدةٌ: الْعِلَّةُ في اسْتِحقاقِ اللهِ تَعالى لِلدِّينِ الخالِصِ، أنه سُبْحانَه وتعالى هُوَ الخالِقُ المُدَبِّرُ المُتَفَرِّدُ بِصِفاتِ الأُلوهِيَّةِ، وَهُوَ الذي يَسْتطيعُ أنْ يُجازِيَ مَنْ عَبدَهُ، أمَّا غَيْرُ اللهِ تَعالى فَلَيْسَ لَهُ مِنْ صِفاتِ الألوهِيَّةِ شَيْءٌ وَلَنْ يَسْتَطيعَ أنْ يُجازِيَ مَنْ عَبدَهُ، فَاسْتَحَقَّ تَعالى أنْ يُعْبَدَ بِإِخْلاصٍ.

ضَلالُ المُشْرِكينَ وَكِذْبُهُم على اللهِ تَعالى:

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ضَلالَ المُشْرِكينَ الذينَ لَمْ يُخْلِصوا لَهُ العِبادَةَ، حيثُ عَبَدوا الأصْنامَ وَادَّعوا أنّهم يَتقرَّبونَ بِعبادتِها إلى اللهِ تَعالى، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ أَيْ: إنَّ المُشرِكينَ الذينَ اتّخَذوا مِنْ دونِ اللهِ أولياءَ مِنَ الأوْثانِ وَالأصْنامِ، كانوا يقولونَ في الرَّدِّ على مَنْ يَنْهاهُم عَنْ ذلكَ: إنَنا لا نَعبدُ هذه المعبوداتِ، إلا مِنْ أجْلِ أنْ تُقرِّبُنا إلى اللهِ مَنْزِلَةً، وَلِتكونَ شَفيعةً لنا عندَهُ، حتى يَرفعَ عنّا البَلاءُ والمِحَنُ.

وهذهِ شُبْهَةٌ تَمَسَّكَ بها المُشرِكونَ في قديمِ الدَّهْرِ وَحَديثِه، فجَعَلوا تماثيلَ لِلْكواكبِ والمَلائكَةِ والأنبياءِ والصّالحينَ الذينَ مَضَوْا، وعبدوها لأجْلِ أنّها تُقَرِّبُهُم للهِ تَعالى، فجاءَتِ الرُّسُلُ لِتُوَجِّهَ العُقولَ إلى إفْرادِ اللهِ تَعالى وَحدَهُ بِالعِبادةِ، كما قالَ تَعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[1] وقالَ تَعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

١- سورة النحل: ٣٦

٢- سورة الأنبياء: ٢٥

ثُمَّ هَدَّدَهُم اللهُ تَعالى، وَتَوَعَّدَهم على هذا الشِّرْكِ وَالكَذِبِ والضّلالِ، فَقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ أيْ: إنَّ اللهَ يَحكمُ بَيْنَ العِبادِ فيما اخْتَلَفوا فيهِ مِنَ العِبادةِ، فَمَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ دَخلَ الجَنَّةَ وَمَنْ أشْرَكَ بِهِ دَخَلَ النّارَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سَبَبَ ضَلالِ المُشْرِكينَ، فَقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ أيْ: إنَّ اللهَ تَعالى لا يُوفِّقُ لِلهدايةِ، ولا يُرْشِدُ لِلصّوابِ مَنْ كانَ راسِخًا في الكَذِبِ مُبالِغًا في الكُفْرِ.

اللهُ تَعالى الواحِدُ الأَحَدُ المُنَزَّهُ عَنِ الوَلَدِ:

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى نوعًا مِنَ الشِّركِ وَهُوَ اتّخاذُ الأَوْثانِ أوْلياءَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى، ذَكَرَ نَوْعًا آخَرَ مِنَ الشِّرْكِ وَهُوَ نِسْبَةُ الوَلَدِ إلى اللهِ تَعالى، كما زَعمَ المُشركونَ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ، وَزَعمَ النّصارى أنَّ المَسيحَ ابْنُ اللهِ، وَزَعِمَ اليَهودُ أنَّ عَزيرًا ابْنُ اللهِ، فَكَذَّبَهم اللهُ تَعالى وَبَيَّنَ جَهْلَهُم فَقالَ: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ أيْ: لَوْ أرادَ اللهُ تَعالى أَنْ يكونَ لَهُ وَلَدٌ كما زَعمَ الْكافِرونَ لاخْتارَ مَنْ مَخلوقاتِهِ ما يَشاءُ، ولا يَتْرُكهُم يَنْسِبونَ إليهِ الوَلَدَ افتراءً عليهِ وكذبًا، ولكنَّه تعالى مُنَزَّهٌ عَنْ صِفاتِ المَخلوقينَ، إذْ هُوَ اللهُ تَعالى الواحِدُ الذي لا شريكَ لَهُ في مُلكِهِ وَسُلطانِهِ وحُكْمِهِ، القَهّارُ لِسائِرِ خَلْقِهِ فَسُبْحانَهُ لا إلَهَ غَيْرَهُ ولا رَبَّ سِواهُ.

فائدةٌ: مُحالٌ على اللهِ تَعالى أنْ يكونَ له وَلَدٌ، لأنَّ اتّخاذَ الوَلَدِ نقصٌ في حَقِّ اللهِ تَعالى، ووجهُ النّقصِ هُوَ أَنَّ اتّخاذَ الوَلَدِ يَدُلُّ على الحاجَةِ، واللهُ لا يَحتاجُ إلى أحَدٍ بَلِ الكلُّ مُحْتاجٌ إلَيْهِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ بِنُزولِ القرآنِ الكريمِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى.

٢- المُشركونَ المُسْرِفونَ في الكَذِبِ وَالفُجورِ مَحرومونَ مِنَ الهِدايةِ.

٣- تَقريرُ التَّوحيدِ وَبُطلانُ الشِّرْكِ.

٤- تقريرُ عَقيدَةُ البَعْثِ وَالجزاءُ يَوْمَ القِيامَةِ.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثونَ

مِنْ دَلائِلِ وَبَراهينِ التَّوْحيدِ

الآياتُ (٥-٧) مِنْ سورَةِ الزُّمرِ

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
يُكَوِّرُ	يُغَطّي
وَسَخَّرَ	ذَلَّلَ
تَزِرُ	تَحْمِلُ الوِزْرَ أَيْ: الإثْمَ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

مِنْ دَلائِلِ التَّوْحيدِ:

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى اسْتِحْقاقَهُ لِلتَّوحيدِ وَوُجوبِ إخْلاصِ العِبادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَأنَّهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الوَلَدِ أقامَ سُبْحانَه الأدِلَّةَ على وَحْدانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ فَمِنْ هذهِ الأدِلَّةِ:

الدَّليلُ الأوَّل: خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ، قالَ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: أَوْجَدَ السَّماواتِ وَالأرْضَ، لِحِكْمةٍ عَظيمةٍ وَمَصلحةٍ عَميمةٍ تعودُ على النّاسِ بِالخَيْرِ وَالنّفعِ، وَمَنْ كانَ شأنُه كذلكَ اسْتَحَقَّ أنْ يكونَ الإلَهُ المَعْبودُ بِحَقٍّ الواحِدِ لا شريكَ لهُ، كما قالَ تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[1].

فائدةٌ: مِنَ الحِكَمِ العَظيمَةِ والغاياتِ السّامِيَّةِ التي خلقَ اللهُ تَعالى مِنْ أجلِها السّماواتُ والأرضُ:

١- أنْ تكونَ السَّماواتُ والأرضُ دليلًا على وجودِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِه، فَيُعْبَدُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ.

٢- أنْ يُرْشِدَ بِخَلْقِهما إلى كمالِ عِلمِهِ وقدرتِهِ وَجبروتِهِ وعَظمتِه، فَيذِلُّ لَهُ الخلقُ وَيَرْهبونَهُ.

٣- أنْ ينتفعَ الخلقُ بما أودعَ اللهُ تَعالى فيهما مِنَ الخَيرِ العَظيمِ.

الدَّليلُ الثّاني: تكويرُ الليلِ والنهارِ، قالَ تَعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ أَيْ: يُدْخِلُ اللَّيْلَ على النَّهارِ فَيُغَطِّيهِ بِظَلامِه، ويدخلُ النَّهارُ على اللَّيلِ فَيُذهِبُ بِضَوئِهِ الظلامَ، فكلٌّ منهما يغطّي الآخَرَ في مَوْعِدٍ حَدَّدَهُ اللهُ رَبُّ العالَمينَ فلا يَتَخلّفانِ أبَدًا.

الدَّليلُ الثَّالثُ: تَسخيرُ الشمسِ والقمرِ، قالَ تَعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ أَيْ: وذلَّلَ الشّمسَ والقمرَ فجعلَهما مُنْقادَيْنِ لِأمْرِهِ تعالى انقيادًا تامًا، حيثُ يجريانِ في فَلَكَيْهما بِدِقَّةٍ عظيمةٍ إلى أجَلٍ حَدَّده اللهُ تَعالى، وَهُوَ يَوْمُ القيامَةِ، فانْتَبِهوا أيُّها النّاسُ واعْلَموا أنَّ الذي أحْسَنَ في خَلْقِهِ وأبْدعَ في صُنْعِهِ وَسَخَّرَ لِعبادِه ما شاءَ مِنْ خلقِه، هُوَ العَزيزُ الغالِبُ لِمَنْ عاداهُ والغفورُ لِمَنْ والاهُ فَيجبُ عِبادتُه وَحْدَهُ؛ لِتَسْتَحِقّوا فَضْلَهُ وَرِضْوانَهُ.

الدَّليلُ الرّابِعُ: خُلِقَ الناسُ جميعًا مِنْ آدَمَ، قالَ تَعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أَيْ: خَلَقَكُمْ على كَثْرَتِكُمْ واختلافِ أَلْسِنَتِكم وألوانِكم مِنْ نفسٍ واحدةٍ وَهِيَ نَفْسُ أبيكُم آدَمَ عليه السلام فأودَعَكُم في ظَهْرِهِ وَصُلْبِهِ، ثمَّ خلقَ مِنْ آدمَ أمَّكُم حَوّاءَ، ثُمَّ خَلَقَكُم منهما عَنْ طريقِ التّناسُلِ رِجالًا كثيرًا ونِساءً.

١- سورة ص: ٢٧

فائدةٌ: خَلَقَ اللهُ تَعالى حَوَّاءَ مِنَ الضِّلْعِ الأَيْسَرِ لآدَمَ عليه السلام، قالَ ﷺ: «إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ ...». (رواه مُسْلِمٌ).

الدَّليلُ الخامسُ: خُلِقَتِ الأنْعامُ للنّاسِ، قالَ تَعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أَيْ: وَأنزَلَ لكمْ مِنَ الأنْعامِ، وَهِيَ الإبِلُ وَالبَقَرُ، والغَنَمُ والمَعْزُ كُلَّ نَوْعٍ منها زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى يَتِمُّ بهما التّناسُلُ وبقاءُ النَّوْعِ، وقدْ ذَكَرَها اللهُ تَعالى في سورَةِ الأنْعامِ فَقالَ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[1] أَيْ: كُلُّ زَوْجَيْنِ واحِدٌ ذَكَرٌ وَالآخَرُ أُنْثَى.

فائدةٌ: اخْتَلَفَ العُلماءُ في معنَى أنزلَ الأنعامَ على عِدَّةِ أقوالٍ: منها:

- أنزَلَها مِنَ الجَنَّةِ مَعَ آدَمَ عليه السلام.
- أنزلَها مِنْ سَفينَةِ نوحٍ بَعْدَ الطُّوفانِ.
- أنْزلَ بمعنَى خَلَقَ، وَعَبَّرَ بالإنْزالِ لأَنَّ أمْرَ خَلْقِها نَزَلَ مِنَ اللهِ تَعالى واللهُ في السَّماءِ.

الدليلُ السَّادسُ: تَطَوُّرُ خَلْقِ الجَنينِ في بَطْنِ أُمِّه، قالَ تَعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ أَيْ: أَنَّهُ تَعالى يخلُقكم أيُّها النّاسُ بِقُدْرَتِه في بُطونِ أمَّهاتكم خَلقًا مُتطوّرًا مِنْ بعدِ خَلْقٍ تُحيطُهُ ظُلُماتٌ ثَلاثٌ: ظُلْمَةُ البَطنِ وَظُلْمَةُ الرَّحمِ وَظُلْمَةُ المَشيمَةِ، فيكونُ أَوَّلُ مَبْدَأِ الإنسانِ في بَطْنِ أُمِّهِ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِظامًا، ثُمَّ يَكْسو اللهُ تَعالى العِظامَ لَحْمًا، فَإذا هُوَ إنسانٌ كاملٌ. قالَ تَعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[2]، والإنسانُ والحَيوانُ سَواءٌ في تَطَوُّرِ خَلْقِهِ في بَطْنِ أُمِّهِ في ظُلماتٍ ثَلاثٍ فَسُبْحانَ الخالِقِ العَظيمِ.

فائدةٌ: إيداعُ اللهِ تَعالى الجَنينَ في ظُلماتٍ ثلاثٍ يَدُلُّ على عِنايَةِ اللهِ تَعالى ورَحْمَتِهِ وَرِعايَتِهِ لِخَلْقِهِ حالَ ضَعْفِ.

١- سورة الأنعام: ١٤٣

٢- سورة المؤمنون: ١٤

وبعدَ أنْ ذكرَ اللهُ تَعالى هذه المَخلوقات ذكرَ خالِقَها ومُنْشِئَها، فَقالَ تَعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أَيْ: الذي خَلَقَ هذه الأشياءَ هُوَ اللهُ رَبُّكُمُ الذي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، والذي لا مَعْبودَ بِحَقٍّ سِواهُ، فَكَيْفَ تُصْرفونَ عَنْ عِبادَتِه إلى عِبادةِ غيرِه؟ وكيفَ تَزْعمونَ أَنَّ لَهُ شريكًا أَوْ وَلَدًا؟ والاستفْهامُ في قولِه تَعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ لِلتَّعَجُّبِ وَالإنْكارِ.

اللهُ تَعالى غَنِيٌّ عَنْ عِبادِه:

بَعْدَ أنْ أقامَ اللهُ تَعالى الأدِلَّةَ على وَحْدانِيَّتِه ووُجوبِ عِبادتِه، أعْلَمَ عِبادَهُ أَنَّهُ غَنِيٌّ عنهُم وَكفرُهم بِهِ لا يَضُرُّهُ أبدًا، فَقالَ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أَيْ: إنْ تَكفُروا باللهِ تَعالى أيُّها الناسُ بَعْدَ أنْ دَلَّكُمْ على وَحدانِيّتِه، فَإنَّ اللهَ تَعالى غَنِيٌّ عَنْكُم وعَنْ إيمانِكُم وعِبادتِكم وعَنْ الخَلْقِ أجْمَعينَ، ولكنَّهُ لا يَرْضى لِعبادِه الكُفْرَ لسوءِ عاقِبَتِه، وإنْ تَشْكروا اللهَ على نِعَمِه بِأَنْ تُخْلِصوا لَهُ العِبادةَ والطّاعَةَ يَرْضَ لكمْ هذا الشُّكْرَ، فَيَزيدَكُم مِنْ نِعَمِه وَيُدْخِلَكم جَنَّتَهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى عَدْلَهُ في مُجازاةِ المُؤْمنِ والْكافِرِ مِنْ خَلْقِه، فَقالَ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أَيْ: ولا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثامَ نَفْسٍ أخرى، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ يُكْتَبُ عَمَلُها في الدُّنْيا مِنْ إيمانٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ثُمَّ تُرْجَعونَ إلى رَبِّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُخْبِرُكم بِما فَعَلْتُمْ وَيُجازيكُم بِما صَنَعْتُمْ إنَّهُ تَعالى العَليمُ بِكُلِّ ما في الصُّدورِ مِنْ خَفايا وأَسْرارٍ فَلَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِكُمْ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- تقريرُ التَّوْحيدِ بِبَيانِ آياتِ اللهِ تَعالى في الكَوْنِ.

٢- فَضلُ اللهِ تَعالى على عِبادِه في خَلْقِهم وَرِزْقِهم.

٣- غِنَى اللهِ تَعالى وافتقارُ الخَلْقِ إليه.

٤- إثباتُ عَدْلِ اللهِ تَعالى يَوْمَ القِيامَةِ.

٥- إحاطةُ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِالخَلْقِ ظاهِرًا وَباطِنًا.

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

حالُ المُؤْمِنِ وَالْكافِرِ مَعَ رَبِّهِ

الآياتُ (٨-١٠) مِنْ سورَةِ الزُّمَرِ

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مُنِيبًا	راجعًا
خَوَّلَهُ	أَعْطاهُ
أَندادًا	شُرَكاءَ
ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ	ساعاتِ اللَّيْلِ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

حالُ الْكافِرِ في الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ:

وَبَعْدَ أَنْ أقامَ اللهُ تَعالى أدِلَّةَ ألوهِيَّتِهِ في الآفاقِ وَالأَنْفُسِ، أَخْبَرَ تَعالى عَنْ دَليلٍ فِطْرِيٍّ ثابِتٍ في القُلوبِ يُظْهِرُ بِوُضوحٍ تامٍّ ألوهِيَّتَهُ تَعالى وَوَحْدانِيَّتَهُ، ألا وَهُوَ حالُ الْكافِرِ بِاللهِ تَعالى إذا نَزَلَ بِهِ ضُرٌّ

فَإِنَّهُ يَلْجَأُ لِرَبِّهِ القَوِيِّ القادِرِ، قالَ تَعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ أَيْ: وإذا أصابَ الإنْسانَ الْكافِرَ بَلاءٌ مِنْ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ خَوْفٍ دَعا رَبَّهُ الذي خَلَقَهُ مُسْتَغيثًا بِهِ؛ لِيَكْشِفَ ما نَزَلَ بِهِ مِنْ ضُرٍّ راجِعًا إليهِ تَعالى مُنْصَرِفًا عَمَّا يَعْبُدُهُ مِن الأَوْثانِ؛ لِعلمِهِ أَنَّها لا تَضرُّ ولا تَنفعُ، وأَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ اللهِ تَعالى.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعالى حالَ هذا الْكافِرِ بَعْدَ زَوالِ الضُّرِّ وَحُصولِ النِّعْمَةِ، فَقالَ: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ أَيْ: بَعْدَ أَنْ أَعْطاهُ النِّعْمَةَ وَأَزالَ عَنْهُ النِّقْمَةَ إذا بِهِ يَصْدُرُ مِنْهُ أَمْرانِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: نِسْيانُ اللهِ تَعالى الذي كَشَفَ ضُرَّهُ وَمَنَحَهُ النِّعْمَةَ.

الأَمْرُ الثّاني: اتِّخاذُ شُرَكاءٍ للهِ تَعالى لِيُضِلَّ نَفسَه وَيَصُدَّ غَيْرَهُ عَنِ الإسْلامِ الذي ارْتَضاهُ اللهُ لِعبادِه.

فَهَدَّدَهُ اللهُ تَعالى وَبَيَّنَ لَهُ سوءَ عاقِبَتِه فَقالَ: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ أَيْ: قُلْ يا مُحَمَّدُ وَكُنْ ناصِحًا لِهذا الْكافِرِ: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ زَمَنًا قليلًا، حتّى تموتَ، فَإِنَّكَ يَوْمَ القِيامَةِ سَتَكونُ مِنْ أصحابِ النّارِ الخالدينَ فيها وَبِئْسَ القَرارُ.

سِماتُ الْمُؤْمِنينَ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابِقَةِ صِفاتُ الْمُشْرِكِ الضّالِّ الذي يَتَذَكَّرُ رَبَّهُ وَقْتَ الشِّدَّةِ، وَيَنْساهُ حينَ الرَّخاءِ بَيَّنَ تَعالى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ كَالكافِرِ فَلا يَسْتَويانِ عندَ اللهِ تَعالى، فَالْمُؤمِنُ عابِدٌ لِرَبِّهِ، مُنيبٌ إليهِ، يَرْجو رَحْمَتَه، ويَخافُ عذابَهُ، قالَ تَعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ أَيْ: أَهَذا الْمُشْرِكُ أَحْسَنُ حالًا عِندَ اللهِ تَعالى؟ أم الْمُؤْمِنُ الذي هُوَ عابِدٌ للهِ تَعالى مُتَذَلِّلٌ لِرَبِّهِ خاضِعٌ لَهُ يَقضي ساعاتِ اللَّيلِ في سُجودٍ وقِيامٍ للهِ تَعالى، يَحْذَرُ عَذابَ الآخِرَةِ ويَرْجو أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللهِ تَعالى فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ؟ والجَوابُ واضِحٌ، لا يَسْتَوِيانِ.

ثُمَّ أشارَ تَعالى إلى عَدَمِ المُساواةِ بينَهما، وَنَبَّهَ إلى فَضيلَةِ العِلْمِ وَشَرَفِ العملِ بِهِ فَقالَ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: قُلْ يا مُحَمَّدُ أنتَ وكُلُّ مُبَلِّغٍ: هَلْ يستوي الذينَ يَعلمونَ حُقوقَ اللهِ تَعالى فأطاعوهُ، وَالذينَ لا يَعلمونَ حُقوقَهُ فَعَصَوْهُ، والجَوابُ واضِحٌ، لا يِسْتَوِيَّانِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى المُنْتَفِعينَ بِالعِلْمِ وَالمَواعِظِ فَقالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: إنَّما يَعْتَبِرُ بِحُجَجِ اللهِ وَيَتَّعِظُ بِها وَيَتَدَبَّرُها أَهْلُ العُقولِ المُسْتَنيرةِ، لا أَهْلُ الجَهْلِ وَالغَفْلَةِ.

فوائدُ:

الفائدةُ الأُولى: القُنوتُ يُطلَقُ على مَعانٍ مُتعدِّدةٍ منها:

١- الخُشوعُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1] أَيْ: خاشِعينَ.

٢- الدُّعاءُ في الوِتْرِ أوْ في الفَرائِضِ عندَ النَّوازِلِ.

٣- العِبادَةُ ودَوامُ الطَّاعَةِ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[2] وَكالآيَةِ التي مَعَنا.

الفائدةُ الثّانيةُ: يجبُ على المُؤْمِنِ أنْ يكونَ حالُه في طاعةِ رَبِّهِ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجاءِ، فَمِنْ آثارِ الخَوْفِ أنَّهُ يَمْنَعُ النَّفسَ عَنِ المَعاصي، أمَّا الرَّجاءُ فَيَحُثُّها على الطَّاعَةِ، وقدْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ على شابٍّ وَهُوَ في المَوْتِ فَقالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قالَ وَاللهِ يا رَسولَ اللهِ إنِّي أَرْجو اللهَ وَإنِّي أَخافُ ذُنوبي فَقالَ رَسولُ اللهِ: «لا يَجْتَمِعانِ في قَلْبِ عَبْدٍ في مِثْلِ هَذا المَوْطِنِ إلَّا أَعْطاهُ اللهُ ما يَرْجو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخافُ» (رواه التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ).

الفائِدَةُ الثّالِثَةُ: قِيامُ اللَّيْلِ لَهُ دَلائِلُ كثيرةٌ منها: الإخْلاصُ وَالمُحافَظَةُ على الفَرائِضِ فَمَنْ قامَ بِالنَّفْلِ كانَ عَلى الفَرْضِ أقْوَمُ.

١- سورة البقرة: ٢٣٨

٢- سورة التحريم: ١٢

تَقْوَى اللهِ تَعالى وِقايَةٌ مِنَ النّارِ:

ثُمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَعِظَ المُؤْمنينَ فَقالَ تَعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ أَيْ: قُلْ أيُّها الرّسولُ الكريمُ لِعبادِيَ المُؤْمنينَ: اتَّقوا رَبَّكُمْ وَأحْسِنوا العملَ، فإنَّ لِلْمُحْسِنينَ في هذهِ الدُّنْيا حَسَنةً عَظيمةً عندَ اللهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فَفي الدُّنْيا يَحْيا حَياةً طَيِّبَةً، وفي الآخِرَةِ يَدْخلُ جَنَّةً عَرضُها السَّماواتُ والأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقينَ، وَتَقْوَى اللهُ تَعالى تكونُ بِفِعْلِ الطَّاعَةِ واجْتِنابِ المَعْصِيَّةِ فَهِيَ وقايةٌ لِلْعَبْدِ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى.

ثُمَّ دَلَّهُمُ اللهُ تَعالى على أنَّ الهِجْرَةَ مِنْ مكانِ الفَسادِ هُوَ طريقٌ مِنْ طُرُقِ التَّقْوَى وَالإحْسانِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ أَيْ: إنَّكم إذا لَمْ تَتَمَكَّنوا مِنْ عِبادةِ رَبِّكُم في البلدِ الذي أنْتُمْ فيهِ فَهاجِروا إلى بِلادٍ تَسْتَطيعونَ فيها العِبادَةَ.

ثُمَّ حَثَّهُمُ اللهُ تَعالى على الصَّبْرِ وَبَيَّنَ لَهُمْ حُسْنَ عاقِبَتِه، فَقالَ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أَيْ: إنَّما يُعْطَى الصَّابِرونَ ثَوابَهُم في الآخرةِ بِغَيْرِ حَدٍّ ولا عَدٍّ وَلا مِقْدارٍ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- لا يَسْتَوِي المُؤْمِنُ المُطِيعُ وَالْكافِرُ العاصي.

٢- بَيانُ أفْضَلِيَّةِ العالِمِ على الجاهِلِ.

٣- التَّقْوَى وِقايَةٌ مِنَ النَّارِ.

٤- مَشْرُوعِيَّةُ الهِجْرَةِ إلى مَكانِ الطَّاعَةِ.

الدَّرْسُ الحادي وَالأرْبَعونَ

سِماتُ الصَّالِحينَ

الآياتُ (١١-٢٠) مِنْ سورَةِ الزُّمرِ

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
مُخْلِصًا	مُفْرِدًا إيَّاهُ بِطاعَتِي وَانْقِيادي
ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ	عذابٌ يُظِلُّهُم
حَقَّ عَلَيْهِ	وَجَبَ عَلَيْهِ
ٱلطَّـٰغُوتَ	كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ

المَعنى الإجْماليُّ:

النَّبيُّ ﷺ أَوَّلُ المُسْلِمينَ إخْلاصًا وَانْقِيادًا لله تَعالى:

بَعْدَ أنْ أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَنصحَ المُؤمنينَ بالتَّقْوى، أَمَرَ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ ما أُمِرَ بِهِ في العِبادةِ، لِيُظْهِرَ حالَ رسولِ اللهِ ﷺ في عِبادَتِهِ لِرَبِّهِ فَيَقْتَدي بِهِ العابِدونَ، وَقَدْ أَمَرَهُ تَعالى بِعِدَّةِ أوامِرَ:

الأمْرُ الأَوَّلُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ أَيْ: قُلْ لهم يا مُحَمَّدُ إنِّي أُمِرْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالى أنْ أعْبُدَهُ عِبادةً خالِصَةً وَلا أُشْرِكَ بِعِبادَتِهِ أحَدًا أبدًا.

الأمْرُ الثّاني: قوْلُهُ تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أَيْ: وَأُمِرْتُ لِأنْ أكونَ أوَّلَ المُسْلِمينَ المُبادِرينَ إلى التّوْحيدِ والإخْلاصِ فَيَقْتَدي بِيَ العابِدونَ.

الأمْرُ الثّالِثُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أَيْ: وَقُلْ يا مُحَمَّدُ إنِّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي أنْ يُعَذِّبَني في يَوْمِ القِيامَةِ العَظيمِ الأهْوالِ وَالآلامِ.

فائدةٌ: في الآيَةِ تَحْذيرٌ لِلأُمَّةِ مِنَ العِصْيانِ، فَإذا كانَ النَّبِيُّ ﷺ خائفًا مِنَ العَذابِ مَعَ عِصْمَتِهِ فَغَيْرُهُ أَوْلَى بِالْخَوْفِ.

الأمْرُ الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ أَيْ: قُلْ أيُّها النَّبِيُّ: إنَّني أعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ مُخْلِصًا لَهُ في الطّاعَةِ وَالعِبادَةِ.

فائدةٌ: أَمَرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ وَهَذا الأمْرُ لَيْسَ فيهِ تكرارٌ، لأنَّ الأمْرَ الأوَّلَ بَيانٌ لِصِفَةِ العِبادَةِ وهيَ الإخْلاصُ، أمَّا الأمْرُ الثّاني فَهُوَ بَيانٌ لِلْمَعْبودِ بِحَقٍّ وَهُوَ اللهُ تعالى.

الخُسْرانُ الحَقيقيُّ:

وَبَعْدَ أنْ أظْهَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَقيدَتَهُ الرّاسِخَةَ هَدَّدَ ﷺ المُشْرِكينَ فَقالَ لَهُم كما قالَ تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أَيْ: فَاعْبدوا أيُّها المُشْرِكونَ ما أرَدْتُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَأصْنامٍ مِنْ دونِ اللهِ تعالى، فَسَوْفَ تَرَوْنَ عاقِبَةَ كُفْرِكُمْ عَذابًا وَنارًا تلظّى لا يَصْلاها إلا الأشْقى الذي كَذَّبَ وَتَوَلّى.

ثُمَّ أمَرَهُ اللهُ تعالى أنْ يُبَيِّنَ لَهُم خُسْرانَهم الحَقيقيَّ فَقالَ تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أَيْ: قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ إنَّ الخاسِرينَ حَقًّا هُمُ الذينَ

خَسِروا أَنْفُسَهم وَأَهْليهِم يَوْمَ القِيامَةِ، فَانْتَبِهوا وَاعْلَموا أَنَّ خُسْرانَ النَّفْسِ وَالأَهْلِ هُوَ الخُسْرانُ البَيِّنُ الواضِحُ الذي لا خُسْرانَ مِثْلَهُ.

ثُمَ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما أَعَدَّهُ لِهَؤُلاءِ الخاسِرينَ فَقالَ: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ أَيْ: لِهَؤلاءِ المُشْرِكينَ عذابٌ في النّارِ يُظِلُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تحتِهِم فهمْ مُحاطونَ بِها مِنْ كلِّ جانبٍ، ذلكَ العَذابُ الشّديدُ يَذْكُرُهُ اللهُ تَعالى؛ تَخْويفًا لِعبادِهِ لِيَعْبُدوهُ فَيُنْجوا مِنَ النّارِ، فَيا عِبادَ اللهِ: اتَّقوا اللهَ وَاعْبُدوهُ لِتَنالوا رِضْوانَهُ.

فَوائِدُ:

الفائِدةُ الأُولى: خُسْرانُ الآخِرَةِ أَعْظَمُ؛ لأَنَّهُ لا تَعْويضَ فيهِ أبدًا، أمّا خُسرانُ شَيْءٍ في الدُّنْيا كَفَقْدِ مالٍ أوْ مَوْتِ وَلَدٍ فَهُوَ خُسْرانٌ يَعْقُبُهُ عوضٌ، وَيُنَزِلُهُ اللهُ تَعالى على جميعِ النّاسِ مُؤْمِنِهم وَكافِرِهِم مِنْ أجلِ أنْ يَبْتَليهُم.

الفائِدةُ الثّانيةُ: خُسْرانُ الْكافِرِ لِنَفْسِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، يكونُ بِالعذابِ في نارِ جَهَنَّمَ، أمَّا خُسرانُ الْكافِرينَ لأَهْليهِم فيكونُ بِالعَداوَةِ بَيْنَهُم يَوْمَ القِيامَةِ، فَإِنْ كانوا جَميعًا في جَهَنَّمَ فَيَلْعَنُ بَعْضُهُم بَعْضًا، وَإِنْ كانَ بَعْضُهم في الجَنَّةِ فَيَتَبَرَّأُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

جَزاءُ المُتَّقينَ:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابِقةِ وَعيدَ عبدةِ الأَوْثانِ، ذَكَرَ بعدَها ما وَعَدَ بِهِ أَهْلَ الفَضْلِ والإحْسانِ، الذينَ ابْتَعَدوا عَنِ الشِّرْكِ وَالطُّغْيانِ فَقالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ أَيْ: وَالذينَ اجْتَنَبوا عبادةَ غَيْرِ اللهِ تَعالى وخَضَعوا للهِ وَحْدَهُ، لهمُ البُشْرَى بِالخَيْرِ وَالجَنَّةِ فَبَشِّرْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ هَؤلاءِ العِبادِ بِما يَسُرُّهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ.

ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُسْتَحِقّينَ لِلْبُشْرَى فَقالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾ أَيْ: هَؤُلاءِ المُوَحِّدونَ هُمُ الَّذينَ يَسْتَمِعونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعونَ أَقْرَبَهُ إلى الحَقِّ والصَّوابِ.

ثُمَّ أثْنَى اللهُ تَعالى عَلَيْهِم وَمَدَحَهُم فَقالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: أولئكَ المُوَحِّدونَ هُمُ الذينَ هَداهُمُ اللهُ تَعالى لِكلِّ خَيْرٍ، وَأولئِكَ هُمْ أصْحابُ العُقولِ المُسْتَنيرَةِ وَالفِطَرِ المُسْتَقيمَةِ.

تَسْلِيَةُ اللهِ تَعالى لِرَسولِهِ ﷺ:

ثُمَّ سَلَّى اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ فَبَيَّنَ مَصيرَ المُكَذِّبينَ، فَقالَ تَعالى لَهُ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: أفَمَنْ وَجَبَ عليهِ العَذابُ بِسببِ إصْرارِهِ على كُفْرِهِ، أفَتَسْتطيعُ أنتَ يا مُحَمَّدُ أنْ تُنْقِذَهُ مِنْ هذا المَصيرِ الأليمِ؟

والجَوابُ واضِحٌ، فَالرَّسولُ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّهِ فَمَنْ كَذَّبَ البَلاغَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، وَلَنْ يَسْتَطيعَ الرَّسولُ ﷺ إنْقاذَهُ منها.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حُسْنَ عاقبةِ المُتَّقينَ بعدَ بيانِ سوءِ مصيرِ الْكافرينَ فَقالَ تَعالى لَهُ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أَيْ: وَأَمَّا الذينَ اتَّقوا رَبَّهُمْ فَلَهُمْ في الجَنَّةِ غُرَفٌ مَرفوعةُ البِناءِ بعضُها فَوْقَ بَعْضٍ تَجري الأنْهارُ مِنْ تَحْتِها وهذا ما وَعَدَ اللهُ تَعالى بِهِ عِبادَهُ المُتَّقينَ؛ فَهُوَ تَعالى لا يُخْلِفُ الميعادَ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- وجوبُ عِبادةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ بِإخْلاصٍ.

٢- فَضْلُ الإسلامِ وَشَرَفُ المُسْلِمينَ.

٣- الخُسْرانُ الحَقيقيُّ هُوَ الخُسْرانُ يَوْمَ القِيامَةِ.

٤- أَعَدَّ اللهُ تَعالى لِأَهْلِ الإيمانِ وَالتَّقْوَى نَعيمًا عَظيمًا في الجَنَّةِ.

الدَّرْسُ الثَّاني وَالأرْبَعونَ

الإسْلامُ هُدًى وَنورٌ

الآياتُ (٢١-٢٦) مِنْ سورَةِ الزُّمرِ

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
فَسَلَكَهُ	أدْخَلَهُ
يَنَابِيعَ	عُيونَ الماءِ
يَهِيجُ	يَجِفُّ وَيَيْبَسُ
حُطَامًا	فُتاتًا مُتَكَسِّرًا
تَقْشَعِرُّ	تَرْتَعِدُ وَتَرْتَجِفُ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

مَوْعِظَةٌ لِأَصْحابِ العُقولِ:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما أعَدَّهُ لِلْمُتَّقينَ في الجَنَّةِ أعْطَى دَليلًا مُشاهِدًا في الأرضِ يَدُلُّ على قُدْرَتِه تَعالى عَلى البَعْثِ وَتَحقيقِ ما وَعَدَ بِه عِبادَهُ، فَخاطَبَ تَعالى رَسولَهُ ﷺ وَكُلَّ إنسانٍ عاقلٍ بِقَوْلِه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أَيْ: أَلَمْ تَرَ كيفَ أنْزَلَ اللهُ تَعالى المَطَرَ مِنَ السَّحابِ، ثُمَّ أدْخَلَهُ في الأرْضِ وأجْراهُ فيها وَجَعَلَ مِنْهُ عُيونًا مُتَدَفِّقَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ بسببِ هذا الماءِ زرعًا مختلفًا ألوانُه، فمنهُ أخضرُ ومنهُ أصفرُ، ومنهُ ما ليسَ كذلكَ، ثُمَّ يَهيجُ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى فَيَجِفُّ وَيَصْفَرُّ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُحَطَّمًا مُتَكَسِّرًا، وَيَتِمُّ ذلكَ بِقُدرةِ اللهِ تَعالى وعِلْمِه وتدْبيرِه، إنَّ في إنْزالِ الماءِ وإخراجِ النَّباتِ وتحطيمِه لَمَوْعِظَةً وَذِكرى لِأصحابِ العُقولِ السَّليمةِ، يَتَذَكَّرونَ بها أَنَّ مَنْ قَدِرَ على فِعْلِ ذلكَ فَهُوَ القادِرُ عَلى البَعْثِ.

نورُ الهِدايةِ وَالإيـمانِ:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعالى جزاءَ أَهْلِ الإيمانِ وخسرانَ أَهْلِ الكُفْرِ وَالطُّغيانِ، أخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنَّ الفَريقَيْنِ لا يَسْتَوِيانِ، فَقالَ تَعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أَيْ: أَفَيَسْتَوي المُؤْمِنُ الذي شَرَحَ اللهُ صدْرَهُ لِلإسْلامِ المُتَّبِعِ لِنورِ رَبِّه بِمَنْ هُوَ قاسي القلبِ مظلمُ العقلِ ضَيِّقُ الصَّدْرِ؟ والجوابُ مَعْلومٌ: لا يَسْتَوِيانِ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ اللهُ تَعالى أصحابَ القلوبِ القاسيّةِ بِالعذابِ المُهينِ فَقالَ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ: فَهَلاكٌ وَخِزْيٌ لِأولَئِكَ المُشركينَ الذينَ قَسَتْ قُلوبُهم عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعالى، ثُمَّ ذَمَّهُمُ اللهُ تَعالى فَقالَ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أَيْ: أولَئِكَ أَصْحابُ القُلوبِ القاسيّةِ في ضَلالٍ واضحٍ لا شَكَّ فيه.

فائدةٌ: مِنْ علاماتِ شرحِ الصَّدْرِ: المُسارَعَةُ إلى تَصديقِ ما أَخْبَرَ اللهُ تَعالى بِهِ، وَامتثالُ أَمْرِهِ واجتنابُ نَهْيِهِ بلا تَرَدُّدٍ ولا شَكٍّ، ومِنْ علاماتِ قَسْوَةِ القَلْبِ: الاشْمِئْزازُ عندَ ذِكْرِ اللهِ تَعالى أَوْ كَراهَةُ تِلاوَةِ القُرْآنِ الكريمِ، أوِ النُّفورُ مِنَ الدَّعْوَةِ إلى الإسْلامِ وَتَعاليمِهِ السَّمْحَةِ.

حالُ المُؤْمِنينَ مَعَ القُرْآنِ الكَريمِ:

ثُمَّ مَدَحَ اللهُ تَعالى كِتابَهُ الكَريمَ فَقالَ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ أَيْ: إنَّ اللهَ تَعالى أَنْزَلَ القُرْآنَ الكَريمَ وَجَعَلَهُ مُتَّصِفًا بِأَرْبَعِ صفاتٍ:

الصِّفَةُ الأُولى: أَنَّهُ أَحْسَنُ الحديثِ، لأَنَّهُ كلامُ اللهِ تَعالى ولا أحسنَ مِنْ كلامٍ تكلَّمَ بِهِ العَلِيُّ العَظيمُ.

الصِّفَةُ الثّانيةُ: أَنَّهُ كتابٌ، أَيْ مكتوبٌ في ثلاثةِ أشياءَ: في اللّوحِ المحفوظِ، وفي الصُّحُفِ التي بِأَيْدي المَلائِكَةِ، وفي الصّحفِ التي بِأَيْدينا، ممَّا يدلُّ على عنايةِ اللهِ تَعالى بِهِ وحفظِهِ مِنَ التّغييرِ والتبديلِ.

الصِّفَةُ الثالثةُ: أَنَّهُ متشابِهٌ، أَيْ يُشْبِهُ بعضُه بعضًا في الصدقِ والبيانِ، والإعجازِ والوَعْظِ والحكمةِ.

الصِّفَةُ الرابعةُ: أَنَّهُ مثاني، أَيْ تُثَنَّى فيه المواعظُ والأحكامُ، وَيُكَرَّرُ فيهِ الحَلالُ والحَرامُ، وَيُذْكَرُ الوعدُ والوعيدُ والأمرُ والنهيُ، والجَنَّةُ والنّارُ، وتُعادُ فيهِ القَصَصُ والأخْبارُ دونَ سَأَمٍ أَوْ مَلَلٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى تَأثيرَ القرآنِ الكريمِ في المُؤمنينَ فَقالَ: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: إنَّ هذا الكتابَ العظيمَ عندما يقرؤُهُ أَوْ يسمعُه المؤمنونَ الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ تَقْشَعِرُّ جلودُهم مِنْ آياتِ الوعيدِ والتّهديدِ، ثُمَّ تَلينُ جلودُهُمْ وتطمَئِنُّ قلوبُهم إذا ما قرؤوا أو استمعوا إلى آياتِ الرحمةِ والمغفرةِ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى فضلَ القرآنِ على العبادِ فَقالَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ أَيْ: ذلكَ الكتابُ هُوَ طريقُ الهُدَى إلى اللهِ تَعالى يَهْدي سُبْحانَه بِسببِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ إلى الصراطِ المستقيمِ، ومَنْ يُضِلُّه اللهُ تَعالى فَلَنْ يَجِدَ مَنْ يهديهِ إلى طريقِ الحَقِّ والصوابِ.

سوءُ عاقبةُ الظَّالمينَ:

ثُمَّ أخبرَ اللهُ تَعالى أنَّ هؤلاءِ الضالّينَ، سينالُهم سوءُ العذابِ يومَ القيامَةِ فَقالَ: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أَيْ: أفَيَسْتَوي مَنْ يَتَّقي بِوجهِهِ سوءَ العذابِ يومَ القيامَةِ بِمَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ وَأمِنَ العذابَ؟ والجوابُ: لا يستويانِ.

والآيةُ تُصوِّرُ لنا حالَ الْكافرِ وهوَ يُقاسي شِدَّةَ العذابِ في النّارِ، حيثُ تكونُ يداهُ مغلولتيْنِ إلى عُنقِهِ عندما يُلْقَى في النّارِ، فلا يجدُ ما يَقي بِهِ نَفْسَهُ مِنَ النّارِ سوى وَجْهِهِ الذي هوَ أشرفُ أعضائِهِ، فبعدَ أنْ كانَ يُدافِعُ عنه صارَ يُدافِعُ بِهِ، ممَّا يدلُّ على شِدَّةِ عذابِ النّارِ وعدمِ قدرتِهِ على الفرارِ.

ثمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما يُقالُ للظالمينَ توبيخًا وإهانةً لهم وهمْ في النّارِ فَقالَ: ﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أَيْ: يقولُ زبانيةُ جهنَّمَ للظالمينَ وهمْ في النّارِ، ذوقوا العذابَ الأليمَ بسببِ ما كنتمْ تكسبونَ مِنْ أعمالِ الشِّركِ والمعاصيِّ.

اللهُ تعالى يُخْزي المكذّبينَ في الدُّنْيا والآخرةِ:

ثمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما أصابَ المكذّبينَ لِلرُسُلِ مِنْ عذابِ الدنيا، وما ينتظرُهم من عذابِ الآخرةِ فَقالَ: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ أَيْ: كَذَّبَت الأمَمُ السابقةُ الذينَ كانوا قبلَ هؤلاءِ المُكذِّبينَ فأتاهمُ العذابُ بغتةً، وهمْ لا يشعرونَ بِهِ، فلحقَهم الذّلُّ والإهانةُ في الحياةِ الدنيا، وإنَّ عذابَ الآخرةِ لأعظمُ إهانةً وأشدُّ خزيًا لو علموا ذلكَ واعتبروا بِهِ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- بيانُ مظاهرِ قدرةِ اللهِ تَعالى الموجبةِ للإيمانِ والتوحيدِ.

٢- القلوبُ قلبانِ: قلبٌ يقبلُ الهدايةَ وآخَرُ يُعْرِضُ عنها.

٣- القرآنُ الكريمُ أحسنُ الكلامِ وأفضلُ الحديثِ.

٤- تقريرُ عقيدةِ البَعْثِ والجزاءِ.

الدَّرْسُ الثّالِثُ والأرْبَعونَ

نِهايَةُ كُلِّ مَخْلوقٍ

الآياتُ (٢٧-٣١) مِنْ سورَةِ الزُّمرِ

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمةُ	معناها
يَتَذَكَّرُونَ	يَتَّعِظونَ
مُتَشَٰكِسُونَ	متنازعونَ
تَخْتَصِمُونَ	تحتكمونَ

الـمَعنى الإجْماليُّ:

ضربُ الأمثالِ في القرآنِ للذِّكرى:

لَمَّا هدَّدَ اللهُ تَعالى المكذّبينَ بِعذابِ الدُّنْيا والآخرةِ، بَيَّنَ سُبْحانَه هنا عنايَتَهُ بالناسِ جميعًا، وتفضّلَهُ عليهِمْ فضرَبَ لهمُ الأمثالَ في القرآنِ، ليَهتدوا ويَتّعظوا، فَقالَ تَعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أَيْ: واللهِ لقدْ ضربْنا وذكرْنا في هذا القرآنِ العظيمِ، مِنْ كُلِّ مَثَلٍ مِنَ الأمثالِ التي يحتاجُ إليها الناسُ في شؤونِ دينِهم، وينتفعونَ بِهِ في أمورِ دُنياهُم، لعلَّهم يعرفونَ

الحقَّ فيَتّعِظونَ ويُطيعونَ اللهَ تَعالى. كما قالَ تَعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾[1].

ثمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى عنايتَهُ بالقومِ الذينَ نزلَ القرآنُ فيهم وهُمُ العَرَبُ، حيثُ أنزلَهُ بلُغتِهم؛ ليَفْهَموا الأمثالَ المذكورةَ لهمْ فيَتَّقوا اللهَ تَعالى ويخافوهُ، فقالَ تَعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أَيْ: وأنْزلْنا هذا القرآنَ عربيًّا واضحًا للناسِ؛ كيْ يَفهموهُ، فلا عِوَجَ فيهِ ولا خَفاءَ ولا اختلافَ، وقدْ أنْزلناهُ كذلكَ لعلَّهم يتّقونَ اللهَ تَعالى فيُؤمِنونَ بِهِ، وَيَتَّبِعونَ أوامِرَهُ وَيَجْتَنِبونَ نَواهِيَهُ ليكونوا مِنَ الفائِزينَ.

فائدةٌ: يُطْلَقُ المَثَلُ في القرآنِ على معاني متعدِّدةٍ منها:

المعنَى الأَوَّلُ: الشّأنُ والصِّفَةُ، وبهذا المَعْنى فُسِّرَ لَفْظُ المَثَلِ في كثيرٍ مِنَ الآياتِ، كقولِهِ تَعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾[2] أَيْ: شأنُ الجَنَّةِ وَصِفتُها.

المَعْنَى الثّاني: ذِكْرُ شيْءٍ محسوسٍ مُشاهَدٍ يشابِهُ أمرًا غائبًا غيرَ مُشاهَدٍ، ووردَتِ الأمثالُ في القرآنِ الكريمِ بهذا المعنى على أنواعٍ، منها: المَثَلُ بِقَصَصِ الأمَمِ الماضيةِ، والمَثَلُ بالأمورِ الكَوْنِيَّةِ كالماءِ والنّباتِ والشّمسِ، والمَثَلُ بالطيورِ والحيواناتِ والنّباتِ، والمَثَلُ بالأحداثِ الحياتِيّةِ.

والفائدةُ مِنْ ضربِ هذهِ الأمثالِ: توضيحُ المعنَى وتقريبُه للأذهانِ، وثَمرتُه: التَّذَكُّرُ والعِظَةُ والاعتبارُ.

مَثَلُ المُشرِكِ وَالمُوَحِّدِ باللهِ تَعالى:

ثمَّ ذَكرَ اللهُ تَعالى مثلًا مِنْ جُملةِ الأمثالِ التي ضربَها للناسِ في القرآنِ الكريمِ؛ لعلَّهم يَتذكّرونَ فضربَ اللهُ مثلًا يُبَيِّنُ فيهِ حالَ المشركِ الذي يعبُدُ آلهَةً شَتَّى، وحالَ المؤمنِ الذي يعبدُ اللهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، فقالَ تَعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ أَيْ: ضَرَبَ اللهُ تَعالى مثلًا لِقَوْمِكَ وقالَ لهمْ: ماذا تقولونَ في عبدٍ مملوكٍ لِشُرَكاءَ مختلفينَ فيما بينَهم

١- سورة العنكبوت: ٤٣

٢- سورة محمد: ١٥

لِسوءِ أخلاقِهم متنازِعينَ في حاجتِهم منْ هذا العبدِ، هذا يقولُ لَهُ (تَعالَ)، والآخَرُ يقولُ لَهُ (اجْلِسْ)، والثالثُ يقول لهُ (قُمْ)، فيصبحُ هذا الرجلُ في حيرةٍ مِنْ أمرِهِ مشتّتَ القلبِ،لا يدري ما يفعلُ، إذا هو أرضَى أحدَهم أغضبَ الباقينَ، فلا راحةَ ببَدنِه ولا راحةَ لنفسِه بلْ في عذابٍ دائمٍ وتعبٍ مقيمٍ، أمَّا العبدُ الآخَرُ فهو رجلٌ خالصٌ مِنَ الشِّرْكَةِ سالمٌ مِنَ التّشَتُّتِ؛ لأنَّ لَهُ سيّدًا واحدًا حَسنَ الأخلاقِ والعبدُ يخدمُه بإخلاصٍ وينفّذُ أوامرَه بلا تشتُّتٍ ولا عَناءٍ، هلْ يستوي هذانِ العبدانِ في حالِهما وصفَتِهما؟ فَمَنْ مِنْهما أحسنُ شأنًا؟ والجوابُ لا يحتاجُ إلى بيانٍ، فَهُوَ واضحٌ وضوحَ الشّمسِ، هَكذا حالُ المُشركِ الذي يعبدُ آلِهةً شتَّى يبقَى ضالاًّ حائرًا لا يدري أيَّ تلكَ الآلِهَةِ يَعْبُدُ؟ ولا على أيِّهم يَعتمِدُ؟ ومِمَّنْ يطلبُ رِزْقَهُ؟ أمّا المُؤْمِنُ باللهِ تَعالى وَحْدَهُ، فَهُوَ فائزٌ بعبادةِ رَبِّه الواحِدِ الأحَدِ الذي يملكُ السماواتِ والأرضَ.

ثُمَّ حَمِدَ اللهُ تَعالى نفسَه على أنَّه قدْ أقامَ الحُجَّةَ على المُشركينَ وبَيَّنَ ضَلالَهم، فَقالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَيْ: الثّناءُ العَظِيمُ للهِ تَعالى، فَهُوَ سُبْحانَهُ الإلهُ الواحدُ الذي لا إلهَ غيرُهُ المُستحقُّ لِلْحَمْدِ والتّعْظيمِ والعِبادةِ.

ثمَّ عابَ اللهُ تَعالى على المشركينَ عدمَ اتِّعاظِهم ممَّا في القرآنِ مِنْ مواعِظَ، فَقالَ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: بَلْ أكثرُ هؤلاءِ المشركينَ لا يرغبونَ في أنْ يعلموا الحَقَّ مع ظهورِهِ ووُضوحِهِ، لأنَّ أهْواءَهُمْ تَدفعُهُمْ إلى التَّمَسُّكِ بالباطِلِ.

المَوْتُ نِهايةُ كُلِّ مَخْلوقٍ:

ثمَّ أخبرَ اللهُ تَعالى بأنَّ مصيرَ الجميعِ إليه، وسوفَ يختصمونَ يَوْمَ القِيامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وهُوَ الحَكَمُ العَدْلُ، وهناكَ يُبَيَّنُ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ، فخاطبَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ فَقالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أَيْ: إنَّكَ ستموتُ يا مُحَمَّدُ وهمْ سيموتونَ، ثمَّ تختصمونَ عندَ رَبِّكُمْ، فَتُقَدِّمُ حُجَّتَكَ يا مُحَمَّدُ بالبلاغِ، ويعتذرُ الكُفّارُ ولا ينفَعُ الاعتذارُ، فَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَكُمْ بالحَقِّ وَهُوَ خيرُ الحاكِمينَ.

فائدةٌ: هذه الآيةُ وإنْ كانَ سياقُها في التّخاصُمِ بَيْنَ النَّبيِّ ﷺ والْكافرينَ إلَّا أنَّ اللهَ تعالى يومَ القيامَةِ سوفَ يفصلُ بينَ العبادِ فيما يتنازعونَ فيهِ مِنْ دياناتِهم وأعمالِهم وحقوقِهم الخاصةِ مِنَ الأموالِ والأنفسِ والأعراضِ، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قالَ الزُّبَيْرُ: أَيْ رَسولَ اللهِ، أَيُكَرَّرُ عَلَيْنا ما كانَ بَيْنَنا في الدُّنْيا مَعَ خَواصِّ الذُّنوبِ؟ قالَ: «نَعَمْ لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يُؤَدَّى إلى كُلِّ ذي حَقٍّ حَقُّهُ. قالَ الزُّبَيْرُ: وَللهِ إنَّ الْأَمْرَ لَشَديدٌ». رواه أحمدُ والترمذيُّ وقالَ حسنٌ صحيحٌ.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ قالوا الْمُفْلِسُ فِينا يا رَسولَ اللهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتاعَ، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتي مَنْ يَأْتي يَوْمَ القِيامَةِ بِصَلاتِهِ وَصِيامِهِ وَزَكاتِهِ وَيَأْتي قَدْ شَتَمَ هَذا وَقَذَفَ هَذا وَأَكَلَ مالَ هَذا وَسَفَكَ دَمَ هَذا وَضَرَبَ هَذا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذا مِنْ حَسَناتِهِ وَهَذا مِنْ حَسَناتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ ما عَلَيْهِ مِنَ الْخَطايا أُخِذَ مِنْ خَطاياهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ» رواه مسلمٌ.

مِنْ هِدايةِ الآياتِ:

١- مشروعيّةُ ضربِ الأمثالِ لِتَقريبِ المَعْنى.

٢- لا مُساواةَ بينَ المُؤْمِنِ المُوَحِّدِ وَالمُشرِكِ الضَّالِّ.

٣- كُلُّ نفسٍ ذائقةُ المَوْتِ.

٤- يبعثُ اللهُ تعالى الخَلْقَ فيَقْضي بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ.

المراجع

١ – «بدائع التفسير» لابن القيِّم الجوزية.

٢ – تفسير ابن كثير.

٣ – «فتحُ الرَّحمان في تفسير القرآن» للإمام القاضي مجير الدين الحنبلي.

٤ – «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.

٥ – «دقائق التفسير» لابن تيمية.

٦ – «تيسير الكريم الرحمن» لعبدالرحمن السعدي.

٧ – «صفوة التفاسير» للصابوني.

٨ – «الجامع الصحيح» للبخاري.

٩ – «تفسير الميسر للناشئة» للدكتور زكي أبو سريع.

١٠ – «تفسير الجلالين» لجلال الدين المحلي – جلال الدين السيوطي.

١١ – «تفسير القرآن للناشئين» للدكتور عبدالحليم عويس – علي عبدالمحسن جبر.

١٢ – «أيسر التفاسير» لأبوبكر الجزائري.

١٣ – «المستفاد من قصص القرآن» للدكتور عبدالكريم زيدان.

١٤ – «أسماء الله الحسنى» لماهر مقدم.

١٥ – «التفسير الموضوعي».

١٦ – «جامع التفسير» من كتب الأحاديث (دار طيبة).

المواقع الإسلامية:

١ – صوت السلف.

٢ – الرائد.

٣ – أمة الإسلام.

٤ – طريق الإيمان.

٥ – الشبكة الإسلامية.

٦ – ابن العثيمين.

أودع بمكتبة وزارة التربية بدولة الكويت تحت رقم (٦٥) بتاريخ ٩ / ١١ / ٢٠١٦ م

مطبعة الدروازة